التحفة الحمزية

شرح المنظومة الزعكرية

في بيان حوادث السيرة الزكية

شرح

أم حفص سيدة بنت عبد الله الحمزي

غفر الله لها ولوالديها

تقديم الشيخ

عبد الحميد بن يحيى الزُّعكري

حفظه الله

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

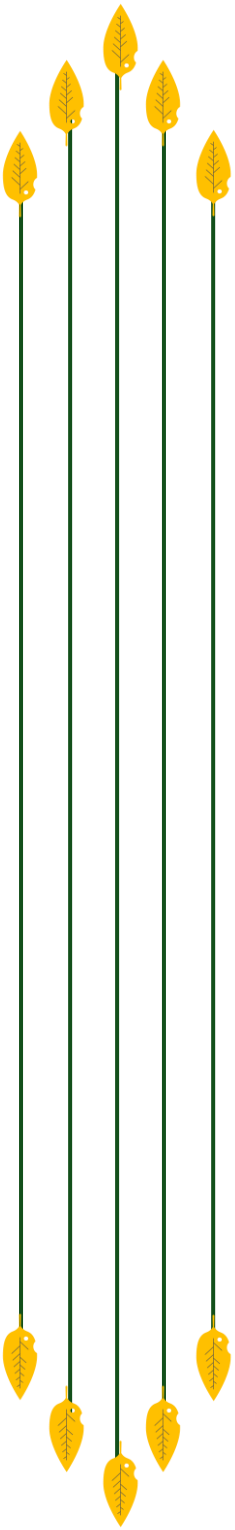

النَّاشِر

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤ - +٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢
عدن - الشيخ عثمان جولة القاهرة - خلف محطة النهدي
+٩٦٧٧٧٠٠١٢٥٢٢
حضرموت الحامي - جوار مسجد انور - الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣ - +٩٦٧ ٠٥٣٤١٥٩٨
alshafibooks@gmail.com

مقدمة الشيخ عبد الحميد الزعكري

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله **أما بعد**:

يقول الله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [سُورَةُ الأحزَابِ: ٤٠-٤٣] ويقول تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [سُورَةُ التَّوۡبَةِ: ١٢٨]

ويقول تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [سُورَةُ الفَتحِ: ٨-٩] ويقول تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [سُورَةُ الأعۡرَافِ: ١٥٨]

فمن هذه الآيات وما في بابها نعلم عظيم شأن دراسة حياة رسول الله ﷺ في أيامه وشهوره وأعوامه فهو الرحمة العظيمة من الرحمن

الرحيم أخرج الله به الناس من الظلمات إلىٰ النور بلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة وجاهد في الله حق جهاده.

ومن المعلوم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو دعوة إبراهيم عليه السلام، حيث قال ربنا مخبراً عنه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة:١٢٩].

وهو بشارة عيسىٰ عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف:٦].

وفي حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عند البخاري أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ التي في الْقُرْآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب:٤٥]، قَالَ في التَّوْرَاةِ: (يَا أَيُّهَا النبي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عبدي ورسولي سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللهُ حَتَّىٰ يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا).

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَىٰ الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»، أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

وقد طالعت (التحفة الحمزية شرح المنظومة الزعكرية في بيان حوادث السيرة الزكية) تأليف الداعية الفاضلة المفيدة المستفيدة أم حفص الحمزية وفقها الله وأصلح لها الذرية فرأيته شرحا مفيدا مبينا لغامظها موضحا لخفيها شارحا لمختصرها فجزاها الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ثم إنها سلكت مسلك الاختصار والاقتصار علىٰ صحيح السنة والأثار وهذا فعل حميد ومسلك سديد إذ أن باب السيرة قد دخله الغث والسمين.

ودراسة سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهمات فهو أفضل البشرية وأزكىٰ البرية فمعرفة ما يتعلق به من أمور الدين.

والحمد لله رب العالمين.

أبو محمد عبد الحميد الزُّعكري ٩ ذي القعدة ١٤٤٥هـ

مقدمة الشارحة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله، وجعله شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلىٰ الله بإذنه وسراجا منيرا، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليما كثيرا.

أما بعد:

فإن من فضل الله علي أن يسر لي شرح المنظومة الزعكرية في بيان حوادث السيرة الزكية للشيخ الفاضل عبدالحميد بن يحيىٰ الزعكري حفظه الله ، وهي منظومة مباركة جمعت أهم مباحث سيرة نبينا محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم منذ الولادة وحتىٰ الوفاة.

وقد توخيت في شرحي هذا الدقة والصواب ما استطعت إلىٰ ذلك سبيلا، وأسأل الله التوفيق والسداد، وأن ينفع بهذا النظم وشرحه، والحمد لله رب العالمين.

أم حفص سيدة بنت عبد الله الحمزي

غفر الله لها ولوالديها

١٣/ ذو الحجة/ ١٤٤٥هـ

القصيم/ المملكة العربية السعودية حرسها الله وحماها

ترجمة مختصرة للناظم

اسمه: عبدالحميد بن يحيىٰ بن زيد بن يحيىٰ الهمداني الحاشدي الحجوري الزُّعكري أبو محمد .

مولده: ولد في بلاد حجور مديرية كشر محافظة حجة في قرية الزعاكرة في غرة رمضان ١٣٩٢هـ .

نشأته ودراسته: نشأ في تلك البلاد ثم درس في المدارس النظامية في قريته حتىٰ انتهىٰ من المرحلة الأساسية ثم درس الدراسة الثانوية في مركز المديرية وأتمها في مدينة الحديدة وأكمل بعد ذلك الدراسة الجامعية حتىٰ حصل علىٰ درجة البكالريوس وكان تخصصه في علم الأرض والكيمياء.

ثم رحل لطلب العلم الشرعي إلىٰ دار الحديث بدماج في أواخر جماد الثاني ١٤١٨هـ ؛ فتتلمذ علىٰ يد الإمام مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله مدة سنتين ونصف، وبعدها خرج الإمام الوادعي رحمه الله للعلاج.

ثم استمر في طلب العلم مع خليفته الشيخ العلامة يحيىٰ بن علي الحجوري حفظه الله، ولازمه ملازمة طويلة، واستمر في طلب العلم في دار الحديث بدماج،

حتىٰ كان تهجير الحوثيين لطلاب العلم في ١٤/ ربيع الأول/ ١٤٣٥هـ ؛ فلزم مسجد الفتح بصنعاء مع الشيخ يحيىٰ بن علي الحجوري حفظه الله؛ فلما دخل الحوثيون صنعاء سافر منها إلىٰ المملكة العربية السعودية، وسكن فيها مع أهله قريب ثلاث سنوات، حتىٰ كان : ٢٧/ ذو الحجة/ ١٤٣٨هـ ، رجع إلىٰ اليمن مدينة الغيضة بمحافظة المهرة؛ فافتتح فيها دار الحديث السلفية بمسجد الصحابة، وكانت بداية التدريس فيه : ١٠/ محرم/ ١٤٣٩هـ، وما زال ملازمًا له بحمد الله حتىٰ تاريخ كتابة هذه الورقات.

وله جهودٌ طيبة في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ في باب التأليف و التدريس والخطابة وغير ذلك.

وخرج دعوة إلىٰ العديد من المناطق والبلدان في داخل اليمن وخارجها.

ففي اليمن زار أغلب محافظات اليمن، وخارج اليمن زار كلًا من مصر وتنزانيا والحبشة وسيرلانكا وجزر المالديف والهند وجزر القمر وماليزيا وجيبوتي والجزائر وترنداد تيباقوا، وغيرها من البلدان.

أبرز مشايخه: إمام الدعوة السلفية في اليمن: الشيخ العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله، وكان من حراسه.

الشيخ العلامة يحيىٰ بن علي الحجوري.

الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان، تتلمذ عليه في الحرم قريباً من عشرين يوماً .

الشيخ العلامة يحيىٰ بن عثمان الهندي، تتلمذ عليه في الحرم وله منه إجازة .

الشيخ المحدث العلامة محمد بن آدم الإثيوبي، تتلمذ عليه في الحرم وله منه إجازة .

الشيخ العلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي تتلمذ عليه أياماً وجالسه فيها.

الشيخ العلامة عبدالمحسن العباد البدر حضر له في سنة ١٤١٧هـ في أيام الحج وغيرها مرات.

ثناء العلماء عليه: قال عنه الشيخ يحيىٰ بن علي الحجوري حفظه الله : (أخونا الفاضل الشيخ السلفي عبد الحميد الحجوري حفظه الله محقق ومؤلف مفيد، وداعي إلىٰ الله عز وجل مبرز، نوصي بالاستفادة منه ومن علمه مه ونصائحه في داخل اليمن وخارجه، ونسأل الله التوفيق .

وقال عنه في كتابه: الطبقات لما حصل بعد موت شيخنا الإمام الوادعي في الدعوة إلىٰ السلفية باليمن من الحالات: (عبد الحميد بن يحيىٰ بن زيد الزعكري الحجوري أبو محمد، ثبت يحفظ القرآن وصحيح مسلم وباحث له فتح المنان في الصحيح المسند من أحاديث الإيمان والبيان الحسن لما أحياه الشيخ مقبل الوادعي من السنن ومشارك في تحقيق مجلد من المحلىٰ لابن حزم).

وقال عنه الشيخ العلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي رحمه الله: (.. فقرأت بعضه وتصفحت البعض الآخر ،حيث ورد إليَّ وأنا في زحمة من الأعمال؛ فألفيته بحثًا جيداً في بابه... - إلىٰ أن قال- : والمهم أن الكاتب قد وفق فيما أرىٰ في هذا البحث الذي أنكر فيه علىٰ من جعل أسماء الله محصورة في تسعة وتسعين؛ فجزاه الله خيراً وبارك فيه، وكثَّر من أمثاله، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم) .

مؤلفاته: له مؤلفات كثيرة نافعة نذكر منها :

❖ **في العقيدة:**

١- فتح الباري علىٰ شرح السنة للبربهاري.

٢- سلامة الخلف في طريقة السلف.

٣- رؤية المؤمنين للجبار في المحشر ودار القرار.

٤- حكم الحلف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥- حكم تحديث العوام بأدلة الأسماء والصفات.

٦- كتاب الصيحح المسند في الإيمان.

٧- تحذير العقال من فتنة المسيح الدجال.

٨- عذاب القبر ونعيمه.

٩- التعليقات الحسان علىٰ اللامية المنسوبة لشيخ الإسلام.

١٠- فتح العليم بشرح رسالة الإمام المجدد إلىٰ أهل القصيم.

١١- حكم الإنتخابات.

١٢- شرح هذه دعوتنا وعقيدتنا للإمام الوادعي رحمه الله.

١٣- شرح أصول السنة لابن أبي زمنين.

١٤- عون المعبود بشرح حائية ابن أبي داود.

١٥- المصطلحات العصرية وأثارها العقدية.

١٦- الدرة الفريد شرح البادئ المفيدة في التوحيد والفقه والعقيدة .

١٧- فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

١٨- اللمعة في تقسيم البدعة .

١٩- فتح البر في بيان حال الغلام الذي قتله الخضر .

٢٠- فتح المجيد ببيان هداية القرآن إلىٰ التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد .

٢١- التنبيهات السلفية لما انتقد علىٰ الطحاوية ثم شرح الطحاوية .

٢٢- المقالات المفيدة في التوحيد والفقه والآداب والعقيدة .

٢٣- المنظومة الزعكرية في مهمات العقيدة والأخلاق الإسلامية.

٢٤- شرح المنظومة الزعكرية في مهمات العقيدة والأخلاق الإسلامية.

٢٥- الرائية في عقيدة الفرقة الناجية.

٢٦- شرح الرائية في عقيدة الفرقة الناجية.

٢٧- اعرف عقيدتك.

٢٨- اعرف سلفك.

٢٩- التنبيهات البهية علىٰ العقيدة السفارينية.

٣٠- مختصر أصول أهل السنة والجماعة.

❖ **في الفقه:**

١- فتح الحميد المجيد في بيان الراجح في خطبة العيد.

٢- إتحاف النبلاء بأحكام الاستسقاء.

٣- أحكام النوم في الشريعة الإسلامية.

٤- القول السديد في تقريب أحكام العيد

٥- قتل النفس المعصومة وأحكامه

٦-الذهب المسبوك في أحكام الكسوف

٧- الدر المكنون في أحكام الديون

٨- أحكام صلاة الجاس.

٩- التبيان في أحكام الأيمان.

١٠- حكم التجسس علىٰ المسلمين.

١١- إتحاف أهل الملة بحكم استخدام الجوجل في تحديد القبلة.

١٢- الإفصاح ببعض آداب النكاح .

١٣- إفادة ذوي الأفهام شرح عمدة الأحكام.

١٤- هبة السلام شرح بلوغ المرام.

١٥- إتحاف الكرام بأحكام الشراب والطعام .

١٦- الأساس في أحكام اللباس .

١٧- الصحيح المختصر في صفة صلاة سيد البشر .

١٨- إتحاف البررة بتقريب أحكام الحج والعمرة، وغيرها .

١٩- هبة الودود شرح سنن أبي داود .

٢٠- الإبهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج .

٢١- رفد المحتذي شرح جامع الترمذي -لم يكتمل بعد- .

❖ **في الدعوة:**

١- المبحث البديع في أسباب ونتائج وحلول التمييع.

٢- الوسائل الجلية لنصرة الدعوة السلفية.

٣- البيان الحسن في ترجمة الشيخ مقبل وما أحياه من السنن.

٤- النصائح الدعوية من النبي خير البرية.

٥- البيان لطرق المخالفين في صدهم عن السنة والإسلام.

٦- شروط التوبة إلىٰ الله.

٧- توجيه المسلمين إلىٰ الطرق الشرعية في التعامل مع الخوارج من أصحاب تنظيم القاعدة والرافضة الحوثيين.

٨- الأقوال الواضحات والأدلة البينات في حكم الإخطلاط وتصوير ذوات الأرواح والجمعيات.

٩- رفع اللثام عن فوائدي من الوادعي الإمام.

١٠- نصيحة وتحذير من أهل الجهل والتغرير مطبوع مع النصيحة والبيان.

١١- الوصايا النافعة لحسن المتابعة.

١٢- حكم التجسس علىٰ المسلمين .

١٣- التحفة المهدية بشرح الأربعين النووية .

١٤- نصح الأصحاب بطرق استخدام الانترنت والواتساب .

١٥- أشهر أسباب الزنا، وغيرها، ولله الحمد والمنة .

١٦- فتح العلي بترجمة محمد بن عبد الحميد الزعكري.

❖ **في الردود:**

١- النصيحة والبيان لما عليه حزب الإخوان في أكناف دورالقرآن.

٢- الزجر والبيان لدعاة الحوار والتقارب بين الأديان.

٣- الأدلة الرضية في بيان حقيقة اليمقراطية.

٤- رد علىٰ الإباضية بعنوان تحذير العباد من غاية المراد في نظم الإعتقاد.

٥- الرد علىٰ محمد حسان وخالد عثمان في مسألة الإنتخابات.

٦- عقائد الباطنية.

٧- جسارة أسامة القوصي علىٰ الشريعة الإسلامية.

٨- الخيانة الدعوية حجر عثرة في طريق السلفية.

٩- عون الباري في بيان حزبية ابني مرعي ومن جرىٰ مجراهم ورد تخرصات عبد الله البخاري.

١٠- البيان لحكم لعن اليهود والنصارىٰ والرد علىٰ طارق السويدان.

١١- تحقيق الأقوال في أقسام العباهلة والأقيال.

١٢- الرد علىٰ الوثيقة الإنسانية التي وقع عليها أحمد الطيب شيخ الأزهر والبابا فرنسيس، وغيرها .

❖ **في التحقيقات:**

١- تحقيق الإيمان لابن أبي شيبة.

٢- تحقيق الإيمان لابن أبي عبيد.

٣- تحقيق نجاة الخلف في إعتقاد السلف لعثمان النجدي.

٤- تحقيق السنة للبربهاري.

٥- تحقيق جزء من المحلىٰ لابن حزم بالمشاركة مع أبي عبدالرحمن محمد الحجوري.

٦- تحقيق أصول السنة لابن أبي زمنين.

٧- تمام المنىٰ بترتيب كتاب الأسماء والكنىٰ، مع التحقيق.

٨- زوائد الأسماء والكنىٰ علىٰ الأمهات الست.

٩- تحقيق كتاب غريب القرآن لابن قتيبة .

❖ **في التفسير:**

١- الأساس في تفسير سورتي الإخلاص .

٢- فتح الكريم المنان بتقسيم السبع المثاني أم القرآن .

٣- تفسير جزء عم .

٤- المهمات من معاني سورة الفتحة .

٥- المهمات من معاني آية الكرسي .

٦- إتحاف البررة بتفسير خواتيم سورة البقرة .

٧- تفسير سورة (ق) .

٨- البدر التمام ببيان آيات الأحكام.

٩- قصة آدم عليه السلام وما فيها من الآداب والعقائد والأحكام، وغيرها .

١٠- القول المؤصّل في تفسير الكتاب المنزّل.

١١- البيان لآيات النداء في القرآن.

١٢- التبيان لأمثال القرآن.

❖ **في المصطلح:**

١- إتحاف المتفنن بشرح التذكرة لابن الملقن.

٢- شرح مقدمة لسان الميزان.

٣- شرح نخبة الفكر .

٤- المنظومة الزعكرية في علم مصطلح الحديث.

❖ **في السيرة:**

١- المنظومة الزعكرية في حوادث السيرة الزكية - وهي هذه المنظومة التي بين أيدينا-.

وله صحيح السيرة انتهىٰ من غزوة الحديبية ولم يتمه.

وللشيخ نظم طيب ؛ فجزاه الله خيرا ونفع به وبعلمه.

بسم الله الرحمن الرحيم

متن المنظومة الزُّعْكُرِيَّة في بيان حوادث السيرة الزكية

مقدمة

١- الْحَمْدُ لِلْمَوْلَىٰ عَظِيمِ الطَّوْلِ ** قَدْ رَحِمَ الْعِبَادَ دُونَ حَوْلِ

٢- أَحْمَدُهُ حَمْدًا عَلَىٰ الدَّوَامِ ** أَشْكُرُهُ شُكْرًا عَلَىٰ الْإِنْعَامِ

٣- صَلَاةُ رَبِّنَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ** مُحَمَّدٍ ذِي الْخُلُقِ الْعَلِيِّ

٤- وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ ** تَعَاقُبَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ

٥- شَهَادَةٌ للهِ بِالتَّوْحِيدِ ** أُظْهِرُهَا لِشَأْنِهَا الْمَجِيدِ

٦- وَبَعْدَ هَذَا أَبْتَدِي فِي النَّظْمِ ** وَدَاعِيًا إِلَىٰ طَرِيقِ الْعِلْمِ

٧- بِسِيرَةِ الرَّسُولِ أَعْنِىٰ أَحْمَدَا ** لِأَنَّهُ بِالْوَحْيِ وَالْخَيْرِ اهْتَدَىٰ

٨- قَدْ جَعَلَ اللهُ لَنَا فِيهَا الْعِبَرْ ** لِمُقْتَفِي سَبِيلَ رُشْدٍ وَظَفَرْ

٩- وَاعْلَمْ هُدِيتَ فَضْلَ ذِي الْعُلُومِ ** إِذْ شَرَفُ الْعُلُومِ بِالْمَعْلُومِ

١٠- مُحَمَّدٌ خَيْرُ الْعِبَادِ طُرًّا ** هَدْيًا وَسَمْتًا ظَاهِرًا وَسِرًّا

١١- حَمْدًا لِرَبِّي الْوَاحِدِ الْعَلَّامِ ** قَدْ أَكْمَلَ الدِّينَ مَعَ التَّمَامِ

١٢- بِبِعْثَةِ الْمُخْتَارِ أَعْنِي أَحْمَدَا ** يَدْعُو إِلَىٰ الرُّشْدِ طَرِيقِ السُّعَدَا

١٣- عَزَمْتُ نَظْمًا لِصَحِيحِ السِّيرَةِ ** وَأَسْأَلُ اللهَ صَلَاحَ سِيرَتِي

١٤- أَسْـــأَلُهُ أَيْضًـــا لِـــيَ الْإِعَانَـــهْ ** فِـي الـنَّظْمِ وَالتَّقْرِيـبِ وَالْإِبَانَـهْ

النسب الشريف

١٥- مُحَمَّـــدٌ مِـــنْ خِيـــرَةِ الْأَقْـــوَامِ ** فَضَّـــلَهُ رَبِّـــي عَلَـــىٰ الْأَنَـــامِ

١٦- أَبُـوهُ عَبْـدُاللهِ إِسْـمٌ قَـدْ عُلِـمْ ** وَأُمُّـــهُ آمِنَـــةٌ كَمَـــا نُظِـــمْ

١٧- وَجَـدُّهُ يُـدْعَىٰ بِعَبْـدِ الْمُطَّلِـبْ ** وَشَـيْبَةِ الْحَمْـدِ إِذَا مَـا قَـدْ طُلِـبْ

١٨- وَمِـــنْ قُـــرَيْشٍ خِيـــرَةِ الْقَبَائِـــلِ ** وَآلِ هَاشِـــمٍ ذَوِي الْفَضَـــائِلِ

١٩- قَـدِ اصْـطَفَىٰ قُـرَيْشَ مِـنْ كِنَانَـةِ ** أَعْطَـاهُ رَبِّـي أَرْفَـعَ الْمَكَانَـةِ

٢٠- فَهْـوَ خِيَـارُ نَسْـلِ إِسْـمَاعِيلَا ** وَهْـوَ الـذَّبِيحُ صَـدِّقِ التَّنْـزِيلَا

٢١- مُتَّصِـلٌ بِالنَّسَـبِ الْعَـدْنَانِي ** وَجَـدُّهُ الْخَلِيـلُ لِلـرَّحْمَنِ

٢٢- إِذْ رُسْـلُهُ تُبْعَـثُ مِنْـهُ فِـي نَسَـبْ ** مِـنْ قَوْمِهَـا فَـإِنَّهُمْ ذَوُو حَسَـبْ

٢٣- إِجْمَاعُهُمْ فِي النَّسَبِ الْعَدْنَانِي ** فِـي قَـوْلِ أَهْـلِ الْعِلْـمِ وَالْعِرْفَـانِ

٢٤- صَـلَاةُ رَبِّـي تَبْلُـغُ الرَّسُـولَا ** فِـي كُـلِّ وَقْـتٍ دَلَّنَـا السَّـبِيلَا

الولادة والرضاعة وما تلاها من أحداث حتىٰ البعثة الشريفة

٢٥- مَـاتَ أَبُـوهُ وَهْـوَ حَـيٌّ حَمْـلُ ** عَلَىٰ صَحِيحِ الْقَوْلِ وَهْوَ فَصْلُ

٢٦- مَوْلِـــدُهُ شَـــهْرُ رَبِيـــعِ الْأَوَّلِ ** فِي ثَامِنِ الْأَيَّامِ فِي الْقَوْلِ الْجَلِي

٢٧- رَوَاهُ مَالِـكٌ عَـنِ ابْـنِ الْمُطْعِـمِ ** قَدْ صَحَّ فِي التَّأْرِيخِ خُذْهَا وَاعْلَمِ

٢٨- فِي يَـوْمِ الِاثْنَيْنِ بِـذَا جَـاءَ الْخَبَرْ ** نَـصٌّ صَـرِيحٌ وَاضِـحٌ قَـدِ اشْـتَهَرْ

٢٩- مِنْ عَامِ فِيلٍ صَحَّ فِي الْمَنْقُولِ ** تَرْجِيحُهُ مِنْ صَاحِبِ الْفُصُولِ

٣٠- قَدْ أَرْضَعَتْهُ امْرَأَةٌ سَعْدِيَّهْ ** ثُوَيْبَةٌ أَيْضًا لَهَا مَزِيَّهْ

٣١- قَدْ شُقَّ مِنْهُ الصَّدْرُ وَهْوَ طِفْلُ ** فِي أَرْبَعٍ بِذَاكَ جَاءَ النَّقْلُ

٣٢- وَالْأُمُّ مَاتَتْ وَهْيَ بِالْأَبْوَاءِ ** وَعُمْرُهُ سِتٌّ بِلَا امْتِرَاءِ

٣٣- عَاشَ يَتِيمًا بِأَبِي وَأُمِّي ** آوَاهُ رَبِّي حَاطَهُ بِالْعِلْمِ

٣٤- قَامَ بِهِ الْجَدُّ لِعُمْرِ الثَّامِنَهْ ** مِنْ بَعْدِ مَوْتِ بِنْتِ وَهْبٍ آمِنَهْ

٣٥- حَضَانَةٌ كَانَتْ لِأُمِّ أَيْمَنِ ** جَزَاهَا رَبِّي بِعَظِيمِ الْمِنَنِ

٣٦- ثُمَّ رَعَاهُ عَمُّهُ الْقَرِيبُ ** وَحَاطَهُ بِالنُّصْحِ يَا لَبِيبُ

٣٧- عَبْدُ مَنَافٍ اسْمُهُ الْمَشْهُورُ ** أَبٌ لِطَالِبٍ فَتًى مَثْبُورُ

٣٨- فِي ثَانِ عَشْرَةٍ مِنَ الْأَعْوَامِ ** خُرُوجُهُ كَانَ لِأَرْضِ الشَّامِ

٣٩- حَذَّرَهُمْ مِنْهُ بَحِيرَا الرَّاهِبُ ** إِذِ الْيَهُودِيُّ بِهِ يُطَالِبُ

٤٠- قِصَّتُهُ فِيهَا الْمَلَا يَخْتَلِفُ ** وَرَاجِحُ الْقَوْلِ بِهَا تَأْتَلِفُ

٤١- وَاقِعَةٌ ثَابِتَةٌ أَكِيدَهْ ** وَرَدُّ مَا يُنْكَرُ فِي الْعَقِيدَهْ

٤٢- وَقَدْ رَعَى الْأَغْنَامَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ ** عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةِ

٤٣- قَدْ صَانَهُ اللهُ عَنِ السَّفَاسِفِ ** جَمِيلُ وَجْهٍ لَمْ يَكُنْ بِالْكَاسِفِ

٤٤- وَحِلْفُ ذِي الْفُضُولِ كَانَ حَاضِرَا ** مَعْ عَمِّهِ وَلَمْ يَكُنْ مُنَافِرَا

٤٥- خُرُوجُهُ الثَّانِي لِأَرْضِ الْمَحْشَرِ ** وَطَالِبًا لِلرِّزْقِ مِنْ ذَا الْمَتْجَرِ

٤٦- زَوَاجُهُ كَانَ عَلَى خَدِيجَهْ ** طَاهِرَةٍ فَاضِلَةٍ بَهِيجَهْ

٤٧- فِي سِنِّ خَمْسٍ بَعْدَ ذِي الْعِشْرِينَا ** حَبَاهُ رَبِّي جُمْلَةَ الْبَنِينَا

٤٨- قَـدْ لَقَّبُـوهُ الصَّـادِقَ الْأَمِينَـا ** جَمِيـلُ طَبْـعٍ تَلْقَـهُ مُبِينَـا
٤٩- بَعْـدَ الثَّلَاثِـينَ بِخَمْـسٍ حَاضِـرَهْ ** كَـادَتْ قُلُـوبٌ أَنْ تَكُـونَ نَـافِرَهْ
٥٠- أَيْ حِـينَ كَـانُوا فِـي بِنَـاءِ الْكَعْبَـةِ ** وَاخْتَلَفَتْ قُـرَيْشُ فِي ذِي الْحِقْبَةِ
٥١- كُـلٌّ يُرِيـدُ مِـنْهُمُ رَفْـعَ الْحَجَـرْ ** فَكَـانَ حُكْمُـهُ سَـبِيلًا لِلظَّفَـرْ
٥٢- حَبَـاهُ رَبِّـي بِسَـلَامِ الْحَجَـرِ ** عَلَيْـهِ إِذْ يَمْشِـي بِـلَا تَـأَخُّرِ
٥٣- مُخَالِفًـا لِلْحُمْـسِ فِـي الْعِبَـادَهْ ** طَرِيـقِ رُشْـدٍ وَبِهَـا السِّـيَادَهْ

الإرهاصات التي وقعت قبل نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٥٤- دَعَـا الْخَلِيـلُ رَبَّـهُ تَعَـالَىٰ ** بِـدَعْوَةٍ صَـادِقَةٍ فَقَـالَ
٥٥- يَـارَبِّ وَابْعَـثْ فِـيهِمُ رَسُـولَا ** مِـنْ نَفْسِـهِمْ يُبَلِّـغُ التَّنْـزِيلَا
٥٦- بُشْـرَىٰ بِـهِ قَـدْ جَـاءَ فِـي التَّـوْرَاةِ ** وَصْـفٌ دَقِيـقٌ وَاضِـحُ الْآيَـاتِ
٥٧- عِيسَـىٰ أَتَـىٰ مُصَـدِّقًا مُمَجِّـدَا ** مُبَشِّـرًا لِقَوْمِـهِ بِأَحْمَـدَا
٥٨- رُؤْيَـا لِأُمِّـهِ مِـنَ الْأَعْـلَامِ ** نُـورٌ عَظِـيمٌ عَـمَّ أَرْضَ الشَّـامِ
٥٩- رَمْـيُ شِـهَابٍ ثَابِـتٌ بِالنَّقْـلِ ** يُحْرِقُ ذَا الشَّيْطَانَ أَصْلَ الدَّجْلِ
٦٠- قَـدْ عَظُـمَ الْجَهْـلُ وَعَـمَّ الشَّـرُّ ** شِـرْكٌ وَقَتْـلٌ قَـدْ فَشَـا وَالضُّـرُّ
٦١- قَبْـلَ نُـزُولِ الْـوَحْيِ رُؤْيَـا تُـذْكَرُ ** كَفَلَـقِ الصُّـبْحِ فَلَيْسَـتْ تُنْكَـرُ
٦٢- وَكَـانَ يَخْلُـو فِـي لَيَـالٍ ذِي عَـدَدْ ** تَعَبُّـدًا لِرَبِّـهِ الْحَـيِّ الصَّـمَدْ
٦٣- فِـي غَارِهَـا الْمَوْسُـومِ بِـالْحِرَاءِ ** يَـدْعُو عَظِـيمَ الْفَضْـلِ ذَا الْآلَاءِ
٦٤- يَسْـمَعُ صَـوْتًا وَيَـرَىٰ الْأَنْـوَارَا ** إِعْـدَادُهُ كَـيْ يَحْفَـظَ الْأَسْـرَارَا

٦٥- فَالْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَا أَوْلَىٰ ** فَهُوَ الرَّحِيمُ وَالْعَلِيُّ الْأَعْلَىٰ

بدء الوحي وما لحقه من أحداث إلىٰ قبل الهجرة

٦٦- أَكْرَمَهُ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ الْوَرَىٰ ** بِبَعْثِهِ بِالنُّورِ فِي أُمِّ الْقُرَىٰ

٦٧- إِذْ خَتَمَ اللهُ بِهِ الرِّسَالَهْ ** فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ ذِي الْمَقَالَهْ

٦٨- أَرْسَلَهُ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ ** قَوْلٌ أَكِيدٌ ثَابِتُ الْأَسَاسِ

٦٩- وَذَاكَ مَعْدُودٌ مِنَ الشَّمَائِلِ ** ذَكَرَهُ الرَّسُولُ فِي الْفَضَائِلِ

٧٠- فِي الْأَرْبَعِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ ** وَحْيُ الْإِلَهِ إِنَّهُ الْمَنَّانُ

٧١- إِذْ جَاءَهُ جِبْرِيلُ بِالْفُرْقَانِ ** كَلَامِ رَبِّنَا عَظِيمِ الشَّانِ

٧٢- اقْرَأْ فَقَالَ مَا أَنَا بِقَارِي ** كَمَا رَوَىٰ مُسْلِمُ وَالْبُخَارِي

٧٣- فَغَطَّهُ حَتَّىٰ عَلَاهُ الْجَهْدُ ** ثُمَّ تَلَاهَا تَمَّ ذَاكَ الْعَهْدُ

٧٤- فَعَادَ نَحْوَ الْبَيْتِ يَمْشِي خَائِفَا ** مُرْتَعِدًا مِمَّا رَآهُ آنِفَا

٧٥- يَقُولُ بِالْجَهِيرِ زَمِّلُونِي ** فَقَدْ عَرَانِي الرَّهْبُ دَثِّرُونِي

٧٦- قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ لَمَّا بَدَا ** وَاللهِ لَا يُخْزِيكَ رَبِّي أَبَدَا

٧٧- إِذْ تَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَقْرِي الضَّيْفَا ** وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَالضَّعِيفَا

٧٨- فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَىٰ ابْنِ نَوْفَلِ ** شَيْخٌ جَلِيلُ الْقَدْرِ وَالْفَضَائِلِ

٧٩- فَقَالَ ذَا النَّامُوسُ يَا أُخَيَّا ** جَاءَ لِمُوسَىٰ فَلْتَكُنْ حَفِيَّا

٨٠- يَا لَيْتَنِي أَكُونَ فِيهَا جَذَعَا ** إِذْ يُخْرِجُوكَ وَأَكُنْ مُتَّبِعَا

٨١- ثُمَّ فُتُورُ الْوَحْيِ قَدْ تَلَاهُ ** وَبَعْدَ ذَا مُدَّثِرًا أَوْحَاهُ

٨٢- فَابْتَـــدَأَ الرَّسُـــولُ بِالنَّـــذَارَةِ ** إِلَـــىٰ طَرِيـــقِ الـــدِّينِ بِالبِشَـــارَةِ
٨٣- أَوَّلُ مُـــؤْمِنٍ مِـــنَ الرِّجَـــالِ ** أَبٌ لِبَكْـــرٍ كَامِـــلُ الْخِصَـــالِ
٨٤- وَمُطْلَقًـــا أَوَّلُهُـــمْ خَدِيجَـــهْ ** مَـــنْ بُشِّـــرَتْ بِشَـــارَةً بَهِيجَـــهْ
٨٥- وَفِـــي الصِّـــغَارِ ذَكَـــرُوا عَلِيًّـــا ** فَكُـــنْ بِهَـــذَا يَـــا أَخِـــي رَضِـــيًّا
٨٦- ثُـــمَّ تَلَتْهَـــا الـــدَّعْوَةُ السِّـــرِّيَّهْ ** أَعْوَامُهَـــا شَـــدِيدَةٌ ذُعْرِيَّـــهْ
٨٧- وَاتَّخَـــذَ الرَّسُـــولُ دَارَ الْأَرْقَـــمِ ** مُتَّخِـــذًا لِلسِّـــتْرِ وَالتَّكَـــتُّمِ
٨٨- وَبَعْـــدَهَا الْمَرْحَلَـــةُ الْجَهْرِيَّـــهْ ** سِـــنِينُهَا عَشْـــرٌ مَـــعَ الْأَذِيَّـــهْ
٨٩- إِذْ أُمِـــرَ النَّبِـــيُّ بِالْجِهَـــارِ ** (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) فِي الْأَمْصَارِ
٩٠- فَكَـانَ مِنْـهُ جَمْعُهُـمْ عَلَـىٰ الصَّـفَا ** يَـدْعُوهُمُ بِـالرِّفْقِ مِـنْ غَيْـرِ جَفَـا
٩١- فَقَـــامَ فِـــيهِمْ رَجُـــلٌ عَنِيـــدُ ** مُعَـــارِضٌ وَسِـــيِّءٌ صِـــنْدِيدُ
٩٢- فَقَـــالَ تَبًّـــا أَلِـــذَا جُمِعْنَـــا ** تَبَّـــتْ يَـــدَاهُ فِـــي الْهُـــدَىٰ قَرَأْنَـــا
٩٣- أَعْطَـــاهُ رَبِّـــي أَفْضَـــلَ الْآيَـــاتِ ** وَحْيًـــا رَآهُ أَعْظَـــمَ الْهِبَـــاتِ
٩٤- أَحَاطَـــهُ اللهُ بِعَـــمٍّ ذِي رَحِـــمْ ** أَبٌ لِطَالِـــبٍ وَهَـــذَا قَـــدْ عُلِـــمْ
٩٥- تَتَـــابَعَ الْأَذَىٰ مِـــنَ الْكُفَّـــارِ ** وَاجْتَمَعُـــوا لِلْـــبَطْشِ بِـــالْأَبْرَارِ
٩٦- فَعَـــذَّبُوهُمْ أَبْشَـــعَ التَّعْـــذِيبِ ** بِالْقَتْـــلِ وَالضَّـــرْبِ مَـــعَ التَّرْهِيـــبِ
٩٧- فَـــأَذِنَ اللهُ لَهُـــمْ بِـــالْهِجْرَةِ ** إِلَـــىٰ النَّجَاشِـــيْ طَلَبًـــا لِلْجِيـــرَةِ
٩٨- فَأَرْسَـــلَ الْكُفَّـــارُ لِلنَّجَاشِـــي ** يَرْشُـــونَهُ فِـــي جُمْلَـــةِ الْأَحْبَـــاشِ
٩٩- لِـــرَدِّ صَـــحْبٍ لِلرَّسُـــولِ وَصَـــلُوا ** لِأَرْضِـــهِ وَالْأَمْـــنَ فِيهَـــا حَصَّـــلُوا
١٠٠- عَـــادُوا بِجَـــرِّ الْخِـــزْيِ وَالْمَهَانَـــهْ ** حَمْـــدًا لِرَبِّـــي دِينَـــهُ قَـــدْ صَـــانَهْ

١٠١- وَعَادَ بَعْضٌ مِنْهُمُ لَمَّا اسْتَمَعْ ** بِأَنَّهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا لَكِنْ رَجَعْ

١٠٢- فَكَانَتِ الْهِجْرَةُ مَرَّتَيْنِ ** إِلَىٰ النَّجَاشِي فَاعْقِلِ الْأَمْرَيْنِ

١٠٣- وَدَخَلَ الْفَارُوقُ فِي الْإِسْلَامِ ** إِذْ أَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَعْلَامِ

١٠٤- أَعَزَّ رَبُّنَا بِهِ الْأَصْحَابَا ** وَدَعْوَةَ الرَّسُولِ قَدْ أَجَابَا

١٠٥- وَقَدْ كَفَاهُ اللهُ قَوْمَ الْهَازِئِينْ ** حَمْدًا لِرَبِّي دَائِمًا فِي الْعَالَمِينْ

١٠٦- ثُمَّ قُرَيْشٌ قَدْ شَكَتْهُ صَاغِرَهْ ** لِعَمِّهِ عَادَتْ بِرَغْمٍ عَاثِرَهْ

١٠٧- ضِمَادُهُمْ جَاءَ يُرِيدُ الرُّقْيَه ** فَتَمَّ إِسْلَامٌ لَه بِالْخِفْيَه

١٠٨- وَكَانَ فِيهَا حَادِثٌ لِلْقَمَرِ ** أَعْنِي انْشِقَاقًا كَمْ بِهِ مِنْ عِبَرِ

١٠٩- فَأَعْرَضُوا وَيَزْعُمُونَ السِّحْرَا ** إِذْ يُلْحِدُونَ جَهْرَةً وَسِرَّا

١١٠- قَدْ سَأَلُوا الْآيَاتِ لِلْإِسْلَامِ ** حَمْدًا لِرَبِّي صَاحِبِ الْإِنْعَامِ

١١١- وَأَجْمَعَ الْكُفَّارُ لِلْمُقَاطَعَهْ ** لِمَنْ تَوَلَّاهُمْ فَكَانَتْ فَاجِعَهْ

١١٢- ظُلْمٌ عَظِيمٌ قَطَعُوا الْأَرْحَامَا ** قَدْ عَبَدُوا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَا

١١٣- وَكَانَ صَابِرًا عَلَىٰ الْبَلَاءِ ** وَشَاكِرًا للهِ فِي السَّرَّاءِ

١١٤- سَبَبُهُ فُشُوُّ ذَا الْإِيمَانِ ** بَيْنَ الْعِبَادِ نِعْمَةُ الْمَنَّانِ

١١٥- ثَلَاثُ أَعْوَامٍ بِلَا نَكِيرِ ** ثُمَّ تَلَتْهَا رَحْمَةُ الْخَبِيرِ

١١٦- وَحِينَ كَانَ نَقْضُ ذِي الصَّحِيفَهْ ** وَحَالَةُ النَّاسِ غَدَتْ ضَعِيفَهْ

١١٧- وَبَعْدَهُ قَدْ مَاتَ عَمٌّ قَدْ نَصَرْ ** خَيْرَ الْوَرَىٰ وَكُفْرُهُ قَدِ اسْتَقَرْ

١١٨- تَلَاهُ قَبْضُ الزَّوْجَةِ الْوَفِيَّهْ ** خَدِيجَةَ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّهْ

١١٩- بَعْدَ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْأَيَّامِ ** حُزْنٌ عَظِيمٌ حَلَّ فِي ذَا الْعَامِ

١٢٠- وَأَسْلَمَ الْعَمُّ الْقَرِيبُ حَمْزَهْ ** فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَعَزَّهْ

١٢١- وَبَعْدَ ذَا خُرُوجُهُ لِلطَّائِفِ ** يَدْعُو إِلَىٰ الْخَلَّاقِ ذِي اللَّطَائِفِ

١٢٢- لَكِنَّهُمْ أَغْرَوْا بِهِ الصِّبْيَانَا ** وَصَيَّرُوهُ بَيْنَهُمْ مُهَانَا

١٢٣- فَلَمْ يَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعْلَبِ ** وَفَاتَهُ الَّذِي رَجَا مِنْ مَطْلَبِ

١٢٤- بِنَخْلَةٍ كَانَ سَمَاعُ الْجِنِّ ** هِدَايَةُ اللهِ عَظِيمِ الْمَنِّ

١٢٥- وَقَدْ دَعَا الْجِنَّ إِلَىٰ الْإِيمَانِ ** كَمَا أَتَىٰ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

١٢٦- ثُمَّ تَلَاهُ حَادِثُ الْإِسْرَاءِ ** لِبَيْتِ قُدْسٍ ذَاعَ فِي الْأَرْجَاءِ

١٢٧- يَقَظَةً فِي قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ ** فَالْحَمْدُ للهِ عَظِيمِ الْمِنَّةِ

١٢٨- وَهَكَذَا عُرُوجُهُ إِلَىٰ السَّمَا ** أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ وَأَنْعَمَا

١٢٩- وَكَانَ فِيهِ فَرْضُ ذِي الصَّلَاةِ ** خَمْسُونَ فِي الْأَجْرِ وَفِي الْهِبَاتِ

١٣٠- وَقَدْ رَأَىٰ مِنْ جُمْلَةِ الْآيَاتِ ** ثَمَ الْأَمِينَ سَدَّ ذِي الْجِهَاتِ

١٣١- وَرُؤْيَةُ الرَّبِّ تَعَالَىٰ ذِي الْكَرَمْ ** رُؤْيَا فُؤَادٍ إِنَّ ذَا قَوْلٌ أَتَمْ

١٣٢- تَزَوَّجَ الْمُخْتَارُ بَعْدُ عَائِشَهْ ** وَسَوْدَةً وَلَمْ تَكُنْ مُنَاقِشَهْ

١٣٣- وَأَخَّرَ الْبِنَاءَ بِالصِّدِّيقَهْ ** لِبَعْدِ هِجْرَةٍ فَخُذْ تَحْقِيقَهْ

١٣٤- دَعَا عَلَىٰ الْكُفَّارِ أَلَّا يُمْطَرُوا ** سَبْعَ سِنِينَ كَانَ فِيهَا الضَّرَرُ

١٣٥- عَشْرُ سِنِينَ وَالرَّسُولُ يَتْبَعُ ** مَجَامِعَ النَّاسِ لِكَيْمَا يَسْمَعُوا

١٣٦- فَسَارَ فِي عُكَاظَ وَالْمَجِنَّةِ ** وَذِي الْمَجَازِ هَادِيًا لِلْجَنَّةِ

١٣٧- يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ فِي الْمَجَامِعِ ** مُبَلِّغًا لِدِينِ رَبٍّ سَامِعِ

١٣٨- وَيَعْرِضُ النَّفْسَ عَلَىٰ الْعَشَائِرْ ** يَطْلُبُ مَنْ يُؤْوِيهِ أَوْ يُنَاصِرْ

١٣٩- فَكَانَ مِنْهَا عَرْضُ ذِي الْهَمْدَانِي ** حَدِيثُهُ فِي مُسْنَدِ الشَّيْبَانِي

١٤٠- ثُمَّ تَلَتْهُ بَيْعَةُ الْأَنْصَارِ ** يَحْمُونَهُ مِنْ سَطْوَةِ الْكُفَّارِ

١٤١- فَشَرُفَ الْأَنْصَارُ بِالْإِسْلَامِ ** حَمْدًا لِرَبِّي صَاحِبِ الْإِنْعَامِ

١٤٢- مَكَانُهَا فِي الشِّعْبِ دُونَ الْعَقَبَهْ ** حَضَرَهَا الْعَبَّاسُ قَوَىٰ طَلَبَهْ

١٤٣- وَقَدْ فَشَا الْإِسْلَامُ فِي الْأَنْصَارِ ** حَمْدًا لِرَبِّي الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

١٤٤- فَخَرَجَ النَّاسُ إِلَىٰ الْمَدِينَهْ ** يَفِرُّ كُلٌّ مِنْهُمُ وَدِينَهْ

١٤٥- وَبَقِيَ الرَّسُولُ وَالصِّدِّيقُ ** يَرْتَقِبُ الْإِذْنَ بِهِ حَقِيقُ

١٤٦- بِمَكَّةٍ أَيْضًا عَلِيٌّ قَدْ بَقِي ** رَدَّ الْأَمَانَاتِ فَنِعْمَ الْمُتَّقِي

أحداث الهجرة إلىٰ أن وصل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة

١٤٧- وَقَدْ أَتَىٰ الْإِذْنُ بِأَنْ يُهَاجِرُوا ** فَانْطَلَقُوا حَالًا وَمَا تَأَخَّرُوا

١٤٨- وَابْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصِّدِّيقُ ** أَعَدَّ رَحْلًا إِذْ هُوَ الرَّفِيقُ

١٤٩- وَاسْتَأْجَرَ الْمُخْتَارُ مَنْ يَهْدِيهِ ** طَرِيقَ هِجْرَةٍ أَمَانٌ فِيهِ

١٥٠- فَأَجْمَعَتْ مَكْرًا قُرَيْشٌ بِالنَّبِي ** فَخَابَ مَكْرُ الْقَوْمِ سُحْقًا لِلْغَبِي

١٥١- فَانْقَلَبُوا بِأَسْوَإِ الْحَالَاتِ ** ذُرَّ التُّرَابُ فَوْقَ ذِي الْهَامَاتِ

١٥٢- وَانْطَلَقَا مِنْ لَيْلِهِمْ إِلَىٰ جَبَلْ ** يُدْعَىٰ بِثَوْرٍ فِيهِ غَارٌ فَنَزَلْ

١٥٣- فَجَاءَ أَهْلُ الْكُفْرِ يُسْرِعُونَا ** إِلَىٰ فَمِ الْغَارِ وَيَهْرَعُونَا

١٥٤- فَقَالَ صِدِّيقٌ غَدَوْا عَلَيْنَا ** لَوْ نَظَرُوا أَقْدَامَهُمْ رُئِينَا

١٥٥- قَالَ الرَّسُولُ إِنَّ رَبِّي مَعَنَا ** ثَالِثُنَا وَبِالدُّعَا يَسْمَعُنَا

١٥٦- ذَاتُ النِّطَاقِ قَدْ أَتَتْ بِالثَّمَرِ ** وَابْنُ أَبِي بَكْرٍ أَتَىٰ بِالْخَبَرِ
١٥٧- بَعْدَ ثَلَاثٍ جَهَّزُوا الرِّحَالَا ** فَانْطَلَقُوا وَقَطَعُوا الْأَمْيَالَا
١٥٨- تَبِعَهُمْ سُرَاقَةُ بْنُ جُعْشُمِ ** فَتًى شَدِيدٌ سَارَ فِي تَجَشُّمِ
١٥٩- رِهَانُهُمْ فِي مِائَةٍ مِنَ الْإِبِلْ ** لِمَنْ أَتَىٰ بِخَبَرٍ عَنِ الرَّجُلْ
١٦٠- فَسَاخَتِ الْخَيْلُ فَعَادَ تَائِبَا ** مُدَافِعًا عَنِ الرَّسُولِ صَائِبَا
١٦١- مَرَّا عَلَىٰ دَارٍ لِأُمِّ مَعْبَدِ ** فِيهَا مِنَ الْآيِ كَثِيرٌ فَاعْدُدِ
١٦٢- مِنْ حَلْبِ شَاةٍ لَيْسَ فِيهَا مِنْ ** فَدَرَّ ضَرْعٌ نِعْمَ هَذِهِ الْمِنَنْ
١٦٣- أَنْصَارُهُ قَدْ خَرَجُوا فِي الشَّمْسِ ** يَسْتَقْبِلُونَ جَدَّهُمْ[1] مِنْ أَمْسِ

الأحداث التي كانت في المدينة مبدأ الهجرة

١٦٤- فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ** قَدْ نَزَلَ الْمُخْتَارُ وَسْطَ الْمُقَلِ
١٦٥- وَفِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ قَدْ نَزَلْ ** مِنْ خِيرَةِ الْأَنْصَارِ وَالْقَوْمِ الْأُوَلْ
١٦٦- عَشْرٌ مِنَ الْأَيَّامِ كَانَ فِيهَا ** وَزِدْ عَلَيْهَا أَرْبَعًا تَالِيهَا
١٦٧- وَأَسَّسَ الْمَسْجِدَ فِي قُبَاءِ ** يَا رَبَّنَا حَمْدًا عَلَى النَّعْمَاءِ
١٦٨- وَمَوْلِدٌ لِابْنِ الزُّبَيْرِ قَدْ حَصَلَ ** أَوَّلُ مَوْلُودٍ لِمَنْ كَانَ انْتَقَلْ
١٦٩- ثُمَّ مَضَىٰ فِي جُمْلَةِ الْأَنْصَارِ ** حَتَّىٰ أَتَىٰ عَلَىٰ بَنِي النَّجَّارِ
١٧٠- تَمْضِي بِهِ نَاقَتُهُ الْمَأْمُورَهْ ** عِنَايَةُ الْبَارِي بِهِ مَشْهُورَهْ

---

(١) في البخاري (٣٩٠٦) عن عائشة: (فقال اليهودي بأعلىٰ صوته: يا معشر العرب، هَذَا جَدُّكُمْ). قال في فتح الباري (١١/ ٢٣٦) بِفَتْحِ الْجِيم، أَيْ: حَظّكُمْ، وَصَاحِب دَوْلَتكُمْ الَّذِي تَتَوَقَّعُونَهُ.

١٧١- وَنَـــزَلَ الْمُخْتَـــارُ دَارَ الْخَـــالِ ** عِنْـدَ أَبِـي أَيُّـوبَ ذِي الْوِصَـالِ
١٧٢- مَدِينَـــةُ الرَّسُـــولِ قَـــدَ عَلَاهَـــا ** نُـــورٌ بِمَقْـــدَمِ الَّـــذِي أَتَاهَـــا
١٧٣- وَاخْتَـارَ أَرْضًـا لِبِنَـاءِ الْمَسْـجِدِ ** فَحَبَّـــذَا الْمَكَـــانُ لِلتَّهَجُّـــدِ
١٧٤- تَعَـــاوَنَ الْأَخْيَـــارُ فِـــي الْبِنَـــاءِ ** حَتَّىٰ اسْتَوَىٰ الصَّرْحُ عَلَىٰ الْبَيْدَاءِ
١٧٥- أُخُـــوَّةُ الْأَنْصَـــارِ مَـــعْ مُهَـــاجِرَهْ ** فَـتْحٌ عَظِيمٌ فِـي الـدُّنَا وَالْآخِـرَهْ
١٧٦- وَالصُّلْحُ أَيْضًا مَعْ يَهُودَ قَدْ حَصَلْ ** لِصَـــدِّ شَـــرٍّ بِـــالْبِلَادِ لَـــوْ نَـــزَلْ
١٧٧- وَشُـــــرِعَ الْأَذَانُ لِلْإِعْـــــلَامِ ** شَـعِيرَةٌ عُظْمَىٰ بِـذِي الْإِسْـلَامِ
١٧٨- حَدِيثُـهُ يُـرْوَىٰ عَـنِ ابْـنِ زَيْـدِ ** حَمْـدًا لِرَبِّـي الْوَاحِـدِ الْمَجِيـدِ

الأحداث والغزوات بعد استقراره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة

١٧٩- وَكَـــــانَ إِذْنُ اللهِ بِالْقِتَـــــالِ ** لِصَـــدِّ بَغْـيِ الْمُعْتَـدِي الصَّـوَّالِ
١٨٠- ثُـــمَّ تَـــلَاهُ فَـــرْضُ ذَا الْجِهَـــادِ ** لِنَشْـــرِ دِيـــنِ اللهِ فِـــي الْـــبِلَادِ
١٨١- أَوَّلُ غَـــزْوٍ كَـــانَ لِلْأَبْـــوَاءِ ** ثُـــمَّ بُـــوَاطٍ دُونَمَـــا امْتِـــرَاءِ
١٨٢- تَلَتْـــهُ غَـــزْوَةٌ هِـــيَ الْعُشَـــيْرَهْ ** وَرُبَّمَـــا قِيـــلَ لَهَـــا الْعُسَـــيْرَهْ
١٨٣- صَبْرٌ مِنَ الصَّحْبِ الْكِرَامِ الْبَرَرَهْ ** يَبْغُـونَ فَضْـلًا فِـي الـدُّنَا وَالْآخِـرَهْ
١٨٤- سَـبْعٌ مِـنَ الشُّـهُورِ فَـوْقَ عَشْـرِ ** مُتَّجِهًـا لِلْقُـدْسِ أَرْضِ الْحَشْـرِ
١٨٥- وَقِبْلَـةٌ حِيلَـتْ إِلَـىٰ أُمِّ الْقُـرَىٰ ** وَالِانْقِيَـادُ مِـنْهُمُ قَـدْ ظَهَـرَا
١٨٦- فِي عَامِ ثَانِي فَرْضُ ذَا الصِّيَامِ ** فَحَـافِظَنْ فِيـهِ عَلَـىٰ الْقِيَـامِ
١٨٧- أَنْصِبَةُ الزَّكَـاةِ أَيْضًـا حُـدِّدَتْ ** فِيـهِ وَأَيْضًـا قَبْـلَ ذَا قَـدْ فُرِضَـتْ

١٨٨- بَنَىٰ الرَّسُولُ بِابْنَةِ الصِّدِّيقِ ** صِهْرِ النَّبِيْ لُقِّبَ بِالْعَتِيقِ
١٨٩- ثُمَّ تَلَاهُ غَزْوَةٌ لِبَدْرِ ** أَذَلَّ فِيهَا اللهُ دِينَ الْكُفْرِ
١٩٠- وَوَصْفُهَا قَدْ جَاءَ بِالْفُرْقَانِ ** فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ بِالْقُرْآنِ
١٩١- أَعَزَّ فِيهَا اللهُ أَهْلَ الدِّينِ ** حَمْدًا لِرَبِّي بَاسِطِ الْيَدَيْنِ
١٩٢- إِذْ بَاتَ فِيهَا سَيِّدُ الْبَرَايَا ** يَدْعُو السَّمِيعَ وَاهِبَ الْعَطَايَا
١٩٣- وَخَرَجُوا وَالنَّقْصُ فِي الظُّهُورِ ** كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَىٰ بَعِيرِ
١٩٤- فَأَكْرَمَ اللهُ تَعَالَىٰ عَبْدَهُ ** أَمَدَّ بِالْأَمْلَاكِ كَانُوا جُنْدَهُ
١٩٥- قَتْلٌ لِسَبْعِينَ مِنَ الْكُفَّارِ ** وَمِثْلُهُمْ فِي الْأَسْرِ مِنْ فُجَّارِ
١٩٦- أَلْقَاهُمُ الرَّسُولُ فِي الْقَلِيبِ ** خَاطَبَهُمْ كَالْحَاضِرِ الْقَرِيبِ
١٩٧- وَكَانَ فِيهَا حِلُّ ذِي الْغَنَائِمِ ** فَالشُّكْرُ للهِ الْعَزِيزِ الرَّاحِمِ
١٩٨- وَبَعْدَ ذَا قَدْ ظَهَرَ النِّفَاقُ ** أَتْعِسْ بِقَوْمٍ إِنَّهُمْ فُسَّاقُ
١٩٩- مِنْ شَأْنِهِمْ قَدْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَا ** وَأَبْطَنُوا ذَا الْكُفْرَ وَالْإِجْرَامَا
٢٠٠- أَوْعَدَهُمْ رَبِّي جَمِيعًا بِسَقَرْ ** فِي دَرَكِ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا مَقَرْ

الأحداث والغزوات بين غزوة بدرٍ الكبرىٰ وغزوة أُحُد

٢٠١- وَقَدْ تَجَلَّىٰ مَكْرُ ذِي الْيَهُودِ ** فِي قَيْنُقَاعَ نَقْضُ ذِي الْعُهُودِ
٢٠٢- أَجْلَاهُمُ الرَّسُولُ أَرْضَ الشَّامِ ** قُبْحًا لَهُمْ فِي جُمْلَةِ الْأَعْوَامِ
٢٠٣- وَبَعْدَ ذَا قَتْلٌ لِكَعْبِ الْأَشْرَفِ ** إِذْ كَانَ طَعَّانًا بِأَهْلِ الشَّرَفِ
٢٠٤- وَتَاجِرُ الْحِجَازِ قَتْلُهُ وَقَعْ ** أَبٌ لِرَافِعٍ يَهُودِيٌّ قُطِعْ

٢٠٥- ثُـمَّ غَـزَا الْكُفَّـارُ أَرْضَ طَيْبَـهْ ** وَيَطْلُبُـونَ ثَـأْرَهُمْ مِـنْ حَوْبَـهْ

٢٠٦- فِـي السَّـنَةِ الثَّالِثَـةِ الْهِجْرِيَّـهْ ** شَـوَّالِهَا مِـنْ غَيْـرِ مَـا مَرِيَّـهْ

٢٠٧- أَهْـلُ النِّفَـاقِ جَـانَبُوا السَّـبِيلَا ** وَقَـدْ أَرَادُوا الشَّـرَّ وَالتَّخْـذِيلَا

٢٠٨- فِـي أُحُـدٍ قَـدِ الْتَقَىٰ الْجَمْعَـانِ ** وَكَـانَ نَصْـرٌ لِـذَوِي الْإِيمَـانِ

٢٠٩- ثُـمَّ تَـلَاهُ قَتْـلُ ذِي الْإِيمَـانِ ** سَبْعِينَ إِذْ هُـمْ مِـنْ ذَوِي الْإِحْسَانِ

٢١٠- سَـبَبُهُ خُلْـفٌ لِأَمْـرِ الْمُرْسَـلِ ** وَقَبْلَـهُ التَّقْـدِيرُ مِـنْ رَبٍّ عَلِـي

٢١١- وَاحْتَـدَمَ الصَّـفَّانِ فِـي الْقِتَـالِ ** وَقُصِـد الرَّسُـولُ فِـي ذَا الْحَـالِ

٢١٢- وَكَسَـرُوا الْبَيْضَـةَ فَـوْقَ رَأْسِـهِ ** وَضَـرْبَةٌ كَانَـتْ بِقُـرْبِ ضِرْسِـهِ

٢١٣- وَصَاحَ أَيْضًا فِي الْوَرَىٰ الشَّيْطَانُ ** أَنْ قُتِـلَ الرَّسُـولُ يَـا وَسْـنَانُ

٢١٤- وَدَعْـوَةُ الرَّسُـولِ فِـي أُخْـرَاهُمُ ** أَثَـابَهُمْ غَمًّـا فَيَـا بُشْـرَاهُمُ

٢١٥- وَبَعْـدَ ذَا فَضْـلٌ مِـنَ الـرَّبِّ ** غَـزَاةُ مَتْبُـوعٌ بِحَمْـرَاءِ الْأَسَـدْ

٢١٦- وَصَـاهَرَ الرَّسُـولُ فِيهَـا عُمَـرَا ** إِذْ قَـدْ بَنَـىٰ بِحَفْصَـةٍ وَاشْـتَهَرَا

٢١٧- فِـي السَّـنَةِ الرَّابِعَـةِ الْهِجْرِيَّـهْ ** بَعْـثُ الرَّجِيـعِ ثُلَـةٌ زَكِيَّـهْ

٢١٨- إِذْ قَتَـلَ الْكُفَّـارُ مِـنْهُمْ مَرْثَـدَا ** وَأَدْخَلُـوا خُبَيْـبَ أَيْضًـا مَرْقَـدَا

٢١٩- وَبَعْـدَ ذَا بَعْـثٌ إِلَـىٰ مَعُونَـهْ ** بِئْـرٌ غَـدَا بِالْفِعْلَـةِ الْمَلْعُونَـهْ

٢٢٠- سَـبْعُونَ مِـنْ قُرَّائِنَـا قَـدْ قَتَلُـوا ** غَـدْرًا فَيَـا وَيْحَهُـمُ مَـا فَعَلُـوا

٢٢١- شَـهْرٌ عَلَـيْهِمُ الرَّسُـولُ يَقْنُـتُ ** رِعْـلٌ وَذَكْـوَانٌ بَغَـوْا تَعَنَّتُـوا

٢٢٢- ثُـمَّ تَلَاهَـا غَـزْوَةُ النَّضِـيرِ ** إِذْ مَكَـرَ الْيَهُـودُ بِالنَّـذِيرِ

٢٢٣- قَـدْ كَـانَ فَـيْءٌ لِلرَّسُـولِ يُـذْكَرُ ** أَحْمَـدُ رَبِّـي دَائِمًـا وَأَشْـكُرُ

٢٢٤- أَحْدَاثُهَا قَدْ ذُكِرَتْ فِي الْحَشْرِ ** فِي سُورَةٍ مُحْكَمَةٍ فِي الذِّكْرِ
٢٢٥- وَبَعْدَهَا غَزْوَةُ ذِي الرِّقَاعِ ** إِلَىٰ ذُرَىٰ نَجْدٍ مِنَ الْبِقَاعِ
٢٢٦- وَكَانَ فَرْضٌ لِصَلَاةِ الْخَوْفِ ** فَجَنَّبَ اللهُ شُرُورَ الْحَيْفِ
٢٢٧- وَكَانَ فِيهَا آيَةُ التَّيَمُّمِ ** تَخْفِيفُ رَبِّنَا الْكَرِيمِ الْمُنْعِمِ
٢٢٨- ثُمَّ تَلَاهَا غَزْوُ بَدْرٍ صُغْرَىٰ ** وَدَوْمَةُ الْجَنْدَلِ كَانَتْ ذِكْرَىٰ

أحداث السنة الخامسة من الهجرة وما تلاها إلىٰ حجة الوداع

٢٢٩- وَغَزْوَةٌ يَدْعُونَهَا بِالْمُصْطَلِقْ ** فِي عَامِ خَمْسٍ وَبِهَذَا يَتَّفِقْ
٢٣٠- تَرْجِيحُ أَقْوَالٍ لِأَهْلِ الْعِلْمِ ** وَسَرْدُهَا لَا يَنْطَوِي فِي النَّظْمِ
٢٣١- فِيهَا تَزَوَّجَ النَّبِيُّ جُوَيْرِيَهْ ** مِنْ بَعْدِ عِتْقِهَا وَكَانَتْ حُورِيَهْ
٢٣٢- وَفِيهِ مَذْكُورٌ حَدِيثُ الْإِفْكِ ** يَا رَبِّ سَلِّمْنَا طَرِيقَ الشَّكِّ
٢٣٣- قَدْ خَاضَ أَقْوَامٌ بِعِرْضِ عَائِشَهْ ** فَاتْرُكْ هُدِيتَ ذِي السَّبِيلَ الطَّائِشَهْ
٢٣٤- صِدِّيقَةٌ بَرِيئَةٌ وَرَبِّي ** مَذْكُورَةٌ فِي النُّورِ قُلْ لِي حَسْبِي
٢٣٥- فِي عَامِ خَمْسٍ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِي ** شَوَّالِهَا أَيْضًا فَخُذْهَا وَاحْسِبِ
٢٣٦- قَدْ قَامَ أَحْزَابٌ بِغَزْوٍ يَثْرِبِ ** يَبْغُونَهَا كُفْرًا وَمَا مِنْ مَهْرَبِ
٢٣٧- فَكَانَ خَنْدَقٌ عَلَىٰ الْمَدِينَهْ ** مَكِيدَةُ الْكُفْرِ غَدَتْ مَهِينَهْ
٢٣٨- بَعْدَ بُلُوغِ الْقَلْبِ لِلْحَنَاجِرِ ** سَلَّمَهُمْ رَبِّي بِنَصْرٍ حَاضِرِ
٢٣٩- فَقَدْ كَفَاهُمْ رَبُّنَا الْقِتَالَا ** وَأَرْسَلَ الرِّيحَ بِهَذَا قَالَا
٢٤٠- وَوَضَعَ الرَّسُولُ لَامَ الْحَرْبِ ** وَجَاءَ جِبْرِيلُ بِهَذَا الْعُتْبِ

٢٤١- فَـانْطَلَقَ النَّـاسُ إِلَـىٰ قُرَيْظَـهْ ** مُمْتَـثِلًا لِهَـذِهِ الْفَرِيضَـهْ

٢٤٢- وَابْـنُ مُعَـاذٍ كَـانَ فِيهِمْ حَكَمَـا ** قَتْـلُ الْكِبَـارِ وَالـذَّرَارِي خَـدَمَا

٢٤٣- وَبَعْـدَ ذَا زَوَاجُـهُ مِـنْ زَيْنَـبِ ** زَوَّجَهَـا اللهُ بِقَـوْلٍ طَيِّـبِ

٢٤٤- فِي عَامِ سِتٍّ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِي ** غَـزْوٌ لِلِحْيَـانَ بِـلَادِ الْعَـرَبِ

٢٤٥- ثُـمَّ تَلَاهَـا غَـزْوَةُ الْحُدَيْبِيَـهْ ** فَـتْحٌ عَظِـيمٌ وَطَرِيـقٌ مُرْضِـيَهْ

٢٤٦- وَصُلْحُهَا اشْتَدَّ عَلَىٰ الصَّحَابَهْ ** لِظُلْـمِ كُفَّـارٍ ذَوِي الْقَرَابَـهْ

٢٤٧- قَـدْ رَضِـيَ اللهُ عَـنِ الصَّـحَابَهْ ** فِـي بَيْعَـةٍ قَـدْ حَقَّقُـوا الْإِصَـابَهْ

٢٤٨- وَبَعْـدَهَا غَـزْوٌ وَيُـدْعَىٰ ذَا قَـرَدْ ** وَابْـنٌ لِأَكْـوَعٍ فَتًـىٰ فِيهَـا طَـرَدْ

٢٤٩- فِي عَـامِ سَبْعٍ تَـمَّ غَـزْوُ خَيْبَـرَا ** إِذْ دَخَـلَ الرَّسُـولُ حِـينَ كَبَّـرَا

٢٥٠- وَلَبِثَ الصَّحْبُ لِيَالٍ فِي الْعَدَدْ ** مُحَاصِـرِينَ لِشِـرَارِ ذِي الْبَلَـدْ

٢٥١- فَكَـانَ دَفْـعُ رَايَـةِ الْأَصْـحَابِ ** لِابْـنِ أَبِـي طَالِـبٍ الضَّـرَّابِ

٢٥٢- فَفَـتَحَ اللهُ عَلَـىٰ يَدَيْـهِ ** وَالْتَـزَمَ الْعَهْـدَ الَّـذِي لَدَيْـهِ

٢٥٣- تَحْرِيمُـهُ لِلْحُمُـرِ الْأَهْلِيَّـهْ ** قَـدْ كَـانَ فِيهَـا قِصَّـةٌ مَرْوِيَّـهْ

٢٥٤- وَكَـانَ مِنْـهُ فِعْـلُ ذِي الْمُخَـابَرَهْ ** شَـبِيهَةٌ فِـي الْحُكْـمِ بِالْمُخَاضَـرَهْ

٢٥٥- تَـزَوَّجَ النَّبِـيْ بِهَـا صَـفِيَّهْ ** عَفِيفَـةً مَلِيحَـةً وَفِيَّـهْ

٢٥٦- وَكَـانَ سُـمٌّ لِلنَّبِـيِّ وُضِـعَا ** فِـي لَحْـمِ شَـاةٍ صَـوْتُهَا قَـدْ سُـمِعَا

٢٥٧- وَاتَّجَـهَ النَّبِـيْ إِلَـىٰ وَادِي الْقُـرَىٰ ** وَكَـانَ فِيهَـا نَصْـرُهُ الَّـذِي تَـرَىٰ

٢٥٨- وَصَالَحَ الْيَهُـودَ فِـي أَرْضِ فَدَكْ ** فَـيْءٌ عَظِـيمٌ لِلْعِبَـادِ قَـدْ تَـرَكْ

٢٥٩- وَحِينَ كَـانَ عَـوْدُهُمْ مِـنْ خَيْبَـرَا ** تَـأَخَّرَ الْفَجْـرُ لِنَـوْمٍ قَـدْ جَـرَىٰ

٢٦٠- وَعَادَ مَنْ مَضَىٰ إِلَىٰ الْأَحْبَاشِ ** أَكْرَمَهُمْ أَصْحَمَةُ النَّجَاشِي

٢٦١- وَبَعْدُ غَزْوَةٌ إِلَىٰ فَزَارَهْ ** وَقَادَهَا الصِّدِّيقُ وَقْتَ الْغَارَهْ

٢٦٢- سَرِيَّةٌ إِلَىٰ جُهَيْنَةٍ مَضَتْ ** أُسَامَةٌ رَوَىٰ لَنَا وَثَبَتَتْ

٢٦٣- فِي عَامِ سَبْعٍ عُمْرَةُ الْقَضِيَّهْ ** أَكْرَمَهُمْ رَبِّي لَهُمْ مَزِيَّهْ

٢٦٤- وَقَدْ بَنَىٰ الرَّسُولُ بِالْمَيْمُونَهْ ** فِي حَالِ حِلٍّ قَوْلَةٌ مَضْمُونَهْ

٢٦٥- وَكَتَبَ الرَّسُولُ لِلْمُلُوكِ ** يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ لِلْمَلِيكِ

٢٦٦- إِسْلَامُ خَالِدٍ وَإِبْنِ الْعَاصِ ** فَحَقِّقِ التَّوْحِيدَ مَعْ إِخْلَاصِ

٢٦٧- عَامُ ثَمَانٍ غَزْوَةٌ لِمُوتَهْ ** يَا رَبِّ جَنِّبْنَا طَرِيقَ الْفَوْتَهْ

٢٦٨- قَدْ لَحِقَ الرَّسُولَ فِيهَا الْهَمُّ ** ثَلَاثُ قُوَّادٍ شَذَاهُمْ يَسْمُو

٢٦٩- زَيْدُ الْحَبِيبُ وَيَلِيهِ جَعْفَرُ ** وَابْنُ رَوَاحَةَ الْفُؤَادُ يُفْطَرُ

٢٧٠- وَقَامَ خَالِدٌ بِأَخْذِ الرَّايَهْ ** سَيْفُ الْإِلَهِ إِنَّهُ لَآيَهْ

٢٧١- ثُمَّ تَلَاهَا غَزْوُ ذِي السَّلَاسِلِ ** قَائِدُهُمْ عَمْرٌو فَتَىٰ النَّوَازِلِ

٢٧٢- فِي رَمَضَانَ وَسْطَ هَذَا الْعَامِ ** فَتْحٌ لِبَيْتِ اللهِ بِالْإِسْلَامِ

٢٧٣- إِذْ دَخَلَ النَّبِيْ بِفَتْحٍ عَنْوَهْ ** عَلَىٰ صَحِيحِ الْقَوْلِ دُونَ جَفْوَهْ

٢٧٤- قَدْ لَقِيَ الرَّسُولُ حَالَ السَّفَرِ ** صَخْرَ بْنَ حَرْبٍ طَالِبًا لِلظَّفَرِ

٢٧٥- قَالَ الرَّسُولُ آمِنٌ مَنْ دَخَلَا ** بَيْتًا لِسُفْيَانَ وَدَارًا نَزَلَا

٢٧٦- أَوْ كَانَ دَاخِلًا بِذَاكَ الْمَسْجِدِ ** مَا لَمْ يَكُنْ مُعَانِدًا وَمُعْتَدِي

٢٧٧- قَدْ هَدَمَ الشِّرْكَ مَعَ الْأَصْنَامِ ** نَصْرٌ عَزِيزٌ كَانَ فِي ذَا الْعَامِ

٢٧٨- وَحَرَّمَ الرَّسُولُ فِيهَا الْمُتْعَهْ ** تَحْرِيمُهَا فِي الدَّهْرِ دُونَ رَجْعَهْ

٢٧٩- سَرِيَّةٌ كَانَتْ إِلَىٰ جَذِيمَهْ ** وَابْنُ الْوَلِيدِ قَائِدُ الْعَزِيمَهْ

٢٨٠- لَمْ يُفْصِحُوا بِقَوْلَةِ الْإِسْلَامِ ** فَقُتِلُوا كَجُمْلَةِ الْأَقْوَامِ

٢٨١- وَدَاهُمُ الرَّسُولُ جَمْعًا وَاعْتَذَرْ ** بَرَاءَةً للهِ مِمَّا قَدْ حَضَرْ

٢٨٢- فِي شَهْرِ شَوَّالٍ غَزَا حُنَيْنَا ** نَصْرٌ مِنَ اللهِ أَعَزَّ الدِّينَا

٢٨٣- هَزِيمَةٌ فِي أَوَّلِ اللِّقَاءِ ** بِسَبَبِ الْعُجْبِ بِلَا امْتِرَاءِ

٢٨٤- مَغَانِمٌ قَدْ قُسِمَتْ بَيْنَ الْمَلَا ** كَثِيرَةٌ مِنْ فَضْلِ رَبِّي ذِي الْعُلَا

٢٨٥- ثُمَّ تَلَاهُ عُمْرَةُ الْجِعْرَانَهْ ** مِنْ بَعْدِ قَسْمِ الْعِيرِ وِالْإِعَانَهْ

٢٨٦- غَزْوُ تَبُوكَ كَانَ فِي شَهْرِ رَجَبْ ** مِنْ عَامِ تِسْعٍ كَمْ قَرَأْنَا مِنْ عَجَبْ

٢٨٧- قَدْ أُسْمِيَتْ لِشِدَّةٍ بِالْعُسْرَهْ ** فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ كَانَتْ عِبْرَهْ

٢٨٨- وَصَالَحَ النَّبِيْ أَمِيرَ دُومَهْ ** مَكَانُهُ بِالْقُرْبِ مِنْ سَدُومَهْ

٢٨٩- وَمَرَّ بِالْحِجْرِ بِلَادٍ عُذِّبَتْ ** لَا تَدْخُلُوا إِلَّا بِعَيْنٍ قَدْ بَكَتْ

٢٩٠- وَمَكْرُ أَهْلٍ لِلنِّفَاقِ حَاصِلُ ** يُرِيدُ قَتْلًا وَالرَّسُولُ مُقْبِلُ

٢٩١- سَلَّمَهُ اللهُ لَهُ السَّلَامَهْ ** وَرَجَعُوا بِالْخِزْيِ وَالسَّآمَهْ

٢٩٢- حَالَ الرُّجُوعِ مَرَّ فِي وَادِي ** وَقَدْ أَصَابَ الْخَرْصَ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا

٢٩٣- فَحِينَ كَانَ فِي رُجُوعٍ مِنْ سَفَرْ ** أَرَادَ طَيْبَةً بِهَا نِعْمَ الْمَقَرْ

٢٩٤- وَكَانَ فِيهَا حَرْقُ مَسْجِدِ الضَّرَرْ ** وَفِيهِ قِصَّةٌ لَنَا فِيهَا عِبَرْ

٢٩٥- ثَلَاثَةُ الْقَوْمِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ** لِأَنَّهُمْ فِي الْغَزْوِ قَدْ تَخَلَّفُوا

٢٩٦- وَصَدَقُوا الرَّسُولَ ثُمَّ هُجِرُوا ** تِيبَ عَلَيْهِمْ بِالْمَتَابِ جُبِرُوا

٢٩٧- إِذْ قَدْ عَفَا اللهُ عَنِ الذُّنُوبِ ** وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِالتَّأْدِيبِ

٢٩٨- ثُـمَّ تَلَاهَـا مَقْـدَمُ الْوفُـودِ ** يُبَـادِرُونَ عَقْـدَ ذِي الْعُهُـودِ
٢٩٩- وَمَـاتَ فِيهَـا رَأْسُ ذِي النِّفَـاقِ ** ابْـنُ أُبَـيٍّ أَصْـلُ ذَا الشِّـقَاقِ
٣٠٠- وَكَلَّـفَ الرَّسُـولُ بِالْحُجَّـاجِ ** صِـدِّيقَهُ يَسُـوقُ بِـالْأَفْوَاجِ
٣٠١- وَمَـعْ عَلِـيٍّ خِيـرَةِ الْفِتْيَـانِ ** بَـرَاءَةٌ مِـنْ زُمْـرَةِ الشَّـيْطَانِ
٣٠٢- يَمْنَـعُ حَـجَّ الْمُشْـرِكِينَ أَبَـدَا ** وَيُثْبِـتُ الطَّـوَافَ مِـنْ غَيْـرِ اعْتِـدَا
٣٠٣- تَتَـابَعَ الْوُفُـودُ عَـامَ الْعَاشِـرِ ** وَقَـدْ أَذَلَّ اللهُ دِيـنَ الْكَـافِرِ
٣٠٤- وَارْتَـدَّ فِيهَـا الْأَسْـوَدُ الْعَنْسِـيُّ ** وَإِسْـمُهُ عَبْهَلَـةُ الشَّـقِيُّ
٣٠٥- وَحَجَّـةُ الْـوَدَاعِ كَانَـتْ حَاضِـرَهْ ** مِـنْ بَعْـدِ عَـامِهِمْ غَـدَا فِي الْعَاشِـرَهْ
٣٠٦- قَـدْ أَمَـرَ النَّـاسَ بِـذَا التَّمَتُّـعِ ** وَحَـجَّ قَارِنًـا بِهَـذَا فَـاقْنَعِ
٣٠٧- غَـدِيرُ خُـمٍّ كَانَـتِ الْوَصِـيَّهْ ** بِالـذِّكْرِ ثُـمَّ السُّـنَّةِ الْمَرْضِـيَّهْ
٣٠٨- وَصَّـىٰ بِهَـا أَيْضًـا بِحَـقِّ الْآلِ ** حَمْـدًا لِـذِي الْإِكْـرَامِ وَالْجَـلَالِ
٣٠٩- جَـيْشٌ عَظِـيمٌ قَـادَهُ أُسَـامَةُ ** حِـبُّ الرَّسُـولِ نِعْمَـتِ الْكَرَامَـةُ

الأحداث بعد رجوعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حجة الوداع إلىٰ الوفاة

٣١٠- وَبَعْـدَ حَجَّـةِ الْـوَدَاعِ قَـدْ رَجَـعْ ** إِلَـىٰ مَدِينَـةٍ بِهَـا كَـانَ الْوَجَـعْ
٣١١- قَـدْ أُخْبِـرَ الرَّسُـولُ بِالْوَفَـاةِ ** فِـي سُـورَةِ النَّصْـرِ أَخَـا الثَّبَـاتِ
٣١٢- إِذْ جَـاءَ نَصْـرُ اللهِ ثُـمَّ الْفَـتْحُ ** فَاسْـتَغْفِرِ اللهَ فَفِيـهِ الـرِّبْحُ
٣١٣- وَلَازِمِ التَّسْـبِيحَ لِلـرَّحْمَنِ ** حَمْـدًا لِرَبِّـي الْخَـالِقِ الْمَنَّـانِ
٣١٤- فِي آخِرِ الْأَيَّامِ مِـنْ شَـهْرِ صَـفَرْ ** مِنْ عَامِهَا الْمَذْكُورِ بِالْحَادِي عَشَرْ

٣١٥- كَانَ ابْتِدَاءُ الْمَرَضِ الْعُضَالِ ** صُدَاعُ رَأْسٍ دُونَمَا إِشْكَالِ

٣١٦- فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ** ثَانِي عَشَرْ مِنْهُ عَلَىٰ الْقَوْلِ الْجَلِي

٣١٧- قَدْ خُيِّرَ الرَّسُولُ يُعْطَىٰ الْأُولَىٰ ** وَالْمُلْكَ فَاخْتَارَ الرَّفِيقَ الْأَعْلَىٰ

٣١٨- وَقَدْ قَضَىٰ سِتِّينَ مِنْ أَعْوَامِ ** زِدْهَا ثَلَاثًا حِسْبَةَ التَّمَامِ

٣١٩- قَدْ غُسِّلَ الرَّسُولُ فِي الثِّيَابِ ** تَوْفِيقُ رَبِّي دُونَمَا ارْتِيَابِ

٣٢٠- تَكْفِينُهُ فِي أَبْيَضِ الثِّيَابِ ** ثَلَاثَةٍ مِنْ كُرْسُفِ الْأَخْصَابِ [1]

٣٢١- صَلَّىٰ عَلَيْهِ الصَّحْبُ أَرْسَالًا ** جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ نَصًّا مُحْكَمَا

٣٢٢- ثُمَّ تَلَاهُ الدَّفْنُ حَيْثُ قَدْ قَضَىٰ ** وَجَاءَ فِي ذَاكُمْ حَدِيثٌ مُرْتَضَىٰ

٣٢٣- فِي بَيْتِ عَائِشٍ وَتَمَّ النَّظْمُ ** صَلَاتُنَا عَلَى النَّبِيِّ خَتْمُ

٣٢٤- وَالْآلِ وَالصَّحْبِ ذَوِي الْمَزِيَّهْ ** وَتَمَّتِ الْمَنْظُومَةُ الزَّكِيَّهْ

٣٢٥- وَسَمْتُهَا بِالنَّظْمِ زُعْكُرِيَّهْ ** فِي شَهْرِ شَعْبَانَ فَخُذْ هَدِيَّهْ

٣٢٦- مِنْ عَامِ غَيْنٍ ثُمَّ تَاءٍ قَدْ عُلِمْ ** وَأَلِفٍ مِنْ بَعْدِ مِيمٍ قَدْ نُظِمْ

٣٢٧- تَعْدَادُهَا شِينٌ وَكَافٌ أَذْكُرُ ** يُضَافُ حَاءٌ وَلِرَبِّي أَشْكُرُ

٣٢٨- وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى الْإِعَانَةِ ** لِمَا رَجَوْنَاهُ مِنَ الْإِبَانَةِ

---

(١) نوع من اللباس

وكان إرسالها في ليلة التاسع عشر من رمضان، سنة ١٤٤١ بمسجد الصحابة رضي الله تعالىٰ عنهم بالغيضة والمراجعة الأخيرة في فجر يوم التاسع من شوال من هذا العام.

أبو محمد عبدالحميد بن يحيىٰ الحجوري الزُّعْكُري

وفقه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

١- الْحَمْدُ لِلْمَوْلَىٰ عَظِيمِ الطَّوْلِ ** قَدْ رَحِمَ الْعِبَادَ دُونَ حَوْلِ
٢- أَحْمَدُهُ حَمْدًا عَلَىٰ الدَّوَامِ ** أَشْكُرُهُ شُكْرًا عَلَىٰ الْإِنْعَامِ
٣- صَلَاةُ رَبِّنَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ** مُحَمَّدٍ ذِي الْخُلُقِ الْعَلِيِّ
٤- وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ ** تَعَاقَبَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ

الشَّرْحُ

(بسم الله الرحمن الرحيم): ابتدأ الناظم بالبسملة اقتداء بكتاب الله، وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حيث كان يفتتح رسائله بالبسملة، كما في رسالته في الصحيحين إلىٰ هرقل عظيم الروم، واقتفاء لأثر السلف، فإنهم أطبقوا علىٰ البداءة بها في سائر كتبهم وتصانيفهم ولما في الابتداء بها من التبرك والاستعانة بالله تعالىٰ.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يبدأ رسائله وكتبه بالبسملة بدون حمد، فيقول: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلىٰ هرقل عظيم الروم..) الحديث، ونحو هذا.

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يبدأ خطبه بحمد الله والثناء عليه كما في خطبة الحاجة؛ فهذه هي السنة البداءة في الكتب والرسائل بالبسملة، والبداءة في الخطب بحمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والثناء عليه.

والباء في (بسم الله) للاستعانة.

الله: لفظ الجلالة، علم علىٰ الذات العلية، وهو الاسم الذي تتبعه جميع الأسماء، والصحيح أنه مشتق من أله يأله إلاهة وألوهية، فهو مألوه أي معبود، تألهه القلوب محبة وتعظيما، واسم الله هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنىٰ. ذكر هذا ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في البدائع.

الرحمن : ذو الرحمة الواسعة.

الرحيم : ذو الرحمة الواصلة.

(المقدمة) : هي بداية وأول كلِّ شيء.

جاء في المعجم الوسيط:("المقدمة" من كلِّ شيء أوله، ومن الجيش طائف منه تسير أمامه، ومنه يقال: مقدمة الكتاب، ومقدمة الكلام). [١]

(الحمدُ للمولىٰ): الحمد: من حَمِدَ يَحمَد، حَمْدًا، فهو حامد، والمفعول مَحْمُود وحَميد.

وتعريف الحمد: هو إخبار عن محاسن المحمود مع محبته وتعظيمه.

فالحمد لابدّ فيه من المحبة والتعظيم، بخلاف المدح فإنّه إخبار مجرّد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بدائع الفوائد(٢/ ٩٢): (المخبر عن محاسن الغير إما أن يقترن بإخباره حب له وإجلال أو لا ، فإن اقترن به الحب فهو الحمد وإلا فهو المدح)اهـ

وإذا كُرر الحمد صار ثناءً، فالثناء هو: تكرار المحامد. كما في بدائع الفوائد لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) المعجم الوسيط(٢/ ٧٢٠)

و يدل علىٰ ذلك ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١]، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي..)الحديث.

فقال سبحانه في الحمد (حمدني عبدي)، فلما كرر الوصف قال (أثنىٰ علي عبدي).

(عظيمِ الطَّوْلِ): بفتح الطاء، أي: عظيم الفضل والمنِّ، فهو سبحانه المتفضل علىٰ عباده، المتطوِّل عليهم بما هم فيه من المنن والنعم.

و ذو الطَّوْل اسم لله عَزَّوَجَلَّ، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر:٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره -بعد أن ذكر أقوال المفسِّرين في معناه-: (والمعنىٰ أنَّه المُتفضِّل علىٰ عباده، المتطوِّل عليهم بما هم فيه من المِنَن

والأنعُم التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] الآية) اهـ [١]

(قد رحم العباد): الرحمة بالنسبة للمخلوق: هي رقة بالقلب تتضمن الحنو علىٰ المرحوم والعطف عليه بجلب الخير له ودفع الضرر عنه.

وقد تطلق الرَّحْمَة، ويراد بها ما تقع به الرحمة، كإطلاق الرحمة علىٰ الرِّزق والغيث.

وأما رحمة الله: فهي صفة تليق بجلاله سبحانه؛ تقتضي الإحسان إلىٰ الْمَرْحُومِ.

(دون حول): أي دون قوة منهم؛ فالعبد مفتقر إلىٰ ربه لاحول له ولا قوة.

(أحمده حمداً علىٰ الدوامِ): أي أحمد الله حمداً متتابعاً متتالياً علىٰ الدوام.

(أشكره شكراً علىٰ الإنعامِ): أي أشكر الله شكراً جزيلا وافرا؛ علىٰ إنعامه وفضله.

ونعم الله علىٰ العباد كثيرة لا تعد ولا تحصىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾.

---

(١) تفسير ابن كثير(٤/ ٧٠)

الفرق بين الحمد والشكر:

اختلف أهل العلم في الفرق بين الحمد والشكر علىٰ قولين:

الأول: أن الحمد والشكر بمعنىٰ واحد، وأنه ليس بينهما فرق، واختار هذا ابن جرير الطبري وغيره.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (ومعنىٰ "الْحَمْدُ لله": الشكر خالصًا لله جل ثناؤه، دون سائر ما يعبد من دونه...) اهـ المراد [١]

الثاني: أن بينهما فروق، ومن تلك الفروق:

١- أن الحمد يكون بالقلب واللسان، بخلاف الشكر، فهو بالقلب واللسان والجوارح.

٢- أن الحمد يكون في مقابل نعمة، ويكون بدونها، بخلاف الشكر لا يكون إلا في مقابل نعمة.

---

(١) تفسير الطبري(١/ ١٣٨)

والقول الثاني هو الصواب؛ فالحمد أعم متعلقًا فيكون في النعمة وغيرها، وأخص آلة فيكون بالقلب واللسان.

والشكر بالعكس؛ إذ هو أخص متعلقا فيكون في النعمة فقط، وأعم آلة فيكون بالقلب واللسان والجوارح ، كما قال الشاعر :

أفــادتكم النعمــاءُ منــي ثلاثــةً ** يدي ولساني والضميرَ المُحَجَّبا

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (والفرق بينهما : أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه ، وأخص من جهة متعلقاته ، والحمد أعم من جهة

المتعلقات ، وأخص من جهة الأسباب .

ومعنىٰ هذا: أن الشكر يكون : بالقلب خضوعا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافًا، وبالجوارح طاعة وانقيادا.

ومتعلقه : النعم دون الأوصاف الذاتية ، فال يقال : شكرنا الله علىٰ حياته وسمعه وبصره وعلمه ، وهو المحمود عليها كما هو محمود علىٰ إحسانه وعدله.

والشكر يكون علىٰ الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح والحمد يقع بالقلب واللسان)اهـ[١]

وشكر القلب: أن يقر العبد ويعترف أن هذه النعمة من الله؛ فيحبه لهذا الإنعام.

وشكر اللسان: التحدث بنعم الله من باب الشكر لا من باب المفاخرة.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ: ١١].

وفي سنن ابن ماجة من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال : (أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر..) الحديث، صححه الألباني في صحيح ابن ماجة(٣٤٩٦).

وشكر الجوارح: استعمالها في طاعة الله.

(صلاة ربنا علىٰ النبيِّ): ذكر البخاري في صحيحه عن أبي العالية قال : (صلاة الله علىٰ نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة). وأسنده إسماعيل القاضي في فضل الصلاة رقم(٩٥).

---

(١) مدارج السالكين(٢/ ٢٤٦)

فصلاة الله علىٰ نبيه ثناؤه عليه في الملأ الأعلىٰ. وهذا القول رجحه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقيل: الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن العبد التضرع والدعاء.

وهذا القول فيه نظر إذ أن الله عطف الرحمة علىٰ الصلاة في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، والعطف يقتضي التغاير، وممن ضعف هذا القول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جلاء الأفهام؛ فالأقرب هو القول الأول، والله أعلم.

وأما الصلاة من العبد علىٰ العبد فهي بمعنىٰ الدعاء.

كما في قول الشاعر :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا ** يارب جنب أبي الأوصاب والوجعا

فأجابها قائلا :

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ** نومًا فإن لجنب المرء مضطجعا

أي : عليك مثل الذي دعوتِ.

وأفضل صيغة للصلاة علىٰ النبي ﷺ ، ماجاء في حديث كعب بن عجرة عند البخاري : (قُولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ علَىٰ مُحَمَّدٍ وعلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كما صَلَّيْتَ علَىٰ إبْرَاهِيمَ، وعلَىٰ آلِ إبْرَاهِيمَ...) الحديث.

(محمد) : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، ألهم الله أهله أن يسموه محمدا لما عُلم من جميل صفاته وكثرة محامده.

وقد تكرر هذا الاسم في القرآن في أربعة مواضع:

١ – قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران١٤٤].

٢ – وقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

٣– قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢].

٤ – قوله تعالىٰ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وأسماؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كثيرة ، وكثرة الأسماء عند العرب تدل علىٰ شرف المسمىٰ ورفعته.

ومن أسمائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:

أحمد : وهو اسم علىٰ زنة أفعل التفضيل مشتق من الحمد.

واختلفوا فيه هل هو بمعنىٰ فاعل أو مفعول؟

فقيل: هو بمعنىٰ الفاعل؛ أي حمده لله أكثر من حمد غيره ، فهو أحمد الحامدين لربه.

وقيل: هو بمعنىٰ مفعول، أي يحمده الخلق.

ورجح ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد أنه بمعنىٰ مفعول فقال: (وهذا أبلغ في مدحه وأكمل معنىٰ. ولو أريد معنىٰ الفاعل لسُمِّي الحمّاد، أي كثير الحمد، فإنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أكثر الخلق حمدا لربه، فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الأولىٰ به الحماد كما سميت بذلك أمته..) اهـ المراد [١]

---

(١) زاد المعاد(١/ ٩٠)

وجاء هذا الاسم في القرآن في قوله تعالىٰ : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

الماحي : الذي محا الله به الكفر.

والحاشر : الذي يحشر الناس علىٰ قدميه.

والعاقب : الذي ليس بعده نبي.

ودليل هذه الأسماء ما جاء في البخاري (٤٨٩٦) ، ومسلم(٢٣٥٤) عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي ؛ الَّذِي يُمْحَىٰ بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ ؛ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ عَقِبِي ، وَأَنَا الْعَاقِبُ). وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِي.

وهذه بعض أسماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نكتفي بها وإلا فله أسماء أخرىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

ومما سبق يتبين لنا أن أسماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أعلام وأوصاف ، وليست أعلامـًا محضة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكلها نعوت ليست أعلاما محضة لمجرد التعريف، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال) اهـ[1]

(ذي الخلق العليِّ) : أي صاحب الخلق العليّ الرفيع.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس خُلُقا.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لما سئلت عن خلق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم(٧٤٦): (فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ).

(وآلِهِ) : آل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هم أتباعه علىٰ دينه إلىٰ يوم القيامة، فيدخل فيهم الصحابة فيكون عطفهم عليهم من باب عطف الخاص علىٰ العام، لمزيتهم وفضلهم وشرفهم.

وقيل: إنهم من تحرم عليهم الصدقة ونُسب هذا القول إلىٰ الجمهور وصححه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) زاد المعاد(١/ ٨٤)

وقيل: إنهم خصوص ذريته وأزواجه.

وجمع بعض أهل العلم بين هذه الأقوال؛ بأنه إذا أفرد الآل عن الأتباع فالمعنىٰ الأتباع، وإن أتبع الآل بالأتباع فالآل خصوص من تحرم عليهم الصدقة، والله أعلم.

وآل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ الذين تحرم عليهم الصدقة هم بنو هاشم فقط، وهم آل علي، وآل عباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث بن عبد المطلب، وقد ورد ذكرهم في حديث زيد بن الأرقم عند مسلم وفيه: (أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال ومن هم؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم)

(وصحبه الأطهار) : الصحب جمع صاحب، والصحابي من لقي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مؤمنًا به ومات علىٰ ذلك، ولو تخلل ذلك ردة.

والأطهار: جمع طاهر ؛ لأن أصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قد تطهروا من دنس الشرك ، و هم خير هذه الأمة بعد الأنبياء، ففي الصحيحين من حديث عمران بن حصين: (خيركم قرني ثم الذين يلونهم..) الحديث.

(تعاقُبَ الليلِ مع النهارِ) : أي صلاةً تتعاقَب تعاقُب الليل والنهار.

ومعنىٰ التعاقب ؛ التوالي ، وتعاقب الليل والنهار ؛ أي أن يأتي الليل فيعقبه النهار وهكذا دواليك.

٥- شَـــــــهَادَةٌ للهِ بِالتَّوْحِيـــــــدِ ** أُظْهِرُهَـــا لِشَـــأْنِهَا الْمَجِيـــدِ

٦- وَبَعْـدَ هَـذَا أَبْتَـدِي فِـي الـنَّظْمِ ** وَدَاعِيًـــا إِلَـــىٰ طَرِيـــقِ الْعِلْـــمِ

٧- بِسِـيرَةِ الرَّسُـولِ أَعْنِـىٰ أَحْمَـدَا ** لِأَنَّـهُ بِـالْوَحْيِ وَالْخَيْـرِ اهْتَـدَىٰ

٨- قَـدْ جَعَـلَ اللهُ لَنَـا فِيهَـا الْعِبَـرْ ** لِمُقْتَفِـي سَـبِيلَ رُشْـدٍ وَظَفَـرْ

الشَّرْحُ

(شهادةٌ لله بالتوحيدِ) : الشهادة : هي الإخبار بالشيء عن علم به ، واعتقاد لصحته وثبوته.

ولا تُعتبر الشهادة إلا إذا كانت مصحوبة بالإقرار والإذعان ، وواطأ القلب عليها اللسان ؛ فإن الله قد كذّب المنافقين كما في قوله تعالىٰ : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] ، مع أنهم قالوا بألسنتهم. (١)

والتوحيد في اللغة : مشتق من وحد الشيء إذا جعله واحداً، فهو مصدر وحد يوحد، أي: جعل الشيء واحداً.

(١) شرح الواسطية للهراس(١/ ٥٥)

وفي الشرع : إفراد الله – سبحانه – بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.[١]

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلىٰ بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلىٰ المعاصي والإصرار عليها، ومن عرف هذا عرف قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن الله حرم علىٰ النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله " [٢] ... وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث، التي أشكلت علىٰ كثير من الناس، حتىٰ ظنها بعضهم منسوخة! وظنها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي واستقرار الشرع، وحملها بعضهم علىٰ نار المشركين والكفار وأول بعضهم الدخول بالخلود وقال: المعنىٰ لا يدخلها خالداً، ونحو ذلك من

---

(١) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد لابن عثيمين(١/ ١١)

(٢) رواه البخاري (٤٢٥) ، ومسلم (٣٣) من حديث عتبان بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

التأويلات المستكرهة. فإن الشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، لأن المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار.

بل لا بد من قول القلب، وقول اللسان.

وقول القلب: يتضمن من معرفتها والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله، المختصة به، التي يستحيل ثبوتها لغيره، وقيام هذا المعنىٰ بالقلب علمـًا ومعرفة ويقينـًا وحالاً: ما يوجب تحريم قائلها علىٰ النار.

وتأمل حديث البطاقة [١] التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب صاحبها ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، .... ولكن السر الذي ثقل بطاقة ذلك الرجل هو أنه حصل له ما لم يحصل لغيره من أرباب البطاقات.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٦٩٩٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥)

وتأمل أيضاً ما قام بقلب قاتل المائة [١] من حقائق الإيمان التي لم تشغله عند السياق – الموت – عن السير إلىٰ القرية فجعل ينوء بصدره، ويعالج سكرات الموت، لأن ذلك كان أمراً آخر، وإيماناً آخر ولذلك ألحق بأهل القرية الصالحة ..) اهـ المراد [٢]

و بدأ الناظم بالبسملة ثم الحمد والشكر لله ثم الصلاة والسلام علىٰ محمد وآله وصحبه ، ثم ذكر الشهادة؛ فجعل هذه المقدمة كالخطبة بين يدي مقصوده، وذكره للشهادة هنا مستحب ، ويدل علىٰ ذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: (كلُّ خطبةٍ ليس فيها تشهُّدٌ، فهي كاليدِ الجذْماءِ). [٣]

(أظهرها) : أي الشهادة.

(لشأنها المجيدِ) : أي لعظم شأنها.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠) ، ومسلم (٢٧٦٦) ، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ١٣٠-١٣٢)

(٣) رواه أبو داود(٤٨٤١) ، والترمذي(١١٠٦) ، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود(٤٨٤١)

و المَجِيد: صيغة مبالغة علىٰ وزن فعيل ، أي كثير المجد.

(وبعد هذا أبتدي في النظم) : أي وبعد البسملة والحمدلة والشهادة لله بالتوحيد أبتدئ في هذا النظم.

والنظم: مصدر نظم ينظم نظمًا.

وقد جاء في معاجم اللغة أن مادة (ن ظ م) تفيد: التأليف والتركيب، وضم شيءٍ إلىٰ آخر علىٰ نسق معين؛ كنظم الدر والخرز وغيرهما.

والمراد بالنظم هنا : الكلام الموزون المقفّىٰ.

وفائدة المنظومات العلمية ؛ جمع العلم ، وتسهيل حفظه واستحضاره.

(وداعيًا إلىٰ طريق العلم) : أي داعيا طالب العلم إلىٰ طريق العلم بسيرة الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ومعرفة ما كان عليه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في حياته.

وهذه طريقة السلف رحمهم الله ؛ فقد درجوا علىٰ حث أبنائهم وطلابهم علىٰ تعلم السيرة النبوية والمغازي منذ الصغر.

قال علي بن الحسين زين العابدين : (كنا نُعَلَّم مغازي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما نُعَلَّم السورة من القرآن). (١)

وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: (كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعدها علينا وسراياه ويقول: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها). (٢)

(بسيرة الرسول) : أي العلم بسيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

والسيرة لغة: تطلق على السنة والطريقة والهيئة والحالة التي يكون عليها الإنسان.

قال تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ٢١]

وقال الشاعر خالد بن زهير (لسان العرب):

فلا تَجْزَعَن من سُنَّةٍ أنتَ سِرْتَهَا ** فأوّل راضٍ سنّةً مَنْ يَسِيرُهَا

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في الجامع(٢/ ١٩٥)

(٢) رواه الخطيب البغدادي في الجامع(٢/ ١٩٥)

وتعريف السيرة النبوية اصطلاحا: هي ذكر أحداث حياة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ من مولده إلىٰ وفاته وما كان في ذلك من المغازي والفتوح والسرايا والبعوث والوقائع مع ترتيبها ترتيباً زمنياً.

(أعني أحمدا) : صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، وسبق الكلام علىٰ معنىٰ هذا الاسم ودليله.

والألف في (أحمدا) ألف الإطلاق يؤتىٰ بها للضرورة؛ حتىٰ لا ينكسر وزن البيت.

(لأنه بالوحي) : أي اهتدىٰ بما أوحىٰ الله إليه ، وهذه من أعظم النعم التي أنعمها الله علىٰ نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ.

والوحي في اللغة : الإعلام في خفاء وسرعة.

وفي الشرع : هو إعلام الله أنبيائه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو بدون واسطة.

وهو علىٰ أنواع منها:

١- **الوحي عن طريق الإلهام**: كما في حديث أبي أمامة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطلب ..) الحديث. (١)

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ : ("في رُوعِي" بضم الراء ، أي : ألقىٰ الوحي في خلَدي وبالي ، أو في نفسي ، أو قلبي ، أو عقلي ، من غير أن أسمعه ولا أراه) اهـ (٢)

٢- **التكليم من وراء حجاب بلا واسطة** : كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء : ١٦٤] ، وقوله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ٣٧].

وكذا تكليم الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ليلة الاسراء.

٣- **الوحي بواسطة الملَك** : كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورىٰ: ٥١].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤) من حديث أبي أمامة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٥)

(٢) فيض القدير (٢/ ٥٧١)

وهذا النوع من الوحي الذي نزل به القرآن علىٰ نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقد جمعت هذه الأنواع الثلاثة من الوحي في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

٤ - **الرؤيا** : قال عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْرٍ - وهو من كبار التابعين - : (رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]). (١)

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ..) الحديث. (٢)

(والخير) : الذي أنعم الله به عليه من الرسالة.

(اهتدىٰ) : الهداية في الأصل، هي: الإرشاد والدلالة علىٰ ما يوصل إلىٰ المطلوب.

وتستعمل غالبا للدلالة بلطف ومنه الهدية.

---

(١) رواه البخاري (١٣٨)

(٢) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)

وحقيقة الهداية: العلم بالحق، والرغبة فيه.

وهي أنواع:

١ - **الهداية العامة**: وهي هداية لجميع الخلق، فالله هدىٰ كل نفس لما ينفعها في معاشها من جلب النافع ودفع الضار وفطرها علىٰ ذلك، وهذه أعم أنواع الهداية.

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١-٣].

٢ - **هداية الدلالة والإرشاد** : وهي تعريف بطريق الخير وطريق الشر.

قال تعالىٰ: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد: ١٠].

وهذه التي يقوم بها الرسل وأتباعهم، قال تعالىٰ : ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤].

وهي الهداية التي أثبتها الله لنبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ؛ فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

٣- **هداية التوفيق والسداد** : وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله، فلا تكون لملك مقرب ولا لنبي مرسل إنما هي خاصة بالله وحده.

قال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وهذه التي نفاها الله عن نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ؛ فقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

و قال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

٤- **الهداية في الآخرة إلىٰ الجنة** : قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

ويقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣].

وهذه الهداية الرابعة – هداية المؤمنين للجنة – ، هي ثمرة الهداية الثالثة، فمن حصلت له هداية التوفيق تحصل له الهداية إلىٰ الجنة.

وأما هداية الكفار إلىٰ النار ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٣ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

فيطلق عليها هداية لغة من باب التهكم مبالغة في المعنىٰ. (١)

(قد جعل الله لنا فيها العبر) : أي أن الله قد جعل لنا في سيرة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ العبر والعظات ، والأسوة الحسنة لما فيها من مكارم الأخلاق ونبيل الصفات وعظيم السجايا، بل هي معجزة لمن تدبرها تشهد له صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ بأنه رسول الله حقا.

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فإن سيرة محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لمن تدبرها، تقتضي تصديقه ضرورة وتشهد له بأنه رسول الله حقا، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته لكفىٰ) اهـ (٢)

(لمقتفي سبيل رشد وظفر) : أي لمتبع طريق رشد وفوز.

---

(١) المفردات للراغب(٥٣٨)

(٢) الفصل في الملل والنحل(٢/ ٧٣)

فالناظم في هذه الأبيات يدعو طالب العلم إلىٰ معرفة سيرة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ ودراستها ؛ لما في ذلك من الهدىٰ و الخير العظيم ، و لما فيها من العبر والعظات لمن أراد اقتفاء أثر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ ، والسير في طريق الرشد والفوز والفلاح ، نسأل الله من فضله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ فيجب علىٰ كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها؛ أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به ، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه ، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم) اهـ [١]

(١) زاد المعاد (١/ ٦٩)

٩- وَاعْلَمْ هُدِيتَ فَضْلَ ذِي الْعُلُومِ ** إِذْ شَرَفُ الْعُلُومِ بِالْمَعْلُومِ

١٠- مُحَمَّدٌ خَيْرُ الْعِبَادِ طُرًّا ** هَدْيًا وَسَمْتًا ظَاهِرًا وَسِرًّا

١١- حَمْدًا لِرَبِّي الْوَاحِدِ الْعَلَّامِ ** قَدْ أَكْمَلَ الدِّينَ مَعَ التَّمَامِ

١٢- بِبِعْثَةِ الْمُخْتَارِ أَعْنِي أَحْمَدَا ** يَدْعُو إِلَىٰ الرُّشْدِ طَرِيقِ السُّعَدَا

١٣- عَزَمْتُ نَظْمًا لِصَحِيحِ السِّيرَةِ ** وَأَسْأَلُ اللهَ صَلَاحَ سِيرَتِي

١٤- أَسْأَلُهُ أَيْضًا لِيَ الْإِعَانَهْ ** فِي النَّظْمِ وَالتَّقْرِيبِ وَالْإِبَانَهْ

الشَّرْحُ

(واعلم هُديت) : فيه : أمر بالتعلم ، ودعاء للمتعلم بالهداية اقتداء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حثه لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودعائه له كما في الصحيحين : (اللهمَّ فقِّههُ في الدِّين).

وفي البخاري : (اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ).

وعند أحمد في المسند : (اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

والدعاء بالهداية هنا ؛ المراد به هداية التوفيق للعلم النافع ، والعمل الصالح.

(فضل ذي العلوم): أي اعلم فضل علم سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأخباره ومغازيه.

(إذ شرف العلوم بالمعلوم) : أي أن شرف العلم بشرف المعلوم ، فمهما كان المعلوم أشرف كان العلم الحاصل به أشرف ، ولذلك كان علم التوحيد أشرف العلوم علىٰ الإطلاق ؛ لتعلقه بالله عَزَّ وَجَلَّ.

وكذلك علم سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أشرف العلوم لتعلقه برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وأعظم العلوم وأنفعها ما استقام به دين المرء، وكان فيه سعادته في الدنيا والآخرة.

قال الماوردي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: (إن شرف المطلوب بشرف نتائجه، وعظم خطره بكثرة منافعه ، وبحسب منافعه تجب العناية به ، وعلىٰ قدر العناية به يكون اجتناء ثمرته ، وأعظم الأمور خطرا وقدرا وأعمها نفعا ورفدا ما استقام به الدين

والدنيا وانتظم به صلاح الآخرة والأولىٰ ؛ لأن باستقامة الدين تصح العبادة، وبصلاح الدنيا تتم السعادة) اهـ [١]

(محمد خير العباد طرّا) : أي أن محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ خير العباد قاطبة ؛ فهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أفضل الأنبياء وخير الخلق أجمعين.

وقد دل علىٰ ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: فقد دلت علىٰ ذلك أدلة كثيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

والمراد بقوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ ؛ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قاله ابن عباس والشعبي ومجاهد وغيرهم. [٢]

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

فله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ المقام المحمود يوم القيامة.

---

(١) أدب الدنيا والدين (١١)

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٣) وتفسير البغوي (١/ ٢٣٦) وتفسير القرطبي (٣/ ٢٦٤) والدر المنثور (١/ ٣٢٢)

وأما السنة: فمن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الصحيحين عن جابر: (أعطيت خمسـًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة، وبعثت إلىٰ الناس كافة، وأعطيت الشفاعة).

وفي أحاديث الشفاعة من بيان فضله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الأنبياء ما هو ظاهر ، ومن ذلك قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في مسلم عن أنس: (آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك).

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في مسلم عن أبي هريرة : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع).

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة علىٰ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق أجمعين.

ومما جاء عن السلف في هذا ؛ ما جاء عن الإمام أحمد أنه كان يقول: (إن بعض النبيين أفضل من بعض ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضلهم) . (١)

وعقد النووي في شرح صحيح مسلم باباً قال: (باب تفضيل نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ جميع الخلائق). (٢)

وعقد الآجري باباً في كتابه (الشريعة) فقال: (باب ذكر ما فضل الله عَزَّوَجَلَّ به نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا من الكرامات علىٰ جميع الأنبياء). (٣)

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي في عقيدته: (فصل: ونعتقد أن محمداً المصطفىٰ خير الخلائق وأفضلهم وأكرمهم علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ

وأعلاهم درجة وأقربهم إلىٰ الله وسيلة، بعثه الله رحمة للعالمين

وخصه بالشفاعة في الخلق أجمعين)اهـ (٤)

---

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٣٠٦)

(٢) شرح مسلم للنووي (٥/ ٣٧)

(٣) الشريعة (٤٩٨)

(٤) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي (٩٧)

وقال الحافظ ابن كثير : (فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه دائما إلىٰ يوم الدين هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب طاعته، المقدم علىٰ الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس)اهـ [١]

(هديا) : الهَدْيُ : هو السِّيرةُ والطريقة.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هو خير العباد في سيرته وطريقته.

(وسَمْتا): **السَّمْت**: من سَمَتَ يَسْمِت ، سَمْتًا، فهو سامت ، والمفعول مَسْموت.

والمراد بالسَّمْت : السكينة وحسن الهيئة والوقار.

أي وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خير العباد في سكينته وحسن هيئته ووقاره.

(ظاهرًا وسرًا) : أي أن محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خير العباد في كل أحواله ما كان منها ظاهرا وما كان سرا.

(حمدا لربي) : سبق تعريف الحمد.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٨)

والرب : في اللغة يطلق علىٰ المالك والسيد والمدبِّر والمُرَبِّي والقيِّم والمُنعم ، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالىٰ.

ولا يُطلقُ غيرَ مضافٍ إلا علىٰ اللهِ تعالىٰ، وإذا أُطْلِقَ علىٰ غيرِهِ أُضيفَ، فيقال: رَبُّ كذا.(١)

قال الحافظ ابن كثير : (والرَّبُّ هو المالك المتصرِّفُ، ويُطلق في اللغة علىٰ السيد وعلىٰ المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالىٰ.

ولا يُستعمل الرب لغير الله، بل بالإضافة، تقولُ: رَبُّ الدارِ، رَبُّ كذا، وأما الربُّ فلا يُقال إلا لله عَزَّوَجَلَّ) اهـ(٢)

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: ((الربُّ) هو المُرَبِّي جميع عباده بالتدبيرِ وأصنافِ النِّعَمِ.

وأَخَصُّ مِن هذا: تربيتُه لأصْفيائِهِ بإصْلاحِ قلوبِهم وأرواحِهم وأخلاقِهم؛ ولهذا كَثُر دعاؤهم له بهذا الاسمِ الجليلِ، لأنهم يَطلبون منه هذه التربيةَ الخاصَّةَ) اهـ(٣)

---

(١) النهاية لابن الأثير(١/ ١٧٩)

(٢) تفسير ابن كثير(١/ ٢٣)

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢٩٨)

وقد ورد اسم الرب في مواضع كثيرة في كتاب الله منها قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦].

(الواحد) : الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، وهو الفرد المتفرد في ذاته وصفاته وأفعاله وألوهيته.

وقد ورد اسم الله (الواحد) في القرآن الكريم في أكثر من عشرين موضعاً، اقترن في ستة منها بالقهار، منها قوله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر:١٦].[١]

(العلّام): هو الذي أحاط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها ، وجليلها ودقيقها ، لا تخفىٰ عليه خافية.

وقد ورد اسم العلّام في كتاب الله في أربعة مواضع، منها قوله تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة:١٠٩]

---

(١) تقريب التدمرية لابن عثيمين(ص١٣٨)

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة:٧٨]

(قد أكمل الدين مع التمام): أي دين الإسلام ، أكمله الله للناس ، فلا يحتاجون إلىٰ زيادة أبدا ، وأتمه الله فلا ينقصه أبدا ، ورضيه الله فلا يسخطه أبدا، وهذه أعظم نعم الله عَزَّوَجَلَّ.(١)

قال تعالىٰ : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

قال الحافظ ابن كثير : (هذه أكبر نعم الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ هذه الأمة حيث أكمل تعالىٰ لهم دينهم ، فلا يحتاجون إلىٰ دين غيره ، ولا إلىٰ نبي غير نبيهم ، صلوات الله وسلامه عليه ؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء ، وبعثه إلىٰ الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلف ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] أي : صدقا في الأخبار ، وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

(١) تفسير الطبري(٤/ ٤١٩)

ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أي : فارضوه أنتم لأنفسكم ، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام ، وأنزل به أشرف كتبه) اهـ [١]

(ببعثة المختار أعني أحمدا) : أي أتم الله الدين ببعثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الذي اختاره الله واصطفاه.

(يدعو إلىٰ الرشد) : أي يدعو إلىٰ الهدىٰ والحق وطريق الصواب.

قال الراغب : الرشد خلاف الغي ، ويستعمل استعمال الهداية.. قال تعالىٰ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، وقال: ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. [٢]

(طريق السعدا) : في الدنيا والآخرة.

(عزمت نظما) : العزم هو القصد والنية مع قوة وصبر.

(لصحيح السيرة) : أي لما ثبت من سيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ومغازيه بدليل صحيح.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢)

(٢) المفردات للراغب(١/ ١٩٦)

والمعنىٰ عزمت أن أنظم نظما ألخص فيه ما صح من سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(وأسأل الله صلاح سيرتي) : السيرة في اللغة معناها السنة والطريقة كما تقدم ، وتطلق ويراد بِها طريقة سير الإنسان في هذه الحياة، ومعنىٰ سيرة فلان أي طريقته ومسيرته والحالة التي يكون عليها.

والناظم هنا يسأل الله أن يصلح له سيرته وما عليه شأنه في حياته.

(أسأله أيضا لي الإعانة) : الإِعانة من العَون، و هو اسم بمعنىٰ المساعدة علىٰ الأمر.

(في النظم) : سبق تعريف النظم.

(والتقريب) : أي تقريب العلم بسيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتسهيله.

(والإبانة) : المراد بالإبانة هنا الإيضاح والبيان.

فالناظم -أيضا- يسأل الله أن يعينه علىٰ إكمال نظمه وتقريبه وإيضاحه لطالبه.

النسب الشريف

١٥- مُحَمَّـــدٌ مِـــنْ خِيـــرَةِ الْأَقْـــوَامِ ** فَضَّـــلَهُ رَبِّـــي عَلَـــىٰ الْأَنَـــامِ
١٦- أَبُـــوهُ عَبْـــدُاللهِ إِسْـــمٌ قَـــدْ عُلِـــمْ ** وَأُمُّـــهُ آمِنَـــةٌ كَمَـــا نُظِـــمْ
١٧- وَجَـــدُّهُ يُـــدْعَىٰ بِعَبْـــدِ الْمُطَّلِـــبْ ** وَشَـــيْبَةِ الْحَمْـــدِ إِذَا مَـــا قَـــدْ طُلِـــبْ
١٨- وَمِـــنْ قُـــرَيْشٍ خِيـــرَةِ الْقَبَائِـــلِ ** وَآلِ هَاشِـــمٍ ذَوِي الْفَضَـــائِلِ

الشَّرْحُ

(النسب الشريف): أي النسب الرفيع، والمراد به نسب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ؛ فالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أشرف الناس نسبا.

قال ابن منظور: (النسب: نسب القرابات، وهو واحد الأنساب، قال ابن سيده: النِّسبة والنُّسبة والنسب: القرابة، وقيل: هو في الآباء خاصة..). [١]

(محمد من خيرة الأقوامِ) : أي أن محمدا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من خيرة الأقوام نسبًا وفضلاً ، وقد شهد له بذلك أعداؤه ففي الصحيحين عن أبي سفيان وفيه:(ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أن قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو

(١) لسان العرب مادة (نسب).

نَسَبٍ) ، وفيه قال هرقل:(قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هو خير أهل الأرض نسبا علىٰ الإطلاق ، فلنسبه من الشرف أعلىٰ ذروة ، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك ، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم ، فأشرف القوم قومه ، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذه) اهـ[1]

(فضله ربي علىٰ الأنام) : أي فضله الله علىٰ جميع الخلق ؛ فهو سيد ولد آدم والمقدّم عليهم في المنزلة والكرامة ودخول الجنة ونحو ذلك، وقد تقدم ذكر جملة من الأدلة وكلام أهل العلم حول تفضيل الله لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ الأنبياء والخلق أجمعين.

(أبوه عبدالله اسم قد عُلِم) : عبدالله اسم والد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وقد مات علىٰ الكفر، ففي صحيح مسلم(٢٠٣) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا

(١) زاد المعاد (١/ ٧١)

رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: «فِي النَّارِ»، فَلَمَّا قَفَّىٰ دَعَاهُ، فَقَالَ: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» .

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ)؛ هو من حُسنِ خُلُقِه وعِشْرَته لأصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ للتسلية بالاشتراك في المصيبة، حيث أنه لمَّا رأىٰ ما عظُم علىٰ الرجل واساه مُهوِّنًا عليه مصيبته، وأن يتأسَّىٰ به في الرِّضا؛ لأنَّه لو كان ولدٌ ينفع والده المشرك لكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أولىٰ بذلك مع أبيه.

وذلك أنَّ من مات في الفَتْرَة قبل الإسلام علىٰ ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان؛ فهو من أهل النَّار، وليس هذا من المُؤاخَذَة قبل بلوغ الدَّعوة؛ فإنَّ هؤلاء قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وكان من بينهم المُتحَنِّثون والمُتَعبِّدون علىٰ دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فيه : أن من مات علىٰ الكفر فهو في النار ولا تنفعه قرابة المقربين.

وفيه: أن من مات في الفترة ، علىٰ ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان : فهو من أهل النار.

وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة؛ فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالىٰ وسلامه عليهم.

وقوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (إن أبي وأباك في النار) هو من حسن العشرة، للتسلية بالاشتراك في المصيبة) اهـ[1]

(وأمه آمنة كما نظم) : وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، وقد ماتت علىٰ الكفر أيضا، ويدل علىٰ هذا ما جاء في مسلم(٩٧٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأَذِنَ لِي).

وهذا الحديث والذي قبله يدلان علىٰ أن والدي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في النار؛ لأنه قد بلغتهم شريعة إبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما تقدم.

---

(١) شرح مسلم (٣/ ٧٩)

(وجده يُدعىٰ بعبد المطلب): عبد المطلب هو الجد الأول للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ، وأجداده إلىٰ عدنان عشرون.

ولا يجوز التسمية بالتعبيد لغير الله، سواء عبد المطلب أو غيره كعبد العزىٰ وعبد الكعبة وعبد المسيح وعبد النبي ونحو ذلك، ولا التفات لكلام ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في استثناء اسم عبد المطلب فقد خالف العلماء في هذا فقال: (واتفقوا علىٰ تحريم كل اسم معبَّد لغير الله عَزَّوَجَلَّ كعبد العُزَّىٰ وعبد هُبل وعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب) اهـ [1]

فاستثنىٰ عبد المطلب بقوله (حاشا عبد المطلب) ، وهذا غير صحيح، ومخالف لما عليه أهل العلم.

وأما قول الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ : (أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب).

فهذا من باب الإخبار بالاسم الذي عرف به المسمىٰ ، وليس من باب الإنشاء، ومعلوم أن باب الإخبار أوسع من باب الإنشاء ، ويجوز فيه ما لا يجوز في الإنشاء.

---

(١) مراتب الإجماع (١٥٤)

قال ابن القيم: (أما قوله : (أنا ابن عبد المطلب) فهذا ليس من باب إنشاء التسمية بذلك ، وإنما هو باب الإخبار بالاسم الذي عرف به المسمىٰ دون غيره، والإخبار بمثل ذلك علىٰ وجه تعريف المسمىٰ لا يحرم، ولا وجه لتخصيص أبي محمد بن حزم ذلك بعبد المطلب خاصة ، فقد كان الصحابة يسمون بني عبد شمس وبني عبد الدار : بأسمائهم ، ولا ينكر عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فباب الإخبار أوسع من باب الإنشاء ، فيجوز فيه ما لا يجوز في الإنشاء) اهـ [١]

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (الصواب : تحريم التعبيد للمطلب ، فلا يجوز لأحد أن يسمي ابنه عبد المطلب، وأما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أنا ابن عبد المطلب) ، فهو من باب الإخبار وليس من باب الإنشاء ، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن له جداً اسمه عبد المطلب، ولم يرد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سَمَّىٰ عبد المطلب ، أو أنه أذن لأحد صحابته بذلك ، ولا أنه أقر أحداً علىٰ تسميته عبد المطلب ، والكلام في الحكم لا في الإخبار ، وفرق بين الإخبار وبين الإنشاء

(١) تحفة المودود (٧٩)

والإقرار ، ولهذا قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : (يا بني عبد مناف) ولا يجوز التسمي بعبد مناف .

وقد قال العلماء : إن حاكي الكفر ليس بكافر ، فالرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يتكلم عن شيء قد وقع وانتهىٰ ومضىٰ، فالصواب أنه لا يجوز أن يعبد لغير الله مطلقـًا، لا بعبد المطلب ولا غيره، وعليه فيكون التعبيد لغير الله من باب الشرك) اهـ[١]

وسبب تسميته بعبد المطلب أنه دخل مكة مع عمه المطلب فرآه الناس فقالوا هذا عبد المطلب، علىٰ أنه غلامه ، فغلب عليه واشتهر به.

قال الحافظ في الفتح : (وسمي عبد المطلب واشتهر بها لأن أباه لمَّا مات بغزّة كان خرج إليها تاجرا فترك أم عبد المطلب بالمدينة فأقامت عند أهلها من الخزرج فكبُر عبد المطلب فجاء عمه المطلب فأخذه ودخل به مكة فرآه الناس مُردفه فقالوا هذا عبد المطلب ؛ فغلبت عليه في قصة طويلة ذكرها ابن إسحاق وغيره) اهـ

(١) القول المفيد (٣/ ٦٤)

(وشيبة الحمد إذا ما قد طلب) : أي واسم جده عبد المطلب ؛ شيبة الحمد علىٰ الصحيح، وهو قول الجمهور، قال الحافظ في الفتح: (اسمه شيبة الحمد عند الجمهور، وزعم ابن قُتَيبة أنّ اسمه عامِر)اهـ

وسمي(شيبة)؛ لخصلة شعر بيضاء كانت في رأسه.

و(الحمد)؛ لأنه كان كريما.

وقوله (إذا ما قد طلب): يعني إذا طُلب منك ما اسم عبد المطلب ؛ فهو شيبة الحمد.

ولم يذكر الناظم هنا أعمام النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهم عشرة : (الحارث، والزبير، وحمزة، والعباس، ويكنىٰ أبا الفضل، وأبو طالب، واسمه عبد مناف، وأبو لهب، واسمه عبد العزىٰ، وعبد الكعبة، وهو المقوم، وقيل: هما اثنان، وحجل، واسمه المغيرة، والغيداق، وسمي بذلك لكثرة جوده، وأصل اسمه نوفل، وقيل: حجل، وضرار). ذكر هذا الحافظ ابن كثير في الفصول (٨٤).

أكبرهم سنا الحارث، وأصغرهم سنا العباس.

كما في زاد المعاد لابن القيم (١/ ١٠٢).

مات أغلبهم علىٰ الكفر ، وأدرك الإسلام منهم أربعة ، أسلم منهم اثنان هما: الحمزة والعباس ، وكفر اثنان هما: أبو طالب وأبو لهب.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من عجائب الاتفاق أن الذين أدركهم الإسلام من أعمام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعة لم يسلم منهم اثنان وأسلم اثنان وكان اسم من لم يسلم ينافي أسامي المسلمين وهما أبو طالب واسمه عبد مناف وأبو لهب واسمه عبد العزىٰ بخلاف من أسلم وهما حمزة والعباس)اهـ[١]

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ في زاد المعاد: (ولم يسلم منهم إلا حمزة، والعباس) اهـ

وعمه أبو طالب كفله بعد موت جده كما سيأتي إن شاء الله ، ومات علىٰ الكفر ، فهو من أهل النار ، ويدل علىٰ هذا ما جاء في الصحيحين عن العباس بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ

(١) الفتح (٣٨٨٤)

يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: (هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ). (١)

وفي البخاري (٣٨٨٤) عن ابْنِ الْمُسَيِّبِ ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: (أَيْ عَمِّ ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله) فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ الله بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يَزَالا يُكَلِّمَانِهِ، حَتَّىٰ قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ) فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] .

وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

وعمه أبو لهب المعروف بإيذائه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، وهو من أهل النار ، وفيه نزل قوله تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]

ففي الصحيحين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ، صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: (يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ) -لِبُطُونِ قُرَيْشٍ- حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ

(١) رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩)

يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: (أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟) قَالُوا : نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: (فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢-١] . (١)

وعماته ست : (صفية – وهي أم الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – وعاتكة وأروىٰ وأميمة وبَرَّة ، وأم حكيم –وهي البيضاء–). ذكر هذا الحافظ ابن كثير في الفصول (٨٤).

قال ابن القيم: (أسلم منهن صفية ، واختلف في إسلام عاتكة وأروىٰ، وصحح بعضهم إسلام أروىٰ) اهـ (٢)

(ومن قريش خيرة القبائل) : أي أن نسبه يرجع لقريش خيرة القبائل.

وقريش علىٰ قول أكثر أهل النسب هم الذين ينتسبون إلىٰ فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٨)

(٢) زاد المعاد (١/ ١٠٢)

وأنشدوا في ذلك:

قصي العمري كان يدعىٰ مجمعا ** به جمع الله القبائل من فِهْر

فقصي يقال له مجمع لأنه جمع أهل مكة بعد تفرقهم ، وهو أبو قريش عند جمهور أهل النسب.

وقيل: بل يجتمع نسب قريش في النضر بن كنانة ، وعليه أكثر العلماء والمحققين ، ودليل هذا حديث الأشعث بن قيس قال: أتيتُ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في وفد كِندة، ولا يروني إِلَّا أفضلهم ، فقلت : يا رسول الله ، ألستُم منا؟ فقال : نَحْنُ بنو النَّضْرِ بن كنانة ، لا نَقفوا أمَّنا ، ولا نَنتفي من أبينا قال: فَكَانَ الأشعث بن قيس يقول: لا أوتي برجل نفىٰ رجلًا من قُرَيْشٍ مِنَ النَّضْرِ بنِ كنانة إِلَّا جَلدتُهُ الحد). (١)

وقوله (لا نقفوا أمنا): قال ابن الأثير في النهاية: أي لا نتَّهمها ولا نقذفها.

يقال: قَفا فلان فلانـًا إذا قذفه بما ليس فيه.

وقيل معناه: لا نترك النسب إلىٰ الآباء وننتسب إلىٰ الأمهات.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٦١٢) واللفظ له، وأحمد (٢١٨٨٨)، والحديث في السلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله (٢٣٧٥)

فدل الحديث علىٰ أن قريشا من ولد النضر بن كنانة.

قال الحافظ ابن كثير: (هذا الحديث -يعني حديث الأشعث- هو فيصل قوي في هذه المسألة فلا التفات إلىٰ قول من خالفه) اهـ [١]

وهنالك أقوال أخرىٰ ضعيفة. [٢]

وقيل: سميت قريش بهذا الاسم أخذا من التقريش وهو التجميع سموا بذلك لاجتماعهم بعد تفرقهم.

وقيل: لقرشهم عن حاجة المحتاج وسد خلته.

وقيل: من التقاريش وهو التجارة.

وقيل: أنهم سموا قريشا نسبة إلىٰ أحد أجدادهم وهو قريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة. [٣]

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٢٠١)

(٢) الفصول للحافظ ابن كثير (٨٦)

(٣) الفتح للحافظ (٦/ ٣٨٨) ، نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب (٤٥٦)

(وآل هاشم ذوي الفضائل) : أي ويرجع نسبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ بني هاشم ذوي الفضائل والمناقب.

وهاشم هو الجد الثاني من أجداد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، وقيل له هاشم لأنه أول من هشم الثريد بمكة لأهل الموسم ولقومه أولا في سنة المجاعة. ذكر هذا الحافظ في الفتح.

وإليه نسب ذوي القربىٰ.

فمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من بني هاشم، وبنو هاشم من قريش؛ فكل هاشمي قرشي ولا عكس.

١٩- قَدِ اصْطَفَىٰ قُرَيْشَ مِنْ كِنَانَةِ ** أَعْطَاهُ رَبِّي أَرْفَعَ الْمَكَانَةِ
٢٠- فَهُوَ خِيَارُ نَسْلِ إِسْمَاعِيلَا ** وَهُوَ الذَّبِيحُ صَدِّقِ التَّنْزِيلَا
٢١- مُتَّصِلٌ بِالنَّسَبِ الْعَدْنَانِي ** وَجَدُّهُ الْخَلِيلُ لِلرَّحْمَنِ
٢٢- إِذْ رُسْلُهُ تُبْعَثُ مِنْهُ فِي نَسَبْ ** مِنْ قَوْمِهَا فَإِنَّهُمْ ذَوُو حَسَبْ
٢٣- إِجْمَاعُهُمْ فِي النَّسَبِ الْعَدْنَانِي ** فِي قَوْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
٢٤- صَلَاةُ رَبِّي تَبْلُغُ الرَّسُولَا ** فِي كُلِّ وَقْتٍ دَلَّنَا السَّبِيلَا

الشَّرْحُ

(قد اصطفىٰ قريش من كنانة) : أشار الناظم إلىٰ حديث واثلة بن الأسقع عند مسلم(٢٢٧٦) أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال : (إنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنانَةَ مِن ولَدِ إسْماعِيلَ، واصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِن كِنانَةَ، واصْطَفَىٰ مِن قُرَيْشٍ بَنِي هاشِمٍ، واصْطَفانِي مِن بَنِي هاشِم).

ومعنىٰ اصطفىٰ : اختار، وصفوة الشيء ؛ خالصه.

فرب العزة جَلَّجَلَالُهُ اصطفىٰ كنانة، وهو ابن خزيمة بن مُدرِكة من ولد إسماعيل، واصطفىٰ قريشا من كنانة، وهم أولاد نضر بن كنانة ، وكانوا تفرَّقوا في البلاد، فجمعهم قُصيُّ بن كِلاب في مكة، فسُمُّوا قريشا؛ لأنَّه قَرَشَهم، أي: جَمَعَهم كما تقدم ، واصطفىٰ من قريش بني هاشم ، وهم بنو هاشم بن عبد مناف بن قُصيٍّ

بن كِلاب، وينتهي نسبه إلىٰ عدنان، واصطفاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بني هاشم أشرف الأنساب وأكرمها.

(أعطاه ربي أرفع المكانة) : فمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق نفسا، وأفضلهم نسبا؛ اصطفاه الله تعالىٰ واختاره من أشرف الأنساب ، وفضله علىٰ الخلق أجمعين ، فهو سيد ولد آدم كلهم ، وأعظمهم فضلا ، وهو أول من يبعث يوم القيامة ، وأول من يشفع ، وأول من تُقبل شفاعته ، وأول من يفتح له باب الجنة ، وهو أكثر الأنبياء تبعا.

ففي مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ).

وفي مسلم -أيضا- عن أنس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك).

وفي رواية : (أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا).

(فهو خيار نسل إسماعيلا) : فلم يولد من بني إسماعيل أعظم من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، بل لم يولد من بني آدم أحد ولا يولد إلىٰ قيام الساعة أعظم منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وجميع الأنبياء تحت لوائه.

فقد صح عنه أنه قال: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، آدم فمن دونه من الأنبياء تحت لوائي) ، والحديث أخرجه أحمد ، وابن حبان وغيرهما، وهو في صحيح الجامع للألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ(١٤٦٨).

وفي حديث أبي بن كعب عند مسلم : (سأقوم مقاما يرغب إلىٰ الخلق كلهم حتىٰ إبراهيم).

وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله ، وهو الشفاعة العظمىٰ التي يشفع في الخلائق كلهم، ليريحهم الله بالفصل بينهم من مقام المحشر. [١]

وهو المشار إليه في قوله تعالىٰ : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

---

(١) الفصول (٩٠)

قال ابن جرير في تفسيره : (قال أكثر أهل التأويل : ذلك هو المقام الذي يقومه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة للشفاعة للناس ، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم اهـ.

وفي مسلم من طريق يزيد الفقير أن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال له : (أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟) قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: (فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ فِيهِ ؟) قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: (فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ).

وسمي بالمقام المحمود ؛ لأن جميع الخلائق يحمدون محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ذلك المقام ؛ لأن شفاعته سبب فكّ كربتهم من أهوال المحشر والانتقال إلىٰ الحساب والفصل بين الخلائق ، والله أعلم.

والأحاديث الدالة علىٰ الشفاعة العظمىٰ لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ثابتة في الصحيحين وغيرهما منها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ ؟ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا

يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ النَّاسُ : أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام ... ثم ذكر الحديث إلىٰ قوله : فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّوَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَه وَاشْفَعْ تُشَفَعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ ، أُمَّتِي يَا رَبِّ ، أُمَّتِي يَا رَبِّ ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ).

(وهو الذبيح صدق التنزيلا): أي أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام هو الذبيح كما جاء في التنزيل ، يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧].

وإسماعيل هو الذبيح علىٰ الصحيح من قول الصحابة والأئمة ، والقول بأنه إسحاق قول باطل أصله من تحريف أهل الكتاب ، وقد بين هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ كما في مجموع الفتاوىٰ(٤/ ٣٣١) عندما سئل عن الذبيح من ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال : (النزاع فيها مشهور ، لكن الذي

يجب القطع به أنه إسماعيل، وهذا الذي عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة ....

وشاع عند بعض المسلمين أنه إسحاق ، وأصله من تحريف أهل الكتاب ..) اهـ

ومن أدلة ذلك قوله تعالىٰ في سورة الصافات: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١٠٠-١١٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ومما يدل علىٰ أنه إسماعيل قصة الذبيح المذكورة في سورة الصافات، قال تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾، وقد انطوت البشارة علىٰ ثلاث علىٰ أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ الحلم، وأنه يكون حليمًا. وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ؟..).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فهذه القصة تدل علىٰ أنه إسماعيل من وجوه أحدها: أنه بشره بالذبيح وذكر قصته أولا ، فلما استوفىٰ في ذلك قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٢ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾. فبين أنهما بشارتان: بشارة بالذبيح، وبشارة ثانية بإسحاق، وهذا بيّن.

الثاني: أنه لم يذكر قصة الذبيح في القرآن إلا في هذا الموضع وفي سائر المواضع يذكر البشارة بإسحاق خاصة، كما في سورة هود، من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] ، فلو كان الذبيح إسحاق لكان خلفًا للوعد في يعقوب، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٨-٢٩] . وقال تعالىٰ في سورة الحجر: ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٥٣ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ [الحجر: ٥٣-٥٥] ، ولم يذكر أنه الذبيح، ثم لما ذكر البشارتين جميعًا: البشارة بالذبيح والبشارة بإسحاق بعده، كان هذا من الأدلة علىٰ أن إسحاق ليس هو الذبيح. ويؤيد ذلك أنه ذكر هبته وهبة يعقوب لإبراهيم في قوله تعالىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]، وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ

وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، ولم يذكر الله الذبيح.

الوجه الثالث: أنه ذكر في الذبيح أنه غلام حليم، ولما ذكر البشارة بإسحاق ذكر البشارة بغلام عليم في غير هذا الموضع والتخصيص لابد له من حكمة، وهذا مما يقوي اقتران الوصفين، والحلم هو مناسب للصبر الذي هو خلق الذبيح. وإسماعيل وصف بالصبر في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] ، وهذا أيضًا وجه ثالث فإنه قال في الذبيح: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وقد وصف الله إسماعيل أنه من الصابرين، ووصف الله تعالىٰ إسماعيل أيضا بصدق الوعد في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤]؛ لأنه وعد أباه من نفسه الصبر علىٰ الذبح فوفىٰ به.

الوجه الرابع: أن البشارة بإسحاق كانت معجزة؛ لأن العجوز عقيم؛ ولهذا قال الخليل عليه السلام: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾، وقالت امرأته : ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] ، وقد سبق أن البشارة بإسحاق في حال الكِبَر، وكانت البشارة مشتركة بين إبراهيم وامرأته. وأما البشارة بالذبيح، فكانت لإبراهيم عليه السلام وامتحن بذبحه دون الأم المبشرة به، وهذا مما يوافق ما نقل عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في الصحيح

وغيره: من أن إسماعيل لما ولدته هاجر غارت سارة، فذهب إبراهيم بإسماعيل وأمه إلىٰ مكة، وهناك أمر بالذبح.

وهذا مما يؤيد أن هذا الذبيح دون ذلك.

ومما يدل علىٰ أن الذبيح ليس هو إسحاق، أن الله تعالىٰ قال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فكيف يأمر بعد ذلك بذبحه؟ والبشارة بيعقوب تقتضي أن إسحاق يعيش ويولد له يعقوب، ولا خلاف بين الناس أن قصة الذبيح كانت قبل ولادة يعقوب، بل يعقوب إنما ولد بعد موت إبراهيم عليه السلام وقصة الذبيح كانت في حياة إبراهيم بلا ريب.

ومما يدل علىٰ ذلك أن قصة الذبيح كانت بمكة ....

ولم ينقل أحد أن إسحاق ذهب إلىٰ مكة، لا من أهل الكتاب، ولا غيرهم...)اهـ[١]

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٣١)

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (..ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وإسماعيل هو الذبيح علىٰ القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم. وأما القول بأنه إسحاق فباطل..)اهـ[١]

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (لا خلاف بين أهل النسب وغيرهم من علماء أهل الكتاب أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله، وهو الذبيح علىٰ الصحيح من قول الصحابة والأئمة) اهـ[٢]

(متصل بالنسب العدناني) : أي أن نسب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متصل إلىٰ عدنان بلا خلاف.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه ذاكرا نسب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في ترجمة حديث(٣٨٥١) : (بَاب مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعبِ بْنِ لؤَيِّ بْنِ

---

(١) زاد المعاد(١/ ٧١)

(٢) الفصول (٨٧)

غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ).

(وجده الخليل للرحمن) : يعني إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.

وهذا بالإجماع أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من نسل عدنان وعدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير: (لا خلاف بين أهل النسب وغيرهم من علماء أهل الكتاب أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله...

وإسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه أفضل الصلاة والسلام) اهـ

(إذ رسله تبعث منه في نسب): أي في نسب رفيع ؛ فجميع الأنبياء من أنساب شريفة رفيعة.

(من قومها فإنهم ذوو حسب): أي أن جميع الرسل تبعث من أفضل أنساب قومها وأشرفها، وقد تقدم في حديث أبي سفيان أن هرقل قال : (قل له : سألتك عن نسبه ؛ فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها).

وذكر أهل العلم بعض الحِكَم في كون الرسل تبعث من أشرف أنساب قومها ومن ذلك ما ذكره النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح مسلم فقال : (قيل الحكمة في ذلك أنه أبعد من انتحاله الباطل ، وأقرب إلىٰ انقياد الناس له)اهـ

(إجماعهم في النسب العدناني) : أي أن نسب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ عدنان معلوم الصحة، مجمع عليه بين النسابين ، وما فوق عدنان مختلف فيه.

(في قول أهل العلم والعرفان) : أي في قول أهل العلم والمعرفة بهذا وهم النسابون.

فجميعهم مجمعون علىٰ اتصال نسبه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ عدنان، كما أنهم مجمعون علىٰ أن عدنان من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر نسبه الشريف : (إلىٰ هنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف فيه البتة، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام)اهـ[1]

---

(١) زاد المعاد(١/ ٧١)

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وهذا النسب - يعني نسب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذي سقناه إلىٰ عدنان لا مرية فيه ولا نزاع ، وهو ثابت بالتواتر والإجماع ، وإنما الشأن فيما بعد ذلك ، لكن لا خلاف بين أهل النسب وغيرهم من علماء أهل الكتاب أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله..)اهـ [١]

وقد كره جماعة من السلف الانتساب إلىٰ ما بعد عدنان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وقد كره بعض السلف والأئمة الانتساب إلىٰ ما بعد عدنان، ويحكىٰ عن مالك بن أنس الأصبحي الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كره ذلك) اهـ [٢]

(صلاة ربي تبلغ الرسولا) : تقدم أن صلاة الله علىٰ نبيه ثناؤه عليه في الملأ الأعلىٰ.

---

(١) الفصول(٨٧)

(٢) الفصول(٨٧)

(في كل وقت دلنا السبيلا) : أي صلاة تبلغ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في كل وقت وحين ، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي أرشدنا إلىٰ سبيل الحق وطريق النجاة.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيما رواه أبو داود وغيره من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (قد تركتُكم علىٰ البيضاءِ ليلِها كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالِك). والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٨١٨).

الولادة والرضاعة وما تلاها من أحداث حتى البعثة الشريفة

٢٥- مَـاتَ أَبُـوهُ وَهْـوَ حَـيٌّ حَمْـلُ ** عَلَىٰ صَحِيحِ الْقَوْلِ وَهْوَ فَصْلُ
٢٦- مَوْلِـدُهُ شَـهْرُ رَبِيـعِ الْأَوَّلِ ** فِي ثَامِنِ الْأَيَّامِ فِي الْقَوْلِ الْجَلِي
٢٧- رَوَاهُ مَالِـكٌ عَـنِ ابْـنِ الْمُطْعِـمِ ** قَدْ صَحَّ فِي التَّأْرِيخِ خُذْهَا وَاعْلَمِ
٢٨- فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ بِذَا جَاءَ الْخَبَرْ ** نَصٌّ صَرِيحٌ وَاضِحٌ قَدِ اشْتَهَرْ
٢٩- مِنْ عَامِ فِيلٍ صَحَّ فِي الْمَنْقُولِ ** تَرْجِيحُهُ مِنْ صَاحِبِ الْفُصُولِ

الشَّرْحُ

(الولادة والرضاعة وما تلاها من أحداث حتىٰ البعثة الشريفة) : أي هذا الباب يتعلق بولادة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ، ورضاعته ، وما تلا ذلك من أحداث حتىٰ بعثته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ؛ من شق صدره وموت أمه وكفالة عمه له ورحلته إلىٰ أرض الشام وزواجه من خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وغير ذلك من الأحداث.

(مات أبوه وهو حي حَمْلُ) : أي مات والد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ -عبدالله بن عبد المطلب- ؛ والنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ حَمْلٌ في بطن أمه ، وهذا هو المشهور.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفصول(٩١) : (مات أبوه وهو حَمْل ، وقيل بعد ولادته بأشهر ، وقيل بسنة ، وقيل بسنتين ، والمشهور الأول)اهـ

(علىٰ صحيح القول وهو فصل) : أي علىٰ القول الصحيح المشهور كما تقدم من كلام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(مولده شهر ربيع الأولِ) : أي أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولد في شهر ربيع الأول وهذا هو الصحيح المشهور عند أهل العلم.

وقيل: ولد في رمضان وهو غير صحيح.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية(٢/ ٢٦٠) :(وقيل أنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار ، وهو قول غريب جدا)اهـ

وقال في الفصول(٩١) : (وهو شاذ ، حكاه السهيلي في روضه)اهـ

(في ثامن الأيام في القول الجلي) : اختلف أهل العلم في تحديد اليوم الذي ولد فيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ أقوال ذكرها الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، منها :

١ – أن ميلاده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لليلتين خلتا من ربيع الأول.

٢- وقيل : في ثامن ربيع الأول.

٣- وقيل : في عاشر ربيع الأول.

٤- وقيل : في ثاني عشر ربيع الأول.

وهذا هو المشهور عند الجمهور.

وأقرب هذه الأقوال للصواب أنه في الثامن من ربيع الأول ، وإلىٰ هذا مال الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ، معتمداً علىٰ تصحيحه للأثر الذي رواه مالك عن محمد بن جُبير بن مُطعم ؛ فقال مُعَلِّقًا علىٰ الأقوال التي ذكرها الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما تاريخ يوم الولادة، فقد ذُكر فيه وفي شهرِه أقوالٌ، ذكرها ابن كثير في الأصل، وكلها معلَّقة، بدون أسانيد يمكن النظر فيها ووزنها بميزان علم مصطلح الحديث، إلا قول من قال: إنه في الثامن من ربيع الأول؛ فإنه رواه مالك وغيره بالسند الصحيح عن محمد بن جُبير بن مُطعم، وهو تابعي جليل؛ ولعله

لذلك صحَّح هذا القولَ أصحابُ التاريخ واعتمدوه، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسىٰ الخوارزمي، ورجَّحه أبو الخطاب بن دحية)اهـ[١]

ومعنىٰ (**القول الجلي**) أي: القول الواضح.

(رواه مالك عن ابن المطعم) : أي القول بأن ولادته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ في الثامن من شهر ربيع الأول ؛ رواه مالك عن محمد بن جُبير بن مُطعم بسند صحيح.

(قد صح في التأريخ خذها واعلم) : أي هذا القول – وهو أنه ولد في الثامن من ربيع الأول– هو الصحيح الذي صحَّحه أصحابُ التاريخ واعتمدوه ، كما تقدم.

وبهذا يتبين أن الذين يحتفلون بمولد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ في الثاني عشر يبنون علىٰ خيال ووهم ؛ إذ أنه ليس ثابتا عند أهل التاريخ والسير ، بل الأقرب للصواب أنه في الثامن.

---

(١) صحيح السيرة النبوية(ص١٣)

كما أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ؛ ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ).

وعند أبي داود الترمذي وابن ماجة وغيرهم من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال : (وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ).

و(كل) من ألفاظ العموم ، فتعم كل بدعة.

ولو كان هذا خيراً لسبقنا إليه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يرد ذلك عن أحد منهم البتة.

كما أن فيه تقليدًا للنصارىٰ في احتفالهم بمولد عيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

ومما يزيد الأمر قبحا أن هذا اليوم الذي يحتفلون فيه ؛ المشهور عند أهل السير وأصحاب التاريخ وهو مذهب الجمهور أنه يوم وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؛ فالذين يحتفلون بميلاده في الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام، إنما يحتفلون بيوم وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فأيّ احتفال يكون في يوم رزئت فيه الأمة بأعظم مصيبة في تاريخها!!

قال الفاكهاني: (هذا مع أنّ الشهر الذي وُلِد فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح بأولىٰ من الحزن فيه)اهـ

ومما يزيد الأمر سوءا أن هذه الموالد والاحتفالات فيها ما فيها من المنكرات والفجور ، ومن ذلك ماذكره المقريزي في: (درر العقود الفريدة) في ترجمة إسماعيل بن يوسف الإنبابي(٢/ ٥١٠) فقال : (.. وصار يعمل المولد النبوي كل سنة .. فأذكر أنه عمل المولد علىٰ عادته في شهر ربيع الأول من سنة تسع وتسعين وسبعمائة، فهرع الناس لحضور المجتمع، حتىٰ غصّ الفضاء بكثرة العالم، وتنوعوا تلك الليلة في الفسق، لكثرة اختلاط النسوان والمردان بأهل الخلاعة، فتواتر الخبر أنه وُجد في صبيحة تلك الليلة من جرار الخمر التي شُربت بالليل فوق الخمسين، فارغة ملقاة حول الزاوية في المزارع، وافتضت تلك الليلة عدة أبكار، وأُوقدت شموع بمال كبير، فبعث الله يوم الأحد، بكرة صباح ليلة المولد المذكور قاصفًا من الريح كدّرت علىٰ من كان هناك، وسفت في وجوههم التراب، واقتلعت الخيام ..)اهـ

والله المستعان.

(في يوم الاثنين بذا جاء الخبر) : أي أن النبي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ـ ولد يوم الاثنين ، بهذا جاء الخبر الثابت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ فقَالَ:(ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ...)الحديث.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية(٢/ ٣٢٠) : (وهذا ما لا خلاف فيه أنه ولد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين، وأبعد بل أخطأ من قال: ولد يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من ربيع الأول. نقله الحافظ ابن دحية فيما قرأه في كتاب (أعلام الروي بأعلام الهدىٰ) لبعض الشيعة.

ثم شرع ابن دحية في تضعيفه وهو جدير بالتضعيف إذ هو خلاف النص)اهـ

(نص صريح واضح قد اشتهر) : أي أن مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين قد جاء به نص واضح صريح ، قداشتهر بين أهل العلم ، وقد تقدم من حديث أبي قتادة عند مسلم.

(من عام فيل صح في المنقول) : أي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولد عام الفيل، كما دل علىٰ ذلك النقل الصحيح ؛ وقد ثبت في مستدرك الحاكم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولد عام الفيل).

(ترجيحه من صاحب الفصول) : أي رجح ذلك صاحب كتاب الفصول في سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وهو الحافظ المؤرخ المفسر عماد الدين أبو الفداء : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي البصروي ، ثم الدمشقي(ت٧٧٤هـ).

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ في الفصول(٩١) : (و الصحيح أنه ولد عام الفيل ، و قد حكاه إبراهيم بن المنذر الحزامي شيخ البخاري ، و خليفة بن خياط و غيرهما إجماعـًا)اهـ

٣٠- قَـدْ أَرْضَـعَتْهُ امْـرَأَةٌ سَـعْدِيَّهْ ** ثُوَيْبَـةٌ أَيْضًـا لَهَـا مَزِيَّـهْ

٣١- قَدْ شُقَّ مِنْهُ الصَّدْرُ وَهْوَ طِفْلُ ** فِـي أَرْبَـعٍ بِـذَاكَ جَـاءَ النَّقْـلُ

٣٢- وَالْأُمُّ مَاتَـتْ وَهْـيَ بِـالْأَبْوَاءِ ** وَعُمْـرُهُ سِـتٌّ بِـلَا امْتِـرَاءِ

٣٣- عَـاشَ يَتِيمًـا بِـأَبِي وَأُمِّـي ** آوَاهُ رَبِّـي حَاطَـهُ بِـالْعِلْمِ

الشَّرْحُ

(قد أرضعته امرأة سعدية) : أي حليمة السعدية كما هو مشهور ، فقد اشتهر عند أهل السير أن اسمها حليمة بنت أبي ذؤيب واسمه عبدالله بن الحارث ، أرضعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بلبن ابنها عبدالله ، أخي أنيسة وحذافة وهي الشيماء ، أولاد الحارث بن عبد العزىٰ بن رفاعة السعدي.

قال الحافظ ابن كثير في الفصول : (واسترضع له في بني سعد، فأرضعته حليمة السعدية كما روينا ذلك بإسناد صحيح)اهـ [١]

وإرضاعها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من تفضل الله عليها، وقد حصل لها ولأهلها من الخير والبركة بمقدمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عليهم ما هو معلوم مشهور ، بل عادت علىٰ هوازن بأكملها.

---

(١) الفصول(٩٢)، وانظر البداية والنهاية(٢/ ١٣٢)

روىٰ البيهقي (١٨٥٣٦) بسند حسن عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحُنَيْنٍ، فَلَمَّا أَصَابَ مِنْ هَوَازِنَ مَا أَصَابَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَسَبَايَاهُمْ أَدْرَكَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ بِالْجِعْرَانَةِ وَقَدْ أَسْلَمُوا فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَنَا أَصْلٌ وَعَشِيرَةٌ ، وَقَدْ أَصَابَنَا مِنَ الْبَلاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ فَامْنُنْ عَلَيْنَا مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ.

وَقَامَ خَطِيبُهُمْ زُهَيْرُ بْنُ صُرَدَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّمَا فِي الْحَظَائِرِ مِنَ السَّبَايَا خَالَاتُكَ وَعَمَّاتُكَ وَحَوَاضِنُكَ اللَّاتِي كُنَّ يَكْفُلْنَكَ وَذَكَرَ كَلَامًا وَأَبْيَاتًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ ، وَإِذَا أَنَا صَلَّيْتُ بِالنَّاسِ فَقُومُوا وَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللهِ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا سَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَسْأَلُ لَكُمْ). فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ قَامُوا فَقَالُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ) . وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَتِ الأَنْصَارُ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (والمقصود أن بركته عليه الصلاة والسلام حلّت علىٰ حليمة السعدية وأهلها وهو صغير ، ثم عادت علىٰ هوازن بكمالهم فواضلُه حين أسرهم بعد وقعتهم ، وذلك بعد فتح مكة بشهر .

فمنّوا إليه برضاعه فأعتقهم وتحنن عليهم وأحسن إليهم...).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وسيأتي أنه عليه الصلاة والسلام أطلق لهم الذرية ، وكانت ستة آلاف ما بين صبي وامرأة ، وأعطاهم أنعاما وأناسي كثيرا ، حتىٰ قال أبو الحسين بن فارس : فكان قيمة ما أطلق لهم يومئذ : خمسمائة ألف ألف درهم. فهذا كله من بركته العاجلة في الدنيا ، فكيف ببركته علىٰ من اتبعه في الدار الآخرة؟) اهـ[1]

واختلف العلماء في إسلامها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زاد المعاد (١/ ٨١) : (واختلف في إسلام أبويه - أي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ - من الرضاعة، فالله أعلم) اهـ

فتوقف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك.

---

(١) السيرة النبوية (١/ ٢٣٣-٢٣٤)

وجزم جمع من الحفاظ بإسلامها وعدوها من الصحابة ؛ فقد ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة (٧/ ٥٨٤) ، وابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٨٥).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة الصفوة (١/ ٦٢) : (قدمت علىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد النبوة فأسلمت وبايعت، وأسلم زوجها الحارث بن عبد العزىٰ) اهـ

ولا نعلم دليلا فاصلا في هذه المسألة ، فالله أعلم.

(ثويبة أيضا لها مزية) : أي ثويبة أيضا لها مزية بإرضاع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وثويبة كانت مولاة لأبي لهب وكان أبو لهب قد أعتقها ، فأرضعت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أياما ، وأرضعت معه أبا سلمة عبدالله بن عبد الأسد المخزومي بلبن ابنها مسروح.

روىٰ البخاري(٥١٠١) ، ومسلم(١٤٤٩) عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بنْتَ أبِي سُفْيَانَ قالَتْ: يا رَسولَ اللهِ، انْكِحْ أُخْتي بنْتَ أبِي سُفْيَانَ، فَقالَ: (أوَتُحِبِّينَ ذَلِكِ)، فَقُلتُ: نَعَمْ، لَسْتُ لكَ بمُخْلِيَةٍ، وأَحَبُّ مَن شَارَكَنِي في خَيْرٍ أُخْتِي، فَقالَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(إنَّ ذَلِكِ لا يَحِلُّ لِي). قُلتُ: فإنَّا نُحَدَّثُ أنَّكَ تُرِيدُ أنْ تَنْكِحَ بنْتَ أبِي سَلَمَةَ؟ قالَ: (بنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ)، قُلتُ: نَعَمْ، فَقالَ: (لو أنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي في حَجْرِي ما حَلَّتْ لِي، إنَّهَا لَابْنَةُ أخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أرْضَعَتْنِي وأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فلا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ ولَا أخَوَاتِكُنَّ).

قالَ عُرْوَةُ : (وثُوَيْبَةُ مَوْلَاةٌ لأبِي لَهَبٍ: كانَ أبو لَهَبٍ أعْتَقَهَا، فأرْضَعَتِ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا مَاتَ أبو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أهْلِهِ بشَرِّ حِيبَةٍ، قالَ له: مَاذَا لَقِيتَ؟ قالَ أبو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غيرَ أنِّي سُقِيتُ في هذِه بعَتَاقَتي ثُوَيْبَةَ).

وثويبة أيضا أرضعت حمزة بن عبد المطلب عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ. واختُلف في إسلامها ، والله أعلم.

(قد شُق منه الصدر وهو طفل) : أي شُق صدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو صغير في ديار بني سعد.

وهذا ثابت في صحيح مسلم(١٦٢) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يَلْعَبُ مع الغِلْمانِ، فأخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عن قَلْبِهِ، فاسْتَخْرَجَ القَلْبَ، فاسْتَخْرَجَ منه عَلَقَةً، فقالَ: هذا حَظُّ الشَّيْطانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ في طَسْتٍ مِن ذَهَبٍ بماءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أعادَهُ في

مَكانِهِ، وجاءَ الغِلْمانُ يَسْعَوْنَ إلىٰ أُمِّهِ، يَعْنِي ظِئْرَهُ، فقالوا: إنَّ مُحَمَّدًا قدْ قُتِلَ، فاسْتَقْبَلُوهُ وهو مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قالَ أنَسٌ: وقدْ كُنْتُ أرَىٰ أثَرَ ذلكَ المِخْيَطِ في صَدْرِهِ).

قوله (فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ): أي ألقاه علىٰ الأرض.

قوله (فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً): أي استخرج من قلبه قطعة دم.

قوله (حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ): أي نصيبه لو استمر معك ، الذي من خلاله يوصل الوسوسة إليك.

قوله (ثُمَّ لأَمَهُ): أي جمعه وضم بعضه إلىٰ بعض.

قوله(إِلَىٰ أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ): ظئره أي مرضعته ، والمراد بها هنا حليمة السعدية.

قوله(مُنْتَقَعُ اللَّوْنِ): أي متغير اللون.

قوله(وقدْ كُنْتُ أرَىٰ أثَرَ ذلكَ المِخْيَطِ في صَدْرِهِ) : المخيط الإبرة.

وهذه المرة الأولىٰ التي شُق فيها صدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وكان في ديار بني سعد في نحو أربع سنين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وأقام صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عندها -أي عند حليمة- في بني سعد نحواً من أربع سنين، وشق عن فؤاده هناك)اهـ[1]

وقد تكررت حادثة شق صدر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وكانت المرة الثانية ليلة الإسراء والمعراج ، وهذا ثابت في الصحيحين وغيرهما.

روىٰ البخاري(٣٤٩) ومسلم(١٦٣) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: (فُرِجَ عن سَقْفِ بَيْتي وأَنَا بمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وإيمَانًا، فأفْرَغَهُ في صَدْرِي، ثُمَّ أطْبَقَهُ، ثُمَّ أخَذَ بيَدِي، فَعَرَجَ بي إلىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا..)الحديث.

وفي البخاري(٧٥١٧) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بهِ مِن مَسْجِدِ الكَعْبَةِ، أنَّه جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أنْ يُوحَىٰ إلَيْهِ وهو نَائِمٌ في المَسْجِدِ الحَرَامِ، فَقالَ أوَّلُهُمْ: أيُّهُمْ هُوَ؟ فَقالَ أوْسَطُهُمْ: هو خَيْرُهُمْ، فَقالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حتَّىٰ أتَوْهُ لَيْلَةً أُخْرَىٰ، فِيما

---

(١) الفصول(٩٢)

يَرَىٰ قَلْبُهُ، وتَنَامُ عَيْنُهُ ولَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وكَذلكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ ولَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَلَمْ يُكَلِّمُوهُ حتَّىٰ احْتَمَلُوهُ، فَوَضَعُوهُ عِنْدَ بئْرِ زَمْزَمَ، فَتَوَلَّاهُ منهمْ جِبْرِيلُ، فَشَقَّ جِبْرِيلُ ما بيْنَ نَحْرِهِ إلىٰ لَبَّتِهِ حتَّىٰ فَرَغَ مِن صَدْرِهِ وجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِن مَاءِ زَمْزَمَ بيَدِهِ، حتَّىٰ أَنْقَىٰ جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ فيه تَوْرٌ مِن ذَهَبٍ، مَحْشُوًّا إيمَانًا وحِكْمَةً، فَحَشَا به صَدْرَهُ ولَغَادِيدَهُ - يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ - ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ عَرَجَ به إلىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا..)الحديث.

وذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن حادثة شق صدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كانت مرة واحدة فقط عندما كان صغيرا في ديار بني سعد وأنكر وقوع ذلك ليلة الإسراء، ولا التفات لقوله ؛ لثبوت ذلك في الصحيحين وغيرهما كما تقدم.

قال الحافظ ابن حجر: (وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ، وقال إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد ولا إنكار في ذلك ، فقد تواردت الروايات) اهـ

وذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن حادثة شق الصدر كانت ثلاث مرات؛ الأولىٰ وهو صغير في ديار بني سعد، والثانية عند المبعث، والثالثة قبل الإسراء ، وإلىٰ هذا ذهب ابن حجر والبيهقي والسيوطي.

وذهب آخرون إلىٰ أنها أربع وجعل الثانية في سن العاشرة ، وإلىٰ هذا ذهب الصالحي وغيره ، وقيل خمس، ولا يثبت من ذلك شيء والأحاديث الواردة في ذلك لا تخلو من ضعف.

والتحقيق أن شق الصدر لم يثبت إلا مرتين ؛ الأولىٰ وهو صغير في ديار بني سعد ، والثانية ليلة الإسراء والمعراج.

قال الحافظ : (ورجح عياض أن شق الصدر كان وهو صغير عند مرضعته حليمة وتعقبه السهيلي بأن ذلك وقع مرتين ، وهو الصواب) اهـ المراد [1]

ثم أشار رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أقوال أخرىٰ ، ذكرها في كتاب التوحيد ومال إلىٰ أنها ثلاث كما تقدم.

و من الحكم في حادثة شق صدر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ما ذكره الحافظ في الفتح فقال : (ولكل منهما حكمة، فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فأخرج علقة فقال : "هذا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ" ، وكان هذا

(١) الفتح(١/ ٤٦٠)

في زمن الطفولة فنشأ علىٰ أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلىٰ السماء ليتأهب للمناجاة ..) اهـ المراد [١]

و شق صدره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حقيقة علىٰ ظاهره خلافاً لمن أوله.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا الحديث محمول علىٰ ظاهره وحقيقته، إذ لا إحالة في متنه عقلاً، ولا يستبعد من حيث أن شق الصدر وإخراج القلب موجب للموت، فإن ذلك أمر عادي، وكانت جل أحواله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خارقة للعادة، إما معجزة وإما كرامة..) اهـ المراد [٢]

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : (واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه، حقيقة لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك) اهـ [٣]

---

(١) الفتح(٧/ ٢٠٤-٢٠٥)

(٢) المفهم(١/ ٣٨٢)

(٣) الفتح(٧/ ٢٠٥)

وفي هذا بيان عناية الله تعالىٰ بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حيث حفظه من الشيطان وعصمه من تسلطه ووسوسته ؛ بإخراج حظه منه.

(في أربع بذاك جاء النقل) : أي كانت حادثة شق صدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الأولىٰ وهو في ديار بني سعد في نحو أربع سنين ، وقد تقدم كلام الحافظ ابن كثير في هذا.

(والأم ماتت وهي بالأبواء) : أي ماتت أم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ آمنة بنت وهب بالأبواء وهي منطقة بين مكة والمدينة.

وذلك أنه لما حدثت حادثة شق صدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خافت حليمة علىٰ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فردته إلىٰ أمه ، فخرجت به أمه إلىٰ المدينة تزور أخواله بالمدينة ، فتوفيت بالأبواء وهي راجعة إلىٰ مكة.

ولما مرَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالأبواء، وهو ذاهب إلىٰ مكة عام الفتح استأذن ربه أن يزور قبر أمه ؛ فأذن له، كما في صحيح مسلم(٩٧٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (زَارَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَىٰ وَأَبْكَىٰ مَن حَوْلَهُ، فَقالَ: اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي في أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ في أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ :(ولا خلاف أن أمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ماتت بين مكة والمدينة بالأبواء ، منصرفها من المدينة من زيارة أخواله)اهـ[١]

(وعمره ست بلا امتراء) : أي ماتت أمه وله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من العمر ست سنين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فخرجت به أمه إلىٰ المدينة تزور أخواله بالمدينة، فتوفيت بالأبواء، وهي راجعة إلىٰ مكة وله من العمر ست سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وقيل: بل أربع سنين)اهـ[٢]

(عاش يتيمًا بأبي وأمي) : أي عاش النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يتيما ؛ فقد مات أبوه وهو حَمْل في بطن أمه كما تقدم.

واليتيمُ في اللغة : من يتُمَ، يَيْتُم، يُتْمًا، فهو يتيم ، وجمعها أيتام ويتامىٰ ، ويُطلق لفظ اليتيم علىٰ مَن فَقَد أباه قبل البلوغ، وأساس وأصل اليُتم الانفراد، والحاجة، والغفلة.

---

(١) زاد المعاد(١/ ٧٥)

(٢) الفصول(٩٣)

و اليتيم في الاصطلاح الشرعي: يُطلق علىٰ مَن فَقَدَ أباه قبل سن البلوغ ، فإذا بلغ الحلم لم يعتبر يتيماً.

ويدل علىٰ ذلك ما رواه أبو داود وغيره عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (حفِظتُ عن رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُتْمَ بعدَ احتِلامٍ). (١)

ومعنىٰ قول الناظم (بأبي وأمي) : أي : أفديه بأبي وأمي، وهي كلمة تقولها العرب في تعظيم المخاطب.

(آواه ربي حاطه بالعلم) : أي آواه الله وحفظه ، وأحاطه بعلمه وعنايته جَلَّ جَلَالُهُ.

(١) والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود(٢٨٧٣)

٣٤- قَـامَ بِـهِ الْجَـدُّ لِعُمْـرِ الثَّامِنَـهْ ** مِـنْ بَعْدِ مَوْتِ بِنْتِ وَهْبٍ آمِنَهْ

٣٥- حَضَـانَةٌ كَانَـتْ لِأُمِّ أَيْمَـنِ ** جَزَاهَـا رَبِّـي بِعَظِـيمِ الْمِـنَنِ

٣٦- ثُـمَّ رَعَـاهُ عَمُّـهُ الْقَرِيـبُ ** وَحَاطَـهُ بِالنُّصْـحِ يَـا لَبِيـبُ

٣٧- عَبْـدُ مَنَـافٍ اسْـمُهُ الْمَشْـهُورُ ** أَبٌ لِطَالِـبٍ فَتًـى مَثْبُـورُ

٣٨- فِـي ثَـانِ عَشْـرَةٍ مِـنَ الْأَعْـوَامِ ** خُرُوجُـهُ كَـانَ لِأَرْضِ الشَّـامِ

٣٩- حَـذَّرَهُمْ مِنْـهُ بَحِيـرَا الرَّاهِـبُ ** إِذِ اليَهُـودِيُّ بِـهِ يُطَالِـبُ

٤٠- قِصَّـتُهُ فِيهَـا الْمَـلَا يَخْتَلِـفُ ** وَرَاجِـحُ الْقَـوْلِ بِهَـا تَـأْتَلِفُ

٤١- وَاقِعَـةٌ ثَابِتَـةٌ أَكِيـدَهْ ** وَرَدُّ مَـا يُنْكَـرُ فِـي الْعَقِيـدَهْ

الشَّرْحُ

(قام به الجد لعمر الثامنة) : أي قام بكفالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد موت أمه جده عبد المطلب ، حيث كفله إلىٰ أن بلغ من العمر ثماني سنين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (وكفله جده عبد المطلب ، فلما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العمر ثماني سنين توفي جده..)اهـ [١]

(من بعد موت بنت وهب آمنة): أي كانت كفالة عبد المطلب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد موت أمه آمنة بنت وهب.

---

(١) الفصول(٩٣)

(حضانة كانت لأم أيمن) : أي لما ماتت أم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حضنته أم أيمن واسمها بركة الحبشية من الصحابيات المهاجرات ، وهي مولاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولاء عتق ، ذكروا أنه ورثها من أبيه عبدالله.

قال ابن كثير : (فلما ماتت أمه حضنته أم أيمن وهي مولاته، ورثها من أبيه)اهـ[1]

ولما كبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؛ أعتقها وزوجها زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وولدت له أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وحواضن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : أمه آمنة ، وحليمة ، وابنتها الشيماء ، وثويبة ، وأشهرهن وأجلهن أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وعاشت أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فترة من الزمن ؛ ففي مسلم(٢٤٥٤) عن أنس قال: قالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بنَا إلىٰ أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا، كما كانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إلَيْهَا بَكَتْ، فَقالَا لَهَا: ما يُبْكِيكِ؟ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقالَتْ: ما أَبْكِي أَنْ لا أَكُونَ أَعْلَمُ أنَّ ما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ

---

(١) الفصول(٩٣)

لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَيَّجَتْهُما علَىٰ البُكَاءِ ؛ فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ معهَا).

وفي هذا الحزن والبكاء علىٰ فقد العلم ، ومفارقة الصالحين.

(جزاها ربي بعظيم المنن) : الجملة هنا يحتمل أن تكون خبرية ، المراد منها الإخبار بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جازىٰ أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ حضانة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بأعظم النعم ، وهي نعمة الإسلام.

ويحتمل أن تكون الجملة خبرية لفظا إنشائية معنىٰ ، المراد منها الدعاء.

فيكون دعاء من الناظم لأم أيمن ؛ بأن يجزيها الله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ حضانة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عظيم المنن والعطايا في الجنة.

(ثم رعاه عمه القريب): أي ثم رعىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بعد موت جده ، عمه أبو طالب القريب منه ؛ لأنه كان شقيق والده.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فلما بلغ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العمر ثماني سنين توفي جده، وأوصىٰ به إلىٰ عمه أبي طالب، لأنه كان شقيق عبدالله فكفله..)اهـ [١]

(وحاطه بالنصح يا لبيبُ) : أي أن أبا طالب حاط النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالنصح أتم حياطة، ونصره وآزره ، مع أنه كان مستمرا علىٰ شركه ، ومات كافرا.

قال الحافظ ابن كثير في معرض كلامه عن كفالة عمه أبي طالب له : (وحاطه أتم حياطة، ونصره حين بعثه الله أعز نصر، مع أنه كان مستمراً علىٰ شركه إلىٰ أن مات، فخفف الله بذلك من عذابه كما صح الحديث بذلك)اهـ [٢]

وقوله (فخفف الله بذلك من عذابه كما صح الحديث بذلك) : يشير إلىٰ حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في البخاري(٣٨٨٣) ومسلم(٢٠٩) قال: قلتُ للنبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما أغنَيتَ عن عَمِّكَ فقد كان يَحوطُكَ ويَغضَبُ لكَ قال: هو في ضَحضاحٍ ولولا أنا لكان في الدَّرْكِ الأسفَلِ منَ النارِ).

---

(١) الفصول(٩٣)

(٢) الفصول(٩٣)

وفي هذا بيان خطر الشرك والعياذ بالله ، فهو قد حمىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وحاطه أتم حياطة وناصره ودافع عنه بكل ما يستطيع ، ولكن هذا كله ما نفعه لما مات علىٰ الكفر والشرك -نسأل الله العافية- وإنما خفف عنه شيئا من العذاب ، وهذا يبين معنىٰ قول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

وقوله سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣].

ومعنىٰ قوله (اللبيب) : الذكي سريع الفهم.

(عبد مناف اسمه المشهور) : أي أن أبا طالب المشهور في اسمه أنه عبد مناف.

(أبٌ لطالبٍ فتىٰ مثبور) : أي وكنيته أبوطالب ، وهو فتىٰ مثبور.

والمثبور : الهالك ، يقال : ثبَر المرءُ : أي هلك ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣] أي: هلاكًا.

ويأتي بمعنىٰ مخبول لا عقل له ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

ومراد الناظم هنا أن أبا طالب مثبور ، أي هالك محروم من الخير لعدم إيمانه بما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، وتفضيله دين آبائه علىٰ الدين الحق.

(في ثاني عشرة من الأعوام) : أي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خرج به عمه إلىٰ الشام في تجارة وهو ابن ثنتي عشرة سنة.

(خروجه كان لأرض الشام) : مع عمه أبي طالب للتجارة ، وذلك من تمام عناية أبي طالب بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولطفه به لعدم وجود من يقوم به إذا تركه بمكة.

قال الحافظ ابن كثير : (وخرج به عمه إلىٰ الشام في تجارة وهو ابن ثنتي عشرة سنة ، وذلك من تمام لطفه به ، لعدم من يقوم به إذا تركه بمكة..)اهـ [١]

(حذرهم منه بحيرا الراهب) : أي حذرهم بحيرا الراهب من اليهود ، وأمر أبا طالب بالرجوع بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ مكة لئلا يراه اليهود فيرمونه بسوء.

---

(١) الفصول(٩٣)

وكان بحيرا الراهب نصرانيا ويعرف من كتبهم أن هنالك نبيا سيبعث ، وقد آمن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة.

ويدل علىٰ هذا ما رواه الترمذي(٣٦٢٠) من حديث أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِي ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : (خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَىٰ الشَّامِ، وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَىٰ الرَّاهِبِ ؛ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ، فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ، قَالَ : فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّىٰ جَاءَ، فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ الله رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ : مَا عِلْمُكَ ؟ فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ ؛ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا، وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ - وَكَانَ هُوَ فِي رِعْيَةِ الْإِبِلِ - قَالَ : أَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ ؛ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَىٰ فَيْءِ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ : انْظُرُوا إِلَىٰ فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ : فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لَا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ الرُّومِ، فَإِنَّ

الرُّومَ إِذَا رَأَوْهُ ؛ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالْتَفَتَ، فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ، فَقَالَ مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ قَالُوا : جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ، وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ، فَبُعِثْنَا إِلَىٰ طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ : هَلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ ؟ قَالُوا : إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا، قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ الله أَنْ يَقْضِيَهُ، هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ ؟ قَالُوا : لَا. قَالَ : فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ، قَالَ : أَنْشُدُكُمْ بِالله: أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا : أَبُو طَالِبٍ فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّىٰ رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ).

والحديث صححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح الترمذي ، وهو في الصحيح المسند من دلائل النبوة للشيخ مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

لكن ذِكر أبي بكر وبلال فيه منكر ؛ فإن أبابكر في ذلك الوقت كان ابن عشر سنين، إذ هو أصغر من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بسنتين ونصف ، وبلال في ذلك الوقت لم يكن أبوبكر قد اشتراه ، فإن أبابكر لم يشتره إلا بعد البعثة ، بل لم يكن ولد بعد ، والله أعلم.

وقد أنكر ذلك جماعة من أهل العلم منهم الحافظ ابن حجر وغيره.

وفي الحديث من الآيات التي رأوها لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؛ تظليل الغمامة عليه وهو يمشي ، وإذا جلس مالت الشجرة بظلها عليه ، وتبشير بحيرا الراهب به ، وأمره لعمه بالرجوع به لئلا يراه اليهود فيؤذونه.

وفيه أن أبا طالب علم بنبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو صغير إلا أنه لم يؤمن به ، ومات كافرا.

(إذ اليهودي به يطالبُ) : لإيذائه والفتك به حسدا وبغيا ؛ فإن اليهود قومٌ حُسَّد ، وهم قتلة الأنبياء.

(قصته فيها الملا يختلفُ) : أي قصة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع بحيرا الراهب ؛ اختلف فيها أهل العلم ؛ فمنهم من أثبت القصة إلا زيادة ذكر أبي بكر وبلال ؛ فإنها منكرة كما تقدم.

ومنهم من ضعف الحديث من أصله وحكم عليه بالنكارة ، كالإمام الذهبي في السير.

(وراجح القول بها تأتلفُ) : أي وتأتلف القصة وتستقيم بالقول الراجح ، وهو أن الحديث صحيح إلا زيادة ذكر أبي بكر وبلال ؛ فإنها منكرة.

(واقعة ثابتة أكيدة) : أي أن الراجح في قصة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع الراهب أنها واقعة ثابتة أكيدة ، وقد صححها جماعة من أهل العلم منهم الألباني والوادعي كما تقدم.

(ورد ما ينكر في العقيدة) : أي هي ثابتة إلا ما أُنكر من زيادة ذكر أبي بكر وبلال فيها.

ومراد الناظم بالعقيدة هنا المعنىٰ اللغوي أي اليقين والجزم بنكارة هذه الزيادة، أما بقية القصة فهي صحيحة ثابتة.

٤٢- وَقَدْ رَعَىٰ الْأَغْنَامَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ ** عَلَىٰ قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةِ

٤٣- قَدْ صَانَهُ اللهُ عَنِ السَّفَاسِفِ ** جَمِيلُ وَجْهٍ لَمْ يَكُنْ بِالْكَاسِفِ

٤٤- وَحِلْفُ ذِي الْفُضُولِ كَانَ حَاضِرَا ** مَعْ عَمِّهِ وَلَمْ يَكُنْ مُنَافِرَا

٤٥- خُرُوجُهُ الثَّانِي لِأَرْضِ الْمَحْشَرِ ** وَطَالِبًا لِلرِّزْقِ مِنْ ذَا الْمَتْجَرِ

الشَّرْحُ

(وقد رعىٰ الأغنام قبل البعثة) : أي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قبل بعثته عمل في رعي الأغنام لأهل مكة ، وما بعث الله نبيا إلا راعي غنم ، إعدادا وتأهيلا من الله سبحانه لأنبيائه ؛ للتَّعوُّد علىٰ الصبر والشفقة والرحمة، والتواضع ، وجَمع المتفرِّق، وغير ذلك من المعاني.

ويدل علىٰ ذلك مارواه البخاري(٢٢٦٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال : (ما بعثَ اللهُ نبيًّا قَطُّ إلَّا راعيَ غنَمٍ).

(علىٰ قراريط لأهل مكة) : ويدل علىٰ هذا حديث أبي هريرة المتقدم عند البخاري وفيه : (كُنْتُ أرعىٰ الغَنَمَ علىٰ قراريطَ لأهْلِ مكَّة).

وعند ابن ماجة(٢١٤٩) بلفظ:(وأَنا كُنتُ أرعاها لأَهْلِ مَكَّةَ بالقَراريط).

قالَ سُوَيْدٌ: يعني كلَّ شاةٍ بقيراطٍ.

والقراريط جمع قيراط ، وتفسير سُويدِ بنِ سعيدٍ أحد رواة الحديث ؛ بأن كل شاة بقيراط ؛ يَدُلُّ علىٰ أنَّ القيراط نوع من النَّقد ، أو هو جزء من الدَّراهم والدَّنانير.

فقيل: هو من أجزاءِ الدِّينارِ، وهو نصف عشرة في أكثر البلاد، وأهل الشام يجعلونه جزءا من أربعة وعشرين.

فعلىٰ هذا يكون معنىٰ (علىٰ قراريط) أي : علىٰ نسبة معينة من الدنانير أو الدراهم.

وقيل : إنَّ القراريط هنا اسم لموضع بمكة كان يرعىٰ فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الأغنام ، ورُدّ بأن أهل مكة لا يعرفون بها مكانا يقال له قراريط.

وجمع بعض أهل العلم بين ذلك ؛ بأنه لا مانع من أن يكون المعنىٰ أنه كان يرعىٰ بالأجرة لأهل مكة في أي مكان فيها. (١)

وذكر أهل العلم جملة من الحكم في رعي الأنبياء للغنم قبل النُّبوَّة منها:

---

(١) الفتح(٤/ ٤٤١)

أنه برعيها يحصل لهم التَّمرُّن علىٰ ما يُكلَّفون به من القيام بأمر أمَّتهم.

ولأن في مخالطتها ما يحصل لهم به الحلم والشفقة ؛ لأنهم إذا صبروا علىٰ رعيها وجمعها بعد تفرُّقها في المرعىٰ ونقلها من مسرح إلىٰ مسرح، ودفْع عدوها من السِّباع والوحوش والسُّرَّاق، وعلموا اختلاف طباعها وشدَّة تفرُّقها، مع ضعفها واحتياجها إلىٰ المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر علىٰ الأمَّة، وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها، وأحسنوا التَّعاهد لها، فيكون تحمُّلُهم لمشقَّة ذلك أسهل مما لو كُلِّفوا القيام بذلك من أول وهلة؛ لما يحصل لهم من التَّدريج علىٰ ذلك برعي الغنم ، وخُصَّت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها؛ ولأن تفرُّقها أكثر من تفرُّق الإبل والبقر ؛ لإمكان ضبط الإبل والبقر بالرَّبط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثَريَّة تفرُّقها فهي أسرع انقيادًا من غيرها.

ولما في ذلك من اكتساب الرفق والسكينة والهدوء ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (السَّكينة في أهل الغنم)، وفي مسلم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (السَّكينة والوقار في أصْحاب الشَّاء).

ولذلك كانت السَّكينة والوقار من لوازم النبوَّة.

في حين تَجِد رعاة الإبل ذوي أصوات عالية ، وفخر وخيلاء ؛ كما في الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال : (الفَخْر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، الفدَّادين أهل الوبر).

والفدَّادين بتشديد الدَّال: جمع فداد من الفديد، وهو الصوت الشديد، وهم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الفَخْر والرِّياء في الفدَّادين أهل الخيل والوَبَر).

وفي هذا بيان عناية الله بأنبيائه وتربيته لهم ، وإعدادهم لتحمل الرسالات.

وفيه: بيان شدة تواضع النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وافتقاره لربه، والتصريح بفضل الله ومنته عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(قد صانه الله عن السفاسف) : السفاسف جمع سفساف ، وهي الأمور التافهة الحقيرة.

وذلك أن الله صان نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ منذ الصغر عن سفاسف الأمور وتوافهها، كما صانه عن خصال الجاهلية وصفاتهم الذميمة مثل : الكذب والزور وأكل أموال الناس بالباطل ، ونحو ذلك من الصفات السيئة.

كما صانه الله عن أفعالهم المنكرة ؛ كعبادة الأصنام والأوثان والزنىٰ وشرب الخمر ونحو ذلك من الأفعال المنكرة التي كانت منتشرة في الجاهلية.

وقد أجمع العلماء علىٰ عصمة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من الكفر قبل الوحي وبعده ؛ فلم يتقرب لصنم ولم يتمسح به.

جاء عند الطبراني(٤٦٦٥) عن زيد بن حارثة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : (كان صنمٌ من نُحاسٍ يُقالُ له إسافُ أو نائلةُ يتمسَّحُ به المشركون إذا طافوا ، فطاف رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وطُفتُ معه فلمَّا مررتُ مسحتُ به ، فقال رسولُ اللهِ : لا تمسَّه . قال زيدٌ : فطُفْنا فقلتُ في نفسي : لأمسَّنَّه حتَّىٰ أنظرَ ما يكونُ ، فمسحتُه فقال رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : ألم تُنهَ ؟!

قلتُ : زاد فيه غيرُه عن محمَّدِ بنِ عمرٍو بإسنادِه . قال زيدٌ : فوالَّذي أكرمه ، وأنزل عليه الكتابَ ما استلم صنمًا حتَّىٰ أكرمه اللهُ بالَّذي أكرمه وأنزل عليه)

والحديث حسنه الألباني في صحيح السيرة(٣٢) ، والوادعي في صحيح دلائل النبوة(٢١٥).

فطهره الله من دنس الجاهلية وشركها ، ومن كل نقص وعيب ، ومنحه كل خلق جميل حتىٰ كان يلقب بالصادق الأمين.

روىٰ البخاري(٤٧٧٠) ومسلم(٢٠٨) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَىٰ الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يا بَنِي فِهْرٍ، يا بَنِي عَدِيٍّ -لِبُطُونِ قُرَيْشٍ- حتَّىٰ اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أنْ يَخْرُجَ أرْسَلَ رَسولًا لِيَنْظُرَ ما هُوَ، فَجَاءَ أبو لَهَبٍ وقُرَيْشٌ، فَقالَ: أرَأَيْتَكُمْ لو أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلًا بالوَادِي تُرِيدُ أنْ تُغِيرَ علَيْكُم؛ أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نَعَمْ، ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلَّا صِدْقًا، قالَ: فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقالَ أبو لَهَبٍ: تَبًّا لكَ سَائِرَ اليَومِ، ألِهذا جَمَعْتَنَا؟! فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١-٢].

قال الحافظ ابن كثير في الفصول(٩٥): (وكان الله سبحانه قد صانه وحماه من صغره ، وطهره من دنس الجاهلية ومن كل عيب ، ومنحه كل خلق جميل حتىٰ لم يكن يُعرف بين قومه إلا بالأمين لما شاهدوا من طهارته وصدق حديثه وأمانته) اهـ

ومن صيانة الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما رواه البخاري(٣٦٤) ومسلم(٣٤٠) عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ - عَمُّهُ : يَا ابْنَ أَخِي، لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ فَجَعَلْتَ عَلَىٰ مَنْكِبَيْكَ دُونَ الْحِجَارَةِ. قَالَ : فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عُرْيَانًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(جميل وجه لم يكن بالكاسف) : معنىٰ كاسف الوجه : أي عابسه.

أي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان جميل الوجه بشوشا ولم يكن بالعابس.

ففي مسلم(٣٧٢٣) من حديث البراء قال : (كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا).

وفي البخاري(٣٥٥٢) سُئِلَ الْبَرَاءُ : (أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ السَّيْفِ ؟ قَالَ : لَا، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ).

وفي البخاري (٣٥٥٦) عن كعب بن مالك: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ).

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جميل الوجه بشوشا حتىٰ عند مرضه ووفاته ؛ ففي البخاري (٦٨٠) ومسلم (٤١٩) عن أَنَس بْن مَالِكٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ، وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ كَشَفَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرَ الْحُجْرَةِ، فَنَظَرَ إِلَيْنَا، وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ، ثُمَّ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَاحِكًا ...) الحديث.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مسلم (٤/ ١٤٢) : (عبارة عن الجمال البارع وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته) اهـ

وهذه الأحاديث وغيرها تدل علىٰ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حباه الله عَزَّ وَجَلَّ جمال الوجه وصفاءه ، وحسن السمت، وبهاء الصورة، ومن أُتِي وجها كهذا الوجه ؛ فإن العيون لا تمل من النظر إليه، والنفوس لا تسأم من الجلوس بين يديه؛ فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في ذروة سنام الحسن وبهائه، وقمة صباحة الوجه، كأنما أفرغ في قالب من فضة، لم ير أحسن ولا أضوأ منه، إذا سُرَّ استنار وجهه ، وإذا رآه الرائي حسب أن قطعة من القمر استقرت علىٰ الأرض.

وفي الغالب فإن الوجه الحسن والطلعة البهية تنبئ عن نفس زكية تميل إلىٰ فعل الجميل، فبين جمال الخَلق والخُلق صلة قريبة ؛ فإنه قلَّ أن تجد صورة حسنة تخفي وراءها نفسًا رديئة، وعزَّ أن تطالع عينك وجهًا حسنًا، ولا يقع في نفسك منه مظنة لفعل الجميل فطلاقة الوجه واستبشاره بريد ما في النفس وعنوان له.

ولذلك كان الأنبياء أحسن الناس وجها.

(وحلف ذي الفضول كان حاضرا) : أي أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كان حاضرا حلف الفضول.

وحلف الفضول: هو أحد أحلاف الجاهلية التي شهدتها قريش ، وقد شهد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ هذا الحلف الذي كان في الجاهلية من أجل نصرة المظلوم.

روىٰ أحمد في المسند(١٦٥٥) من حديث عبدالرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال : (شَهِدت حلف المطَيَّبين مع عُمُومَتي وأنا غلام؛ فما أحبُّ أنَّ لي حُمْر النَّعم وأنِّي أنكُثه) ، والحديث صححه الألباني في حاشية فقه السيرة(٧٥).

قوله (حلف المطيَّبين) : قال ابن الأثير في النهاية(٣/ ١٤٩) : (اجتمع بنو هاشم وبنو زهرة وتيم في دار ابن جدعان في الجاهلية وجعلوا طيباً في جفنة وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا علىٰ التناصر والأخذ للمظلوم من الظالم فسموا المطَيَّبين) اهـ

وقوله (حُمْر النَّعَم) : الحُمْر -بضم فسكون- جمع أحمر ، والنَّعَم -بفتحتين- الأنعام والدواب ، والمراد بها الإبل ، والحمر منها أحسن أنواعها.

قال محمَّد بن إسحاق : (تداعت قبائل من قريش إلىٰ حِلْف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرَّة بن كعب بن لؤي، لشَرَفه وسنِّه، فكان حِلْفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطَّلب، وأسد بن عبد العزَّىٰ، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرَّة. فتعاقدوا وتعاهدوا علىٰ أن لا يجدوا بمكَّة مَظْلومًا من أهلها وغيرهم -ممَّن دخلها من سائر النَّاس- إلا قاموا معه، وكانوا علىٰ مَن ظَلَمه حتىٰ تُرَدَّ عليه مَظْلمته، فسمَّت قريشٌ ذلك الحِلْف: حِلْف الفُضُول) اهـ[1]

(مع عمه ولم يكن منافرا) : أي كان حضوره الحلف مع عمه.

---

(١) سيرة ابن هشام(١/ ١٣٣)

وقوله (منافرا) : اسم فاعل من نافر أي خاصم.

(خروجه الثاني لأرض المحشر) : أي أن خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الثاني كان لأرض الشام ؛ فأرض المحشر هي أرض الشام ، حيث يحشر الناس إلىٰ الشام في آخر الزمان ، ومن الأدلة علىٰ ذلك :

ماجاء عند أحمد في المسند(٢٠٠٢٥) عن حكيم بن معاوية البهزي عن أبيه فذكر الحديث وفيه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هاهنا تحشرون، هاهنا تحشرون، هاهنا تحشرون – ثلاثـًا – ركبانـًا، ومشاة، وعلىٰ وجوهكم).

قال ابن أبي بكير: فأشار بيده إلىٰ الشام فقال: إلىٰ هاهنا تحشرون.

والحديث صححه الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند(١١٢٩).

وهذه رحلة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الثانية لأرض الشام ، وكانت الرحلة الأولىٰ مع عمه أبي طالب.

والرحلة الثانية كانت لأرض الشام في تجارة لخديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع غلامها ميسرة.

قال الحافظ ابن كثير في الفصول(٩٤) : (ثم خرج ثانيا إلىٰ الشام في تجارة لخديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع غلامها ميسرة علىٰ سبيل القِرَاض..) اهـ

والقِرَاض : يقال له المضاربة عند الفقهاء ، وهو أن يدفع شخص المال إلىٰ شخص آخر يتاجر فيه علىٰ نسبة معينة كالنصف أو الثلث أو الربع أو نحو ذلك.

ولفظ القراض شائع بالحجاز، شيوع لفظ المضاربة بالعراق، وإنما سميت المعاملة قراضاً ومقارضة، لاشتمالها علىٰ قطع الربح علىٰ نسبة بين المالك والعامل، فالقراض القطع، ومنه المقراض.

وسميت مضاربة لتضارب المالك والعامل في الربح، فكلٌّ يضرب فيه بالجزء الذي شُرط له. (١)

(وطالبا للرزق من ذا المتجر) : أي خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الشام طالبا للرزق ، فخرج متاجرا في مال خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ سبيل القِراض.

(١) تحرير ألفاظ التنبيه ، نهاية الطلب في دراية المذهب

٤٦- زَوَاجُـهُ كَـانَ عَلَـىٰ خَدِيجَـهْ ** طَـاهِرَةٍ فَاضِـلَةٍ بَهِيجَـهْ

٤٧- فِي سِنِّ خَمْسٍ بَعْدَ ذِي الْعِشْـرِينَا ** حَبَـاهُ رَبِّـي جُمْلَـةَ الْبَنِينَـا

٤٨- قَـدْ لَقَّبُـوهُ الصَّـادِقَ الْأَمِينَـا ** جَمِيـلُ طَبْـعٍ تَلْقَـهُ مُبِينَـا

٤٩- بَعْـدَ الثَّلَاثِـينَ بِخَمْـسٍ حَاضِـرَهْ ** كَـادَتْ قُلُـوبٌ أَنْ تَكُـونَ نَـافِرَهْ

٥٠- أَيْ حِـينَ كَـانُوا فِـي بِنَـاءِ الْكَعْبَـةِ ** وَاخْتَلَفَتْ قُرَيْشُ فِي ذِي الْحِقْبَةِ

٥١- كُـلٌّ يُرِيـدُ مِـنْهُمُ رَفْـعَ الْحَجَـرْ ** فَكَـانَ حُكْمُـهُ سَـبِيلًا لِلظَّفَـرْ

٥٢- حَبَـاهُ رَبِّـي بِسَـلَامِ الْحَجَـرِ ** عَلَيْـهِ إِذْ يَمْشِـي بِـلَا تَـأَخُّرِ

٥٣- مُخَالِفًـا لِلْحُمْـسِ فِـي الْعِبَـادَهْ ** طَرِيـقِ رُشْـدٍ وَبِهَـا السِّـيَادَهْ

الشَّرْحُ

(زواجه كان علىٰ خديجة): أي أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ تزوج علىٰ خديجة بنت خويلد رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ، وكانت خديجة ذات شرف رفيع من أعلىٰ نساء قريش نسبا وحسبا، ولقد لُقّبت بالطاهرة ؛لشرفها وأخلاقها العالية.(١)

وذلك أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عندما خرج إلىٰ الشام في تجارة لخديجة مع غلامها ميسرة ؛ رأىٰ ميسرة من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ما بهره ،فعندما رجع أخبر خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بما شاهده من أمر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ

(١) السيرة لابن هشام(١/ ١٨٩)، جمهرة أنساب العرب لابن حزم(١٦)

فرغبت إليه أن يتزوجها، لما رجت من الخير وكان هذا من توفيق الله لها ، فعرضت نفسها علىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

وذكر ابن سعد في الطبقات أن التي قامت بدور الخاطبة بين رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وبين خديجة، هي نفيسة بنت مُنَية أرسلتها خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لتقوم بذلك.

قلت : وهذه الرواية هي الأصح، وتتناسب مع مكانة المرأة الشريفة، وهي الأليق بخديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا؛ حيث أن المرأة الشريفة الفاضلة لا تعرض نفسها بصورة مباشرة علىٰ من تريد الزواج به ، وإنما ترسل إليه من يعبر عن رغبتها بطريق غير مباشر بما يتناسب مع الحكمة ومراعاة الأولياء.

وتولىٰ أمر زواج خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أبوها خويلد بن أسد كما ذكر ذلك أصحاب السير.[١]

(١) سيرة ابن هشام(١/ ١٩٠) ، البداية والنهاية(٢/ ١٩٩)

وقيل :عمها؛ فقد ذكر الطبري عن ابن عباس أن عمها عمرو بن أسد زوّجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن أباها مات قبل حرب الفجار.(١)

فتزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأصدقها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عشرين بكرة -أي عشرين أوقية فضة-.

وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولم يتزوج عليها غيرها حتىٰ ماتت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.(٢)

وتزوجها في عمر خمس وعشرين ، وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في سن الأربعين علىٰ المشهور ؛ فهي علىٰ هذا أكبر منه بخمسة عشر عاما.

وقيل: كان عمرها إذ ذاك خمسا وثلاثين. وقيل: ثمانيا وعشرين سنة ، وقيل : غير ذلك ، والله أعلم.(٣)

وفي هذا دليل علىٰ أنه لا يلزم التكافؤ في السن ، فقد تتزوج المرأة من هو أصغر منها ولا حرج في ذلك ، وكذلك الرجل ؛ فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تزوج

---

(١) الطبري(٢/ ٢٨١)

(٢) السيرة لابن هشام(١/ ١٩٠) ، البداية والنهاية(٢/ ١٩٩)

(٣) البداية والنهاية(٥/ ٢٩٣)

عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وهي ابنة ست وبنىٰ عليها وهي ابنة تسع ، وكان قد تجاوز الأربعين صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

ولا بأس بمراعاة التكافؤ في السن ؛فقد روىٰ النسائي(٣٢٢١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فَاطِمَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ :(إِنَّهَا صَغِيرَةٌ فَخَطَبَهَا عَلِيٌّ فَزَوَّجَهَا مِنْهُ).

والحديث صححه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في صحيح النسائي(٣٢٢١).

قلت : والتكافؤ في السن في الغالب هو الأقرب للألفة والمحبة بين الزوجين، والله أعلم.

وكانت رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا نعم العون لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ففي صحيح البخاري(٢) ومسلم(١٦٠) عند بدء نزول الوحي علىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : (فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" ؛ فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي"،

فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ..)الحديث.

(طاهرةٍ فاضلةٍ بهيجة) : أي كانت خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا امرأة طاهرة ، فاضلة ، بهيجة حسنة الخَلْق والخُلُق تبهج القلب والعين ، فكانت في قمة نساء قريش نسبا وحسبا وفضلا ، وقد لقبت بالطاهرة ؛ لشرفها وكريم أخلاقها كما تقدم.

(في سن خمس بعد ذي العشرينا) : أي تزوجها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في سن الخامسة والعشرين كما تقدم.

(حباه ربي جملة البنينا) : أي حباه الله و وهبه منها البنين والبنات ؛ فقد أنجبت أولاده كلهم عدا إبراهيم فهو من مارية القبطية سرية رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ التي أهداها له المقوقس عظيم مصر.

فأنجبت خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ القاسم، وبه كان يُكنّىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وعبدالله ويلقب بالطيب والطاهر ؛ لأنه ولد بعد النبوة علىٰ الصحيح، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة.

فأما القاسم، وعبدالله ؛ فقد ماتا صغيرين ؛ فقيل ماتا في الجاهلية، والصحيح أن عبدالله ولد بعد النبوة ، والله أعلم.

وأما بناته كلهن فقد أدركن الإسلام، فأسلمن وهاجرن معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وتوفين جميعا في حياته عدا فاطمة توفيت بعده بستة أشهر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ جميعا.

وجميع أولاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ الصحيح سبعة : ثلاثة ذكور وهم : القاسم ، وعبدالله ، وإبراهيم.

وأربع إناث وهُنَّ : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة.

(قد لقبوه الصادق الأمينا) : أي أنهم كانوا يلقبون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالصادق الأمين ، لما اشتهر به من الصدق والأمانة ومكارم الأخلاق، ولما نادىٰ قريشًا فأجابوه فقال لهم : لو أخبرتكم بشيء أكنتم مصدقي، فقالوا: ما جربنا عليك كذبا.

فشهدوا له بالصدق ، والحديث في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وقد تقدم الكلام علىٰ هذا.

(جميل طبع تلقه مبينا) : أي حباه الله بجميل الطبع وعظيم الخصال ، مع حسن البيان والإيضاح في قوله وفعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

(بعد الثلاثين بخمس حاضرة) : أي عندما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في خمس وثلاثين من عمره.

(كادت قلوب أن تكون نافرة) : أي كادت قلوب قريش أن تتنافر وتختلف.

(أي حين كانوا في بناء الكعبة) : وذلك عند بناء قريش للكعبة ، بعد أن هدمها السيل.

(واختلفت قريش في ذي الحقبة) : أي أن قريش بعد أن بنوا الكعبة ، لما وصلوا إلىٰ حمل الحجر الأسود اختلفوا وتنافرت القلوب حتىٰ كادوا أن يقتتلوا مَن يحمله.

(كل يريد منهم رفع الحجر) : أي كل يريد أن ينال هو شرف رفع الحجر الأسود ، وكان هذا سبب التنافر والخلاف.

ولما اشتد خلافهم ؛ قال واحد منهم : نحكِّم أوَّل داخل فإذا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فلما رأوه قالوا: هذا الأمين ، فرضوا به ، فحكم بينهم

بحكمة بالغة ؛ إذ أمر بثوب ، فوضع الحجر في وسطه ، وأمر كل قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب ، ثم أخذ الحجر فوضعه موضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فقد جاء عند الطيالسي في مسنده(٢/ ٨٦) ، والحاكم في المستدرك(١/ ٤٥٨) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (لما انهدَم البيتُ بعد جُرهُمٍ بنَتْه قريشٌ فلما أرادوا وضعَ الحجَرِ تشاجَروا مَن يضعُه فاتفَقوا علىٰ أن يضعَه أولُ مَن يدخُلُ مِن هذا البابِ فدخَل رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن بابِ بني شيبةَ فأمَر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثوبٍ فأخَذ الحجَرَ فوضَعه في وسطِه وأمَر كلَّ فخِذٍ أن يأخُذوا بطائفةٍ منَ الثوبِ فيرفَعوه وأخَذه رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوضَعه). والحديث حسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السيرة(٤٤).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (لما بنت قريش الكعبة في سنة خمس و ثلاثين من عمره فوصلوا إلىٰ موضع الحجر الأسود اشتجروا فيمن يضع الحجر موضعه ، فقالت كل قبيلة : نحن نضعها ، ثم اتفقوا علىٰ أن يضعه أول داخل عليهم ، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا : جاء الأمين ، فرضوا به ، فأمر بثوب ،

فوضع الحجر في وسطه ، وأمر كل قبيلة أن ترفع بجانب من جوانب الثوب ، ثم أخذ الحجر فوضعه موضعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ)اهـ [١]

(فكان حكمه سبيلا للظفر) : أي كان حكم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سبيلا للفوز والفلاح حيث انقطع الخلاف الذي كان قد حصل بينهم ، ورضي الجميع بحكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(حباه ربي بسلام الحجر) : أي أن الله أنعم علىٰ نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بسلام الحجر عليه قبل البعثة كما في مسلم(٢٢٧٧) عن جابر بن سَمُرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إني لأعرفُ حجراً بمكةَ كان يسلِّمُ عليَّ قبل أن أبعثَ إنِّي لأعرفُهُ الآن).

وفي رواية عند الترمذي أنه كان يسلم عليه في أول البعثة ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : (إنَّ بمَكَّةَ حجَرًا كانَ يسلِّمُ عليَّ ليالِيَ بُعثتُ، إنِّي لأعرِفُهُ الآنَ)، والحديث صححه الألباني في صحيح الترمذي(٣٦٢٤).

---

(١) الفصول(٩٥)

فكان الحجر يلقي السلام علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وهذه من الآيات التي جعلها الله عَزَّوَجَلَّ تثبيتًا لنبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فيما تحمَّل من أعباء الرسالة.

(عليه إذ يمشي بلا تأخر) : أي يبادر الحجر بالسلام علىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ إذا مشىٰ بلا تأخر.

(مخالفا للحُمْس في العبادة) : أي جاء النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مخالفا للحُمْس الذي ابتدعته قريش في العبادة.

والحُمس: الأمكنة الصلبة، جمع أحمس، وهو لقب لقريش، ومن تابعهم في الجاهلية لتحمسهم في دينهم، أو لالتجائهم بالحمساء، وهي الكعبة، لأنّ حجرها أبيض إلىٰ السواد، والحماسة الشجاعة.

وكانوا قد ابتدعوا أمر الحُمس وهو أنهم أهل الحرمة وولاة البيت فليس لأحد من العرب مثل مالهم من الحق ، فتركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقرّون أنّها من المشاعر والحج ودين إبراهيم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها إلاّ أنّهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظّم غيرها.

كما ابتدعوا في ذلك أمورا أخرىٰ منها أنه لا ينبغي لأهل الحلّ أن يأكلوا طعامًا جاؤوا به معهم من الحل إلىٰ الحرم إذا جاؤوا حجاجا أو عمارا، ولا يطوفون بالبيت إذا قدموا أوّل طوافهم إلاّ في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا منها شيئًا طافوا بالبيت عراة.

فكانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحُمْس ، فلما بعث الله نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنزل عليه ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١-٣٢] .

وفيها تحريم التعري الذي كانوا يفعلونه .

و كان الحمس إذا حجوا لا يخرجون إلىٰ الحل بل يبقون في الحرم ، ويقولون نحن الحمس نحن أهل الحرم ؛ فأنزل الله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩]

جاء فِي صحيح مُسْلِم(٣٠٢٨) عَنْ ابْن عَبَّاس قَالَ : كَانَتْ الْمَرْأَة تَطُوف بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَة وَتَقُول : مَنْ يُعِيرنِي تِطْوَافًا ؟ تَجْعَلُهُ عَلَىٰ فَرْجِهَا. وَتَقُول : الْيَوْم يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ... وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ.

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَة: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

وفي مسلم(١٢١٩) عن هِشَامٌ بن عروة ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَتِ الْعَرَبُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرَاةً إِلَّا الْحُمْسَ، وَالْحُمْسُ قُرَيْشٌ وَمَا وَلَدَتْ كَانُوا يَطُوفُونَ عُرَاةً إِلَّا أَنْ تُعْطِيَهُمُ الْحُمْسُ ثِيَابًا، فَيُعْطِي الرِّجَالُ الرِّجَالَ، وَالنِّسَاءُ النِّسَاءَ، وَكَانَتِ الْحُمْسُ لَا يَخْرُجُونَ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ، وَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ يَبْلُغُونَ عَرَفَاتٍ، قَالَ هِشَامٌ : فَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتِ : الْحُمْسُ هُمُ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾، قَالَتْ : كَانَ النَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ عَرَفَاتٍ، وَكَانَ الْحُمْسُ يُفِيضُونَ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ يَقُولُونَ : لَا نُفِيضُ إِلَّا مِنَ الْحَرَمِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ رَجَعُوا إِلَىٰ عَرَفَاتٍ.

فكان من حفظ الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه كان يخالفهم في هذه الأمور كلها في الجاهلية، وعصمه الله منها ؛ فكان لا يشاركهم في أفعالهم هذه ، وكان يقف في عرفات قبل أن ينزل عليه توفيقا من الله له.

(طريق رشد وبها السيادة) : أي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خالف قريشا فيما هم عليه من الحمس والأفعال القبيحة ، وعصمه الله من هذه الأفعال ، وسلك طريق رشد وسداد ، وهذا الطريق هو الموصل إلىٰ السيادة ، والتمكين ، والفوز في الدنيا والآخرة.

الإرهاصات التي وقعت قبل نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٥٤- دَعَـــا الْخَلِيـــلُ رَبَّـــهُ تَعَـــالَىٰ ** بِـــــدَعْوَةٍ صَـــــادِقَةٍ فَقَـــــالَ

٥٥- يَـــارَبِّ وَابْعَـــثْ فِـــيهِمُ رَسُـــولَا ** مِـــنْ نَفْسِـــهِمْ يُبَلِّـــغُ التَّنْـــزِيلَا

٥٦- بُشْـرَىٰ بِـهِ قَـدْ جَـاءَ فِـي التَّـوْرَاةِ ** وَصْـفٌ دَقِيـقٌ وَاضِـحُ الْآيَـاتِ

٥٧- عِيسَـىٰ أَتَـىٰ مُصَـدِّقًا مُمَجِّـدَا ** مُبَشِّـــرًا لِقَوْمِـــهِ بِأَحْمَـــدَا

٥٨- رُؤْيَـــا لِأُمِّـــهِ مِـــنَ الْأَعْـــلَامِ ** نُـورٌ عَظِـيمٌ عَـمَّ أَرْضَ الشَّـامِ

الشَّرْحُ

(الإرهاصات التي وقعت قبل نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : الإرهاصات : تأتي بعدة معانٍ ، والمراد بها هنا الأمور الخارقة للعادة تظهر للنبي قبل بعثته.

وفي هذا الباب سيشرع الناظم حفظه الله في ذكر بعض الأمور الخارقة التي ظهرت لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قبل مبعثه.

(دعا الخليل ربه تعالىٰ) : أي دعا خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه تعالىٰ.

وسمي إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الله لشدة محبة الله له.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره(٢/ ٤٢٣) : (وإنما سمي خليل الله : لشدة محبة ربه عَزَّوَجَلَّ له ؛ لما قام له من الطاعة التي يحبها ويرضاها)اهـ

والخلّة مرتبة في أعلىٰ درجات المحبة ؛ فهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه ، حتىٰ لم يبق فيه موضع لغير المحبوب كما قيل :

قد تخللتِ مسلك الروح مني ** ولذا سمي الخليل خليلا [١]

وخلة الرحمن جَلَّجَلَالُهُ ، المراد بها شدة المحبة ، وهي مرتبة انفرد بها الخليلان: إبراهيم ، ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

ففي مسلم(٥٣٢) من حديث جُنْدَب بنِ عَبْدِ الله البَجَلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ : (إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مدارج السالكين(٣/ ٣٠) : (مرتبة الخلة التي انفرد بها الخليلان : إبراهيم ، ومحمد ، صلىٰ الله عليهما وسلم ، كما صح عنه أنه قال:

---

(١) مدارج السالكين(٣/ ٣٠)

(إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلاً) ، وقال : (لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الرحمن) ، والحديثان في الصحيح ، وهما يبطلان قول من قال : "الخلة لإبراهيم ، والمحبة لمحمد..)اهـ

وأعظم الصفات والأفعال التي لأجلها استحق نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يكون خليلا لله تعالىٰ ما يلي :

١ – تحقيقه للتوحيد ، وبراءته من الشرك والمشركين : قال الله تعالىٰ : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

وقال تعالىٰ آمرا نبيه محمدا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أن يتبع ملة إبراهيم : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣].

٢ – كان أمة جامعا لخصال الخير مقبلا علىٰ الله : قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۦٓ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل١٢٠-١٢٢].

٣- كان حليما أوّاها منيبا : قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥].

(حَلِيمٌ) ؛ ذو حلم وصفح وتجاوز .

و(أَوَّاهٌ) ؛ كثير الذكر والتضرع والافتقار إلىٰ ربه.

و(مُنِيبٌ) ؛ رجاع إلىٰ ربه مقبل عليه.

٤- قيامه بجميع ما أمره الله به : قال تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة : ١٢٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم : ٣٧].

٥- صبره وعزمه علىٰ ذبح ولده امتثالا لأمر الله: قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات:١٠٢-١٠٦].

وغير ذلك من الخصال والأفعال التي لأجلها اجتباه الله واصطفاه ، واختصه مع نبينا محمد عليهما الصلاة والسلام بالخلة.

(بدعوة صادقة فقالَ) : أي دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه بدعوة صادقة تواطأ فيها القلب واللسان.

(يارب وابعث فيهم رسولا) : أي دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام لهذه الأمة أن يبعث الله فيهم رسولا يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده.

(من نفسهم يبلغ التنزيلا): أي وأن يكون هذا الرسول منهم ، يبلغهم ما أنزل الله من الآيات والذكر الحكيم.

والناظم حفظه الله هنا أشار إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿...رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (وَهَذِهِ دَعْوَة إبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيل لِنَبِيِّنَا مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّة، وَهِيَ الدَّعْوَة الَّتِي كَانَ نَبِيّنَا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: "أَنَا دَعْوَة أَبِي إبْرَاهِيم وَبُشْرَىٰ عِيسَىٰ") اهـ

قلت: حديث:(أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرىٰ عيسىٰ) أخرجه ابن حبان(٦٤٠٤) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال: (إنِّي عندَ اللهِ مَكتوبٌ بخاتَمِ النَّبيِّينَ وإنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ

في طينتِه وسأُخبِرُكم بأوَّلِ ذلك: دعوةُ أبي إبراهيمَ وبِشارةُ عيسىٰ..) الحديث، وهو حديث صحيح لغيره.

وقد استجاب الله دعاء خليله إبراهيم وابنه نبي الله إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، وكان محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو تأويل تلك الاستجابة.

(بشرىٰ به قد جاء في التوراة) : أي قد جاءت البشارة بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في التوراة قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

قال الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية :(وهذه صفة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتب الأنبياء بشروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ، ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم)اهـ

روىٰ البخاري في صحيحه(٢١٢٥) عن عطاء بن يسار، قال: (لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله في التوراة، قال: أجل، والله إنّه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ

شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥]، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكل، ليس بفظّ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق - السخب: الصياح - ، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولا يقبضه الله حتىٰ يقيم به الملّة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح أعينا عميـًا، وآذانـًا صمّـًا، وقلوبـًا غلفـًا).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البداية والنهاية: (وقد وجدت البشارات به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في الكتب المتقدمة وهي أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر)اهـ

(وصف دقيق واضح الآيات) : أي جاء وصف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في التوراة والكتب المتقدمة وصفا دقيقا واضح العلامات والدلائل وبشر به الأنبياء وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك ولكن أكثرهم يكتمون ذلك ويخفونه.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وغيرها من الآيات.

(عيسىٰ أتىٰ مصدِّقا ممجدا) : أي أن نبي الله عيسىٰ عليه الصلاة والسلام وهو آخر أنبياء بني إسرائيل قد جاء مصدقا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ممجدا له عالما بفضله.

(مبشرا لقومه بأحمدا) : وكذا مبشرا لقومه من بني إسرائيل بنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦].

وأحمد اسم من أسماء نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، روىٰ البخاري(٤٨٩٦)، ومسلم(٢٣٥٤) عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (إنَّ لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس علىٰ قدمي، وأنا العاقب).

وقد تقدم ذكر جملة من أسماء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية والنهاية : (والمقصود أن البشارات به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ موجودة في الكتب الموروثة عن الأنبياء قبله حتىٰ تناهت

النبوة إلىٰ آخر أنبياء بني إسرائيل – هو عيسىٰ بن مريم – وقد قام بهذه البشارة في بني إسرائيل وقص الله خبره في ذلك ؛ وذكر الآية)اهـ

(رؤيا لأمه من الأعلام) : أي وكذلك من العلامات والمبشرات لقدوم النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ رؤيا أمه آمنة بنت وهب.

(نور عظيم عمّ أرض الشامِ) : أي رأت عند مولده أنه خرج منها نور عظيم أضاءت لها منه قصور الشام ، ويدل علىٰ ذلك الحديث المتقدم عند ابن حبان من حديث العرباض بن سارية وفيه :(..ورؤيا أُمِّي الَّتي رأَتْ حينَ وضَعَتْني أنَّه خرَج منها نورٌ أضاءَتْ لها منه قصورُ الشَّامِ).

وجاء عند الطبراني : (ورأت أمي في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام) ، حسنه الألباني في صحيح الجامع(٢٢٤).

٥٩- رَمْـيُ شِـهَابٍ ثَابِـتٌ بِالنَّقْـلِ ** يُحْرِقُ ذَا الشَّيْطَانَ أَصْلَ الدَّجْلِ
٦٠- قَـدْ عَظُـمَ الْجَهْـلُ وَعَـمَّ الشَّـرُّ ** شِـرْكٌ وَقَتْـلٌ قَـدْ فَشَـا وَالضُّـرُّ
٦١- قَبْـلَ نُـزُولِ الْـوَحْيِ رُؤْيَـا تُـذْكَرُ ** كَفَلَـقِ الصُّـبْحِ فَلَيْسَـتْ تُنْكَـرُ

الشَّرْحُ

(رمي شهاب ثابت بالنقل) : أي أن من دلائل النبوة الثابتة بالنقل المتواتر والدليل الصحيح رمي الشياطين بالشهب عند مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، حيث كثر رميهم بالشهب عند استراقهم السمع ، وذلك أن الجن كانوا قبل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يسترقون أخبار السماء، وما يوحيه الله لملائكته، فلما بُعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ملئت السماء حرسا شديدا وشهبا.

قال تعالىٰ : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ٨-١٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ الْجِنِّ حِينَ بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَكَانَ مِنْ حِفْظِهِ لَهُ أَنَّ السَّمَاءَ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَحُفِظَتْ مِنْ سَائِرِ أَرْجَائِهَا، وَطُرِدَتِ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَقَاعِدِهَا الَّتِي كَانَتْ

تَقْعُدُ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ لِئَلَّا يَسْتَرِقُوا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَيُلْقُوهُ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ الْكَهَنَةِ فَيَلْتَبِسُ الْأَمْرُ وَيَخْتَلِطُ وَلَا يُدْرَىٰ مَنِ الصَّادِقُ، وَهَذَا مِنْ لطف الله تعالىٰ بِخَلْقِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَحِفْظِهِ لِكِتَابِهِ الْعَزِيزِ، وَلِهَذَا قَالَ الْجِن ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ ؛ أَي مَنْ يَرُوم أَنْ يسترق السمع يَجِدْ لَهُ شِهَابًا مُرْصِدًا لَهُ لَا يَتَخَطَّاهُ ولا يتعداه بل يمحقه اليوم وَيُهْلِكُهُ.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾؛ أَي مَا نَدْرِي هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي قَدْ حَدَثَ فِي السَّمَاءِ، لَا تَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا، وَهَذَا مِنْ أَدَبِهِمْ فِي الْعِبَارَةِ حَيْثُ أَسْنَدُوا الشَّرَّ إِلَىٰ غَيْرِ فَاعِلٍ وَالْخَيْرَ أَضَافُوهُ إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ) اهـ[1]

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (كان الجن يقعدون مقاعد لاستماع أخبار السماء، وهم المردة من الجن، كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتىٰ يلقوها إلىٰ الكهنة، فحرسها الله بالشهب المحرقة، فقالت الجن حينئذ: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾..)اهـ[2]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٩)

(٢) تفسير القرطبي(١٢/ ١٩)

وفي البخاري(٧٧٣) ومسلم(٤٤٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : (انْطَلَقَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طَائِفَةٍ مِن أصْحَابِهِ عَامِدِينَ إلىٰ سُوقِ عُكَاظٍ، وقدْ حِيلَ بيْنَ الشَّيَاطِينِ وبيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وأُرْسِلَتْ عليهمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إلىٰ قَوْمِهِمْ، فَقالوا: ما لَكُمْ؟ فَقالوا: حِيلَ بيْنَنَا وبيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قالوا: ما حَالَ بيْنَكُمْ وبيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إلَّا شيءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأرْضِ ومَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا ما هذا الذي حَالَ بيْنَكُمْ وبيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إلىٰ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بنَخْلَةَ عَامِدِينَ إلىٰ سُوقِ عُكَاظٍ، وهو يُصَلِّي بأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ اسْتَمَعُوا له، فَقالوا: هذا واللهِ الذي حَالَ بيْنَكُمْ وبيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إلىٰ قَوْمِهِمْ، وقالوا: يا قَوْمَنَا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢]، فأنْزَلَ اللهُ علَىٰ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١] وإنَّما أُوحِيَ إلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ).

فكانوا يسترقون السمع قبل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فلما بعث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حيل بينهم وبين خبر السماء واشتد رمي الشهب عليهم، وهذا من أعلام النبوة ودلائلها.

وقد اختلف أهل العلم في استراق الجن للسمع بعد مبعث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ قولين :

الأول : أن استراق الجن للسمع قد زال بمبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولذلك زالت الكهانة.

الثاني : أنه باق بعد مبعثه عليه الصلاة والسلام.(١)

والقول الثاني هو الراجح ، ويدل علىٰ ذلك حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند البخاري(٦٢١٣) ومسلم(٢٢٢٨) : سَأَلَ أُنَاسٌ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الكُهَّانِ؟ فَقالَ لهمْ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسُوا بشيءٍ) قالوا: يا رَسولَ اللهِ، فإنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكونُ حَقًّا، قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تِلكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحق يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا في أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِن مِئَةِ كَذْبَةٍ).

---

(١) أعلام النبوة للماوردي(١٤٥)

فهذا يدلّ علىٰ أن الشياطين قد يستمعون ويَسترِقُون السَّمع الآن ، خاصة بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانقطاع الوحي ؛ لعدم خشية التباس الوحي بغيره ، والله أعلم.

كما اختلفوا هل كان الجن يرمون بالشهب قبل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أم لا؟

فذهب جماعة إلىٰ أنه لم تكن ترمىٰ الجن قبل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، وقد نسب النسفي في تفسيره هذا القول للجمهور.(١)

وذهب آخرون إلىٰ أن الرجم كان قبل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولكنه اشتد بعد بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقيل : إنما زاد الرمي إنذاراً بمبعث الرسول عليه الصلاة والسلام.(٢)

قال بدر الدين الشبلي: (قال السهيلي: ولكن القذف في النجوم كان قديما، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية.. وذكر عبد الرزاق عن ابن شهاب

---

(١) تفسير النسفي(٥/ ٢٧٢)

(٢) تفسير القرطبي(١٣/ ١٩)

أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم أكان في الجاهلية؟ قال: نعم ولكنه لما جاء الإسلام غلظ وشدد) اهـ

والراجح أن الرمي كان قبل مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولكنه لم يكن في الشدة مثلما كان بعد مبعثه ، ويدل علىٰ هذا حديث عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند مسلم(٢٢٢٩) قال: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِن أَصْحَابِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الأنْصَارِ، أنَّهُمْ بيْنَما هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُمِيَ بنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ، فَقالَ لهمْ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولونَ في الجَاهِلِيَّةِ، إذَا رُمِيَ بمِثْلِ هذا؟) قالوا: اللهُ وَرَسولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فإنَّهَا لا يُرْمَىٰ بهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اسْمُهُ، إذَا قَضَىٰ أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ العَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حتَّىٰ يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هذِه السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قالَ: الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ العَرْشِ لِحَمَلَةِ العَرْشِ: مَاذَا قالَ رَبُّكُمْ؟ فيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قالَ: قالَ فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَوَاتِ بَعْضًا، حتَّىٰ يَبْلُغَ الخَبَرُ هذِه السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إلىٰ أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمَوْنَ به، فَما جَاؤُوا به علَىٰ وَجْهِهِ فَهو حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فيه وَيَزِيدُونَ).

وهذا الذي رجحه جماعة من أهل العلم منهم الحافظ ابن كثير والقرطبي وغيرهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: (..وَقَدْ كَانَتِ الْكَوَاكِبُ يُرْمَىٰ بِهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِكَثِيرٍ بَلْ فِي الْأَحْيَانِ بَعْدَ الْأَحْيَانِ...وَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَمَّا حَدَثَ هَذَا الْأَمْرُ ، وَهُوَ كَثْرَةُ الشُّهُبِ فِي السَّمَاءِ وَالرَّمْيُ بِهَا، هَالَ ذَلِكَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَانْزَعَجُوا لَهُ وَارْتَاعُوا لِذَلِكَ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ لِخَرَابِ الْعَالَمِ) اهـ [١]

وقال القرطبي : والقول بالرمي أصح لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨]. وهذا إخبار عن الجن أنه زيد في حرس السماء حتىٰ امتلأت منا ومنهم.

ولما روي عن ابن عباس – وذكر الحديث –.

وهذا يدل علىٰ أن الرجم قبل المبعث، واشتدت الحراسة بعد المبعث، فمنعوا من ذلك أصلاً) اهـ [٢]

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٩)

(٢) تفسير القرطبي (١٣/ ١٩)

وقال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (الرمي بالشهب قد كان من قبل ، ولكنه لما كان في زمان الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كثُر وقَوي .

قال مَعْمَر : قلت للزُّهري : أكان الرمي بالشهب قبل الرسول في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنه لما كان زمان الرسول كثر واشتد) اهـ[١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وقد تواترت الأخبار بأنه حين الْمَبْعَث كثُر الرَّمي بالشُّهب ، وهذا أمْر خارِق للعادة ، حتىٰ خاف بعض الناس أن يكون ذلك لِخَرَاب العَالَم ، حتىٰ نظروا هل الرمي بالكواكب التي في الفَلَك أم الرمي بالشهب ؟ فلما رأوا أنه بالشُّهب علِمُوا أنه لأمر حدث. وأرسلت الجن تطلب سبب ذلك ، حتىٰ سمعت القرآن ، فَعَلِمُوا أنه كان لأجل ذلك . وهذا من أعلام النبوة ودلائلها) اهـ[٢]

(يحرق ذا الشيطان أصل الدجل) : أي أن الشهاب الساقط من السماء يُرمىٰ به الشيطان الذي يسترق السمع وما يوحيه الله لملائكته ؛ فيحرقه ؛ قال

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٣٨٩)

(٢) كتاب النبوات (١٦٦)

تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٨] ، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

وقوله (أصل الدجل) : أي أن هذا الشيطان مسترق السمع ؛ هو أصل الدجل والكذب ؛ حيث أنه يخطف الكلمة من الحق فيقرها في أذن الكاهن ؛ فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة.

(قد عظم الجهل وعمّ الشر) : أي أنه قبل بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عظم الجهل وعمّ الشر بين الناس ، وعاشوا في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء.

(شرك وقتل قد فشا والضر) : ومن هذا الشر وأعظمه الشرك بالله وعبادة غيره من الأصنام ، والأوثان ، والأشجار، والأحجار، والنجوم والكواكب ، والملائكة، والأنبياء، والصالحين ؛ فكانت دياناتهم متفرقة، وعقائدهم باطلة، وقلوبهم ممزقة ، كما انتشر القتل والظلم وكل ما فيه ضرر وهلاك ؛ فأكلوا الميتات والربا ، وشربوا الخمور ، واستحلوا الفروج بالزنا والسفاح ، وانتشر القتل ، والسلب والنهب ، والغارات والثارات ، وغير ذلك من الشرور التي كانت قبل بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

(قبل نزول الوحي رؤيا تذكر) : أي قبل نزول جبريل عليه الصلاة والسلام بالوحي علىٰ نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كانت الرؤيا الصادقة ، حيث أن أول ما بُدئ به الوحي علىٰ نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قبل نزول جبريل ؛ الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل(فلق الصبح).

ففي البخاري(٦٩٨٢) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : (أَوَّلُ ما بُدِئَ به رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ في النَّوْمِ؛ فَكانَ لا يَرَىٰ رُؤْيَا إلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ..)الحديث.

(كفلق الصبح) : أي صحيحة صادقة ، واضحة بينة ، مثل انفلاق الصبح وإنارته ووضوحه.

(فليست تنكر) : أي لا تُنكر ؛ لوضوحها وصدقها.

٦٢- وَكَانَ يَخْلُو فِي لَيَالٍ ذِي عَدَدْ ** تَعَبُّدًا لِرَبِّهِ الْحَيِّ الصَّمَدْ

٦٣- فِي غَارِهَا الْمَوْسُومِ بِالْحِرَاءِ ** يَدْعُو عَظِيمَ الْفَضْلِ ذَا الْآلَاءِ

٦٤- يَسْمَعُ صَوْتًا وَيَرَىٰ الْأَنْوَارَا ** إِعْدَادُهُ كَيْ يَحْفَظَ الْأَسْرَارَا

٦٥- فَالْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَا أَوْلَىٰ ** فَهُوَ الرَّحِيمُ وَالْعَلِيُّ الْأَعْلَىٰ

الشَّرْحُ

(وكان يخلو في ليال ذي عدد) : أي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة يخلو بنفسه في غار حراء الليالي ذوات العدد ، حيث حبب إليه الخلاء ، فكان يتحنث في غار حراء.

ففي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : (.. ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ، (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ أُولاَتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا..) الحديث.

وقولها (ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ) : قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : (أما الخلاء فممدود وهو الخلوة وهي شأن الصالحين وعباد الله العارفين.

قال أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : حببت العزلة إليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لأن معها فراغ القلب، وهي معينة علىٰ التفكر، وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويتشجع قلبه، والله أعلم)اهـ[١]

قولها (يَتَحَنَّثُ فِيهِ، (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) اللَّيَالِيَ أُولاَتِ الْعَدَدِ): التحنث التعبد كما فسره الزُّهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا.

و(**أُولاَتِ**): صفة لليالي. و(أولاتِ العَدَد): أي الليالي الكثيرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ولما أراد الله تعالىٰ رحمة الله العباد ، وكرامته بإرساله إلىٰ العالمين ، حبب إليه الخلاء ، فكان يتحنث في غار حراء..)اهـ[٢]

(تعبدا لربه الحي الصمد) : أي كان يخلو بنفسه في غار حراء تعبدا لله تعالىٰ.

واخُتلف في كيفية تعبده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ .

فقيل: كان يتعبد بشريعة الأنبياء قبله.

---

(١) شرح مسلم(٢/ ٣٧٤)

(٢) الفصول(٩٤)

وقيل: كان يتعبد بشريعة إبراهيم. وقوىٰ هذا الحافظ ابن حجر في الفتح(٨/ ٧١٧)

وقيل: كان يتفكر ويتدبر ولم يكن يتعبد بشريعة نبي قبله ؛ لأنه لو كان ذلك لنقل.

وقيل: غير ذلك.

والأقرب أنه لا يُعلم كيف كان يتعبد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في غار حراء، وهذا الذي رجحه العلامة محمد بن آدم الاثيوبي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه علىٰ البخاري ، والله أعلم.

وقوله (لربه): الرب هو السيد الذي لا نظير له ولا مثيل ، الذي ربىٰ جميع العالمين بنعمه.

قل ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فربنا جل ثناؤه: السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر) اهـ [١]

ولا تستعمل كلمة (الرب) في حق المخلوق إلا مضافة فيقال: رب الدار ورب المال. [٢]

وقوله (الحي) : الذي له الحياة الدائمة الأبدية ، قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

وقوله (الصمد) : اختلف في معنىٰ اسم الله الصمد ، والأقرب أنه السيد الذي تصمد إليه الخلائق في قضاء حوائجها.

قال الخطابي: (الصمد: هو السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويقصد في الحوائج والنوازل، وأصل الصمد: القصد، ويقال للرجل: اصمد صمد فلان، أي: اقصد قصده، وجاء في التفسير: أن الصمد: الذي قد انتهىٰ سؤدده.

---

(١) تفسير الطبري(١/ ١٤٢)

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٩)

وقيل الصمد: الدائم.

وقيل: الباقي بعد فناء الخلق.

وأصح هذه الوجوه، ما شهد له معنىٰ الاشتقاق، والله أعلم) اهـ [١]

(في غاره الموسوم بالحراء) : أي كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يخلو بنفسه في غار يسمىٰ (حراء) ويدل علىٰ هذا قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الحديث المتقدم : (فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ).

و غار حراء : هو غار في الجبل المعروف علىٰ يمين الداخل إلىٰ مكة من الناحية الشرقية.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما الغار فهو الكهف والنقب في الجبل... وحراء جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال عن يسار الذاهب من مكة إلىٰ منىٰ) اهـ [٢]

---

(١) شأن الدعاء(٥٨)

(٢) شرح مسلم(٢/ ٣٧٤-٣٧٥)

فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يذهب بعيداً وفي مكان يصعب الوصول إليه ليكون أبعد عن الناس حتىٰ يحصل له التفرغ والخلوة المحببة إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفي هذا تمهيد له لتحمل الدعوة نفسيا وجسديا.

قال العلامة محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (فاختار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكاناً هو أبعد ما يكون عن الناس، وأصعب ما يكون في الصعود إليه وهو غار حراء، وهو غار في الجبل المعروف علىٰ يمين الداخل إلىٰ مكة من الناحية الشرقية، وهو بعيد في قمة الجبل، ومسلكه صعب، ولكن الله يؤيد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليمهده للوحي بالقوة البدنية والشجاعة القلبية، وإلا فمن ينام في رؤوس هذه الجبال وهذه في الليالي المقمرة والمظلمة لولا أن الله أيده بما أيده به) اهـ[1]

(يدعو عظيم الفضل ذا الآلاء) : أي يدعو الله ذا الفضل العظيم ، والنعم العظيمة المتتالية.

(يسمع صوتا ويرىٰ الأنوارا) : وهذا من رحمة الله بنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه مهد للوحي الذي سينزله علىٰ نبيه لئلا يفجأه الملك ، ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا

---

(١) شرح البخاري(١/ ٢٦)

تحتمله القوة البشرية ؛ ولذلك مهد للوحي بالرؤيا ، فبدئ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بأول خصال النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا ، و كذا سماع الأصوات ؛ فسمع حجرًا يسلم عليه بمكة كما تقدم ، ورؤية الأنوار ؛ فكانت هذه مقدمات قبل أن يأتيه الملك في غار حراء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا شأنه سبحانه أن يقدم بين يدي الأمور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل إليها) اهـ [١]

وجاء في هذا أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِخَدِيجَةَ: (إِنِّي أَرَىٰ ضَوْءًا، وَأَسْمَعُ صَوْتًا، وَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَكُونَ بِي جُنُونٌ).

والحديث في مسند أحمد(٢٨٤٥): حَدَّثَنَا أَبُو كَامِلٍ ، وَحَسَنُ بْنُ مُوسَىٰ ، قَالَا : حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَمَّارُ بْنُ أَبِي عَمَّارٍ - قَالَ حَسَنٌ : عَنْ عَمَّارٍ، قَالَ حَمَّادٌ : وَأَظُنُّهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَمْ يَشُكَّ فِيهِ حَسَنٌ - قَالَ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَحَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّاد، عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ، مُرْسَلٌ، لَيْسَ فِيهِ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِخَدِيجَةَ... فَذَكَرَ عَفَّانُ الْحَدِيثَ.

---

(١) زاد المعاد(٣/ ٣٦٩)

وَقَالَ أَبُو كَامِلٍ، وَحَسَنٌ فِي حَدِيثِهِمَا: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِخَدِيجَةَ: "إِنِّي أَرَىٰ ضَوْءًا، وَأَسْمَعُ صَوْتًا، وَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَكُونَ بِي جُنُونٌ" . قَالَتْ : لَمْ يَكُنِ الله لِيَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ يَا ابْنَ عَبْدِ الله. ثُمَّ أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ : إِنْ يَكُ صَادِقًا، فَإِنَّ هَذَا نَامُوسٌ مِثْلُ نَامُوسِ مُوسَىٰ، فَإِنْ بُعِثَ وَأَنَا حَيٌّ، فَسَأُعَزِّزُهُ، وَأَنْصُرُهُ، وَأُومِنُ بِهِ).

ومداره علىٰ حماد بن سلمة، وقد اختلف عليه وصلا وإرسالا.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد(٨/ ٢٥٥): (رواه أحمد متصلا ومرسلا).

ورجال أحمد رجال الصحيح ، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريج المسند برقم(٢٨٤٦).

قلت: والأقرب رواية الإرسال ؛ لأنها من رواية عفَّان بن مسلم الصَّفَّار وهو أثبت الناس عن حماد بن سلمة.

كما أن أغلب روايات الوصل جاءت مع الشك ، مما يدل علىٰ عدم حفظ حماد للرواية المرفوعة ، والله أعلم بالصواب.

(إعداده كي يحفظ الأسرارا) : فأعده الله بما سبق من خصال النبوة وتباشيرها ليسهل عليه حفظ الوحي وما فيه من الأسرار والأمور العظيمة ، فلا يفجأه الملك ويأتيه الوحي بما لا يطيق كما تقدم.

(فالحمدلله علىٰ ما أولىٰ) : أي فالحمد لله علىٰ ما أولىٰ من النعم العظيمة والعطايا الجزيلة ، ومن أعظم النعم أن الله أرسل نبينا محمدا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ رحمة للعالمين ، وكان الناس في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ؛ فعم الشر والبلاء ، حتىٰ مقتهم الله لعظم ما هم عليه من الشرك والفجور، ففي مسلم(٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي وفيه أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال : (وإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلىٰ أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِن أَهْلِ الكِتَابِ..) الحديث.

والمقت: أشدُّ البُغْض، والمراد أن الله أبغضهم لماهم عليه من الشرك و الشرور والفجور ، وانتشار الفواحش والقتل والقتال ونحو ذلك.

والمراد ببقايا أهل الكتاب ؛ الباقون علىٰ التمسُّك بدينهم الحق من غير تبديل.

وبينما هم علىٰ حالهم هذا أنعم الله علىٰ الأمة بنعمة عظيمة وهي بعثة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فأرسله رحمة للعالمين، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

(فهو الرحيم والعلي الأعلىٰ) : الرحيم بعباده ، والعلي الأعلىٰ ؛ الذي له العلو المطلق في ذاته وصفاته وقدره وقهره ، والعالي علىٰ كل شيء.

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ("العلي الأعلىٰ": وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه: علو الذات، وعلو القدر والصفات، وعلو القهر، فهو الذي علىٰ العرش استوىٰ، وعلىٰ الملك احتوىٰ، وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتصف، وإليه فيها المنتهىٰ)اهـ[١]

(١) تيسير الكريم الرحمن(٣٠٠)

بدء الوحي وما لحقه من أحداث إلى قبل الهجرة

٦٦- أَكْرَمَـهُ رَبِّـي عَلَـىٰ كُـلِّ الْـوَرَىٰ ** بِبَعْثِـهِ بِـالنُّورِ فِـي أُمِّ الْقُـرَىٰ

٦٧- إِذْ خَـتَمَ اللهُ بِـهِ الرِّسَـالَهْ ** فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ ذِي الْمَقَالَهْ

٦٨- أَرْسَـلَهُ إِلَـىٰ جَمِيـعِ النَّـاسِ ** قَـوْلٌ أَكِيـدٌ ثَابِـتُ الْأَسَـاسِ

٦٩- وَذَاكَ مَعْـدُودٌ مِـنَ الشَّـمَائِلِ ** ذَكَـرَهُ الرَّسُـولُ فِـي الْفَضَـائِلِ

٧٠- فِـي الْأَرْبَعِـينَ نَـزَلَ الْقُـرْآنُ ** وَحْـيُ الْإِلَـهِ إِنَّـهُ الْمَنَّـانُ

الشَّرْحُ

(بدء الوحي وما لحقه من أحداث إلىٰ قبل الهجرة) : أي هذا باب في بدء نزول جبريل عليه الصلاة والسلام بالوحي علىٰ نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وما لحق ذلك من الأحداث التي حدثت بمكة قبل هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه إلىٰ المدينة.

(أكرمه ربي علىٰ كل الورىٰ) : أي أكرم الله نبيه محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ كل الخلق.

(ببعثه بالنور في أم القرىٰ) : أي ببعثه برسالة التوحيد وعبادة الله وحده لاشريك له ، وأنزل عليه القرآن ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور ، قال تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١].

فأخرج الناس من ظلمات الكفر والضلالة والجهل إلىٰ نور الإيمان والتوحيد والعلم.

وكانت هذه دعوة جميع الرسل حيث بعث الله في كل أمة رسولا كلهم يدعو إلىٰ عبادة الله وحده ، وينهىٰ عن عبادة ما سواه : ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فلم يزل تعالىٰ يرسل إلىٰ الناس الرسل بذلك ، منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح عليه الصلاة والسلام ، وكان أول رسول بعثه الله إلىٰ أهل الأرض إلىٰ أن ختمهم بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب ، وكلهم كما قال الله تعالىٰ : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقوله (أم القرىٰ) يعني مكة ، قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا..﴾ الآية [الشورىٰ:٧].

وفي سبب تسميتها أم القرىٰ أربعة أقوال :

الأول: أن الأرض دحيت من تحتها. قال ابن قتيبة: لأنها أقدم الأرض.

الثاني: لأنها قبلة يؤمها جميع الأمة.

الثالث: لأنها أعظم القرىٰ شأنـًا.

الرابع: لأن فيها بيت الله.

(إذ ختم الله به الرسالة) : فكان محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ خاتم الأنبياء والمرسلين ، فلا نبي بعده.

(في سورة الأحزاب ذي المقالة) : أي كما في سورة الأحزاب في قوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

قال الحافظ ابن كثير: (فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولىٰ والأحرىٰ، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس)اهـ[١]

---

(١) تفسير القرآن العظيم(٣/ ٤٩٣)

وروىٰ البخاري(٣٥٣٥) ، ومسلم(٢٢٨٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنىٰ بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين).

وهذا الأمر مجمع عليه قال ابن عطية عند تفسير الآية السابقة من سورة الأحزاب : (هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفًا وسلفًا متعلقة علىٰ العموم التام، مقتضية نصًا: أن لا نبي بعده، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)اهـ

قال الحافظ ابن كثير: (أخبر الله تعالىٰ في كتابه ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة المتواترة عنه أن لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعىٰ هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل)اهـ[1]

(أرسله إلىٰ جميع الناس) : أي أن الله اختص محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وفضله علىٰ سائر الأنبياء ؛ فأرسله إلىٰ الناس جميعا ، وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة أما نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فأرسله الله للناس كافة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم(٣/ ٤٩٣)

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨]

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]

وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وروىٰ البخاري(٣٣٥) ، ومسلم(٥٢١) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلُ، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة، وبعثت إلىٰ الناس عامة».

ولفظ مسلم: «وبعثت إلىٰ كل أحمر وأسود».

(قول أكيد ثابت الأساس) : أي أن مبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الناس كافة قول أكيد لا يعتريه شك ، ثابت الأساس لما تقدم من الأدلة.

(وذاك معدود من الشمائل) : أي وكون نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أرسل إلىٰ الناس كافة يعد من شمائله وخصائصه التي اختصه الله بها وفضله علىٰ سائر الأنبياء والرسل.

والشمائل : بمعنىٰ الخصال ، ومفرده شَميلة.

(ذكره الرسول في الفضائل) : كما في حديث جابر المتقدم وفيه:(وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة ، وبعثت إلىٰ الناس عامة).

(في الأربعين نزل القرآن) : أي أنزل الله القرآن علىٰ نبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ وهو في الأربعين من عمره.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ :(قال المفسرون : لم يبعث الله نبيا قط إلا بعد أربعين سنة)اهـ

وبلوغ الأربعين هو سن الأشد عند جماعة من أهل العلم.

وقيل: بلوغ الغلام سن التكليف.

وقيل : بلوغه وإيناس رشده.

وقيل: خمس وعشرين.

وقيل: ثلاثين، وقيل: ثلاثاً وثلاثين.

وقيل : انتهاء الكهولة وبلوغ خمسين سنة ، ومنه قول سحيم الرياحي:

أخو خمسين مجتمع أشدِّي

ونجَّدني مداورة الشؤون

وقيل : غير ذلك. (١)

والأقرب أن سن الأشد قد يكون قبل الأربعين.

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (والأولىٰ في تحقيق الأشد : أنه البلوغ إلىٰ سن التكليف مع إيناس الرشد ، وهو أن يكون في تصرفاته بماله سالكا مسلك العقلاء ، لا مسلك أهل السفه والتبذير ، ويدل علىٰ هذا قوله تعالىٰ في سورة النساء: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦] فجعل بلوغ النكاح وهو بلوغ سن التكليف مقيدا بإيناس الرشد)اهـ (٢)

وكان مبعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في يوم الاثنين ، كما في صحيح مسلم(١١٦٢) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) غريب القرآن لابن قتيبة(١٨٥)، تفسير ابن جرير(٣/ ٣٣٦) ، فتح القدير للشوكاني(٥/ ١٨)

(٢) فتح القدير(٢/ ١٧٧)

سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الِإثْنَيْنِ ، قَالَ : (ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ) .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ولا خلاف أن مبعثه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان يوم الاثنين)اهـ[1]

(وحي الإله إنه المنان) : أي القرآن المنزل علىٰ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هو وحي الإله المنان ؛الممتن علىٰ عباده المتفضل عليهم بعطاياه وإحسانه وإنعامه، ومن أعظم الإحسان والإنعام أن أرسل إليهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويخرجهم من الظلمات إلىٰ النور.

قال تعالىٰ : ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد:٩].

---

(١) زاد المعاد(١/ ٧٦)

والمنان اسم من أسماء الله الثابتة في السنة ؛ فقد جاء عند أبي داود(١٤٩٥)، والترمذي(٣٥٤٤)، وغيرهما عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالِسًا في الحلْقةِ، ورجُلٌ قائمٌ يُصَلِّي، فلمَّا ركَعَ وسجَدَ فتشَهَّدَ، ثمَّ قال في دُعائِه: اللَّهمَّ إنِّي أسألُك بأنَّ لك الحمدَ، لا إلهَ إلَّا أنت المَنَّانُ..)الحديث. (١)

(١) صححه الألباني في صحيح أبي داود(١٤٩٥)

٧١- إِذْ جَـــاءَهُ جِبْرِيـــلُ بِالْفُرْقَـــانِ ** كَـــلَامِ رَبِّنَـــا عَظِـــيمِ الشَّـــانِ

٧٢- اقْـــرَأْ فَقَـــالَ مَـــا أَنَـــا بِقَـــارِي ** كَمَـــا رَوَىٰ مُسْـــلِمُ وَالْبُخَـــارِي

٧٣- فَغَطَّـــهُ حَتَّـــىٰ عَـــلَاهُ الْجَهْـــدُ ** ثُـــمَّ تَلَاهَـــا تَـــمَّ ذَاكَ الْعَهْـــدُ

٧٤- فَعَـادَ نَحْـوَ الْبَيْـتِ يَمْشِـي خَائِفَـا ** مُرْتَعِـــدًا مِمَّـــا رَآهُ آنِفَـــا

٧٥- يَقُـــولُ بِـــالْجَهِيرِ زَمِّلُـــونِي ** فَقَـدْ عَرَانِـي الرَّهْـبُ دَثِّرُونِـي

٧٦- قَـــالَتْ لَـــهُ خَـدِيجَـــةُ لَمـــَّا بَـدَا ** وَاللهِ لَا يُخْزِيـــكَ رَبِّـــي أَبَـــدَا

٧٧- إِذْ تَحْمِـلُ الْكَـلَّ وَتَقْـرِي الضَّـيْفَا ** وَتَكْسِـبُ الْمَعْـدُومَ وَالضَّـعِيفَا

الشَّرْحُ

(إذ جاءه جبريل بالفرقان) : أي نزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالفرقان علىٰ نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

والفرقان اسم من أسماء القرآن قال تعالىٰ : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

وسماه الله فرقانا ؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل ، والهدىٰ والضلال ، والغي والرشاد ، والحلال والحرام. (١)

(كلام ربنا عظيم الشان) : أي الفرقان كلام الله عظيم الشأن والقدر والمنزلة.

---

(١) تفسير ابن كثير(٦/ ٨٤)

وقوله (كلام ربنا) : هذا الذي انعقد عليه إجماع أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه بدأ وإليه يعود ، قال الله تعالىٰ : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

ففرَّق بين الخلق والأمر.

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ ؛ فالخلق خلق الله تبارك وتعالىٰ ، والأمر القرآن). (١)

وقد احتج الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الجهمية بهذه الآية فقال:(قلت : قال الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ ؛ ففرق بين الخلق والأمر). (٢)

وقال تعالىٰ : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن١-٣].

ففرَّق تعالىٰ بين علمه وخلقه ؛ فالقرآن علمه ، والإنسان خلقه ، وعلمه تعالىٰ غير مخلوق.

---

(١) رواه الآجري في الشريعة(ص٨٠) بسند جيد عنه

(٢) المحنة(ص٥٣)

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: (من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر ؛ لأن القرآن من علم الله وفيه أسماء الله). رواه عبدالله في السنة(١/ ١٠٢).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (من قال إنّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢] مخلوق ؛ فهو كافر). رواه عبدالله في السنة(١/ ١٠٨).

وقوله (الشان) : أصلها الشأن سهلت الهمزة مراعاة للوزن.

(اقرأ فقال ما أنا بقاري) : أي جاء جبريل عليه الصلاة والسلام إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهو في غار حراء كما في الصحيحين عن عائشة وفيه: (فَكانَ يَأْتِي حِرَاءً فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وهو التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ- ويَتَزَوَّدُ لذلكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلىٰ خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حتَّىٰ فَجِئَهُ الحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فِيهِ، فَقالَ: اقْرَأْ، فَقالَ له النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْتُ: ما أنَا بقَارِئٍ..) الحديث.

أي عندما فاجأ جبريل عليه الصلاة والسلام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهو في غار حراء فقال له : اقرأ ، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ : (ما أنا بقارئ) ؛ أي كيف أستطيع القراءة ، وأنا أمِّيّ لا أقدر عليها ولا علم لي بها ؛ لأن النبي

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كان أميًّا لا يكتب ولا يقرأ المكتوب قال تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ..﴾ الآية [الأعراف:١٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨].

ومعنىٰ(**حتَّىٰ فَجِئَهُ الحَقُّ**) : أي جاء بغتة علىٰ غير موعد. (١)

(كما روىٰ مسلم والبخاري) : في صحيحيهما الذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالىٰ.

والناظم حفظه الله لخص في هذه الأبيات حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في الصحيحين فيما يتعلق ببدء الوحي.

(فغطه حتىٰ علاه الجهد) : أي: ضمه وعصره ، يقال : غطه وغته وضغطه وعصره وخنقه وغمزه كله بمعنىٰ واحد. (٢)

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير(٣/ ١٠)

(٢) شرح مسلم للنووي(١٦٠)

والمراد: أن جبريل أمسك به وضمه ضمة شديدة، حتىٰ بلغ منه الجهد والمشقة غاية وسعه وأقصىٰ ما تتحمله الطاقة البشرية ، وإنما فعل ذلك؛ إيناسا له، وتقوية لنفسه، وتنشيطا لقلبه، علىٰ تلقي الوحي.

وفي حديث عائشة المتقدم :(فأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقالَ: اقْرَأْ، فَقُلتُ: ما أنَا بقَارِئٍ، فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ..)الحديث.

ومعنىٰ(أَرْسَلَنِي) : أي أطلقني.

(ثم تلاها تم ذاك العهد) : أي ثم تلا جبريل عليه الصلاة والسلام الآيات: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ حتَّىٰ بَلَغَ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ؛ أي: اقرأْ ما أقولُه لك، وأُبَلِّغُه إليك مستعينا باسم الله ؛ فإن الله قادر علىٰ تمكينك من القراءة.

وفي هذا دليل علىٰ أن الذي يعطي العلم ، ويعين علىٰ حفظه وفهمه هو الله عَزَّوَجَلَّ؛ فالإنسان يسعىٰ ويبذل الجهد في التعلم ويستعين بالله علىٰ ذلك ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيعطيه من فضله ؛ فهو الرب الأكرم.

وفيه أن أول ما نزل من القرآن ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ ؛ بيان فضل الكتابة ، وأهمية تقييد العلم.

وقوله (تم ذاك العهد) : أي بعد ذلك تم العهد الذي عهده الله إلىٰ نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ بتبليغ الوحي.

وفي حديث عائشة :(..فأخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أرْسَلَنِي فَقالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ حتَّىٰ بَلَغَ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

[العلق:١ – ٥].

(فعاد نحو البيت يمشي خائفا) : مما رأىٰ وسمع في غار حراء.

(مرتعدا بما رآه آنفا) : أي مرتعدا من شدة الخوف مما رأىٰ في الكهف، وفي حديث عائشة :(فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ..) الحديث.

ومعنىٰ(تَرجُفُ): تضطرب.

و (بَوادِرُه): البوادر جمع بادرة، وهي اللحمة التي بين الكتف والعنق، تضطرب عند الفزع. (١)

(يقول بالجهير زملوني): الجهير : الصوت المرتفع ، يقال : رجل جهير الصوت إذا كان عاليه.

---

(١) شرح مسلم للنووي(١٦٠)

أي: يقول من شدة الفزع (زملوني) أي : غطوني بالثياب ولفوني بها ؛ليسكن ما حصل له من الرِّعدة من شدَّة هول الأمر وثِقْلِه، فزمَّلوه كما أمرهم حتىٰ ذهب عنه الروع.

وشاهده من حديث عائشة :(..حتَّىٰ دَخَلَ علَىٰ خَدِيجَةَ، فَقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حتَّىٰ ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ..)الحديث.

ومعنىٰ (حتَّىٰ ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ) : أي حتىٰ ذهب عنه الفزع.

وفي هذا دليل علىٰ أن الخائف لا ينبغي أن يُسأل حتىٰ يهدأ ويذهب عنه الروع.

(فقد علاني الرهب دثروني) : أي فقد علاني الرهبة والخوف من هول ما رأيت فدثروني أي غطوني.

(قالت له خديجة لما بدا) : أي قالت له خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لما بدا خائفًا ترجف بوادره.

(والله لا يخزيك ربي أبدا) : أقسمت رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بأن الله لا يخزيه أبدا وفي حديث عائشة :(فَقالَ: يا خَدِيجَةُ، ما لي؟ وأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، وقالَ: قدْ خَشِيتُ علَىٰ نَفْسِي، فَقالَتْ له: كَلَّا، أبْشِرْ، فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أبَدًا..)الحديث.

وقولها (كلا) : معناه النفي والإبعاد.

وقولها :(أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا) : تبشره وتطمئنه وتقسم بأن الله لا يخزيه أبدا بالخاء المعجمة والزاي المكسورة من الخزي ومعناه : لا يفضحك ولا يهينك.

وفي رواية (لا يحزنك) بفتح أوله والحاء المهملة والزاي المضمومة والنون من الحزن.

فأقسمت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ ذلك ؛ ثقة بالله واستدلالا بما هو معلوم عنه من مكارم الأخلاق كما سيأتي.

وفيه محاولة التخفيف عمن أصابه الفزع ، والتسرية عنه ، وتطمين قلبه ، وتهدئة نفسه.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (قدْ خَشِيتُ علَىٰ نَفْسِي) : دل هذا مع قولها : (ترجف بوادره)، علىٰ شدة الانفعال الذي حصل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مجيء الملك.

واختلف العلماء في المراد بالخشية هنا إلىٰ اثني عشر قولاً ذكرها الحافظ في الفتح أقربها أنه خشي علىٰ نفسه الموت من شدة الرعب ، أو المرض ، والله أعلم.

(إذ تحمل الكلّ وتقري الضيفا) : وفي الحديث : (إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَكسِبُ المَعْدُومَ ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ..).

فشرعت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في تثبيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وتهدئته بعد أن أقسمت أن الله لا يخزيه أبدا ثم استدلت علىٰ ما أقسمت عليه من نفي ذلك بأمر استقرائي حيث وصفته بأصول مكارم الأخلاق ؛ لأن الإحسان إما إلىٰ الأقارب أو إلىٰ الأجانب ، وإما بالبدن أو بالمال ، وإما علىٰ من يستقل بأمره أو من لا يستقل ، وذلك كله مجموع فيما وصفته به.

فقالت :(إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ) : أي الإحسان إلىٰ القرابة.

وقالت: (وتَحْمِلُ الكَلَّ): الكل بفتح الكاف: هو من لا يستقل بأمره، كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النحل:٧٦].

والمراد: تتحمَّل أثقال وأعباء الفقراء والمساكين والأيتام والضعفاء ؛ بالإنفاق عليهم وإعانتهم بالمال ونحو ذلك.

وقالت : (**وتَكسِبُ المَعْدُومَ**) : أي: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك.

وقالت :(**وتَقْرِي الضَّيْفَ**) : أي : تكرم الضيف وتهيء له طعامه ونزله.

ويقال للطعام الذي يقدم للضيف قرىٰ -بكسر القاف- فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مضيافاً يَقري الضيوف.

وقالت :(**وتُعِينُ علَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ**) : أي تُعين الناس وتساعدهم فيما يصيبهم من خير أو شر.

وقولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (**وتعين علىٰ نوائب الحق**): كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ومالم يتقدم ، ومعنىٰ كلامها: إنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل ، وذكرت ضروبًا من ذلك.

وفي هذا دليل علىٰ أن مكارم الأخلاق سبب للسلامة من المكاره.

وفيه دليل علىٰ جواز تزكية من يستحق ذلك ؛ إذا أمن عليه من العجب والغرور، وإذا دعت لذلك حاجة.

وفيه أن المستشار عليه أن يوضح رأيه ، ويدعمه بالأدلة المقنعة.

وفيه دليل علىٰ عظم فضل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورجاحة عقلها ، وحسن تصرفها في المواقف الصعبة ، وهكذا تكون المرأة الصالحة مع زوجها.

(وتكسب المعدوم والضعيفا) : أي تعطي الفقير والضعيف ما لا يجده عند غيرك كما تقدم.

والألف في (الضيفا ، الضعيفا) ألف الإطلاق ، وهي الألف التي تأتي لإطلاق حركة الحرف الأخير في البيت إذا كانت فتحة.

وليس لهذه الألف موقع من الإعراب، وإنما نقول إنها ألف للإطلاق. [١]

(١) شرح مسلم للنووي(١٦٠)، المفهم للقرطبي(١/ ٣٧٨)، الفتح للحافظ(١/ ٥٧-٥٨)، شرح البخاري لابن عثيمين(١/ ٣١)

٧٨- فَانْطَلَقَتْ بِهِ إِلَىٰ ابْنِ نَوْفَلِ ** شَيْخٌ جَلِيلُ الْقَدْرِ وَالْفَضَائِلِ

٧٩- فَقَالَ ذَا النَّامُوسُ يَا أُخَيَّا ** جَاءَ لِمُوسَىٰ فَلْتَكُنْ حَفِيَّا

٨٠- يَا لَيْتَنِي أَكُونَ فِيهَا جَذَعَا ** إِذْ يُخْرِجُوكَ وَأَكُنْ مُتَّبِعَا

٨١- ثُمَّ فُتُورُ الْوَحْيِ قَدْ تَلَاهُ ** وَبَعْدَ ذَا مُدَّثِرًا أَوْحَاهُ

٨٢- فَابْتَدَأَ الرَّسُولُ بِالنَّذَارَةِ ** إِلَىٰ طَرِيقِ الدِّينِ بِالبِشَارَةِ

الشَّرْحُ

(فانطلقت به إلىٰ ابن نوفل) : أي فانطلقت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ابن عمها ورقة بن نوفل.

وهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي بن كلاب بن مرة ، وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزىٰ بن قصي بن كلاب بن مرة ، ويلتقيان مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في قصي.

وكان ورقة قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب من الإنجيل للعربية وكان متمكنا في دين النصارىٰ ويعرف كتابهم.

ويدل علىٰ هذا ما جاء في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفيه :(ثُمَّ انْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتَّىٰ أَتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلِ بنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّىٰ بنِ قُصَيٍّ، وهو ابنُ عَمِّ

خَدِيجَةَ؛ أَخُو أَبِيهَا، وكانَ امْرَأً تَنَصَّرَ في الجَاهِلِيَّةِ، وكانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بالعَرَبِيَّةِ مِنَ الإنْجِيلِ ما شَاءَ اللهُ أنْ يَكْتُبَ وكانَ شَيْخًا كَبِيرًا قدْ عَمِيَ..)الحديث.

(شيخ جليل القدر والفضائل) : أي ورقة بن نوفل كان شيخا جليل القدر والفضائل وإنما نال ذلك بتصديقه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وإقراره برسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وجاء في حديث عائشة المتقدم أنه كان شيخًا كبيرًا قد عمي.

(فقال ذا الناموس يا أُخيا) : الناموس: أي جبريل عليه الصلاة والسلام الذي أنزله الله علىٰ موسىٰ عليه الصلاة والسلام.

وفي حديث عائشة :(..فَقالَتْ له خَدِيجَةُ: أيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أخِيكَ، فَقالَ ورَقَةُ: ابْنَ أخِي، مَاذَا تَرَىٰ؟ فأخْبَرَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رَأَىٰ، فَقالَ ورَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي أُنْزِلَ علَىٰ مُوسَىٰ..)الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح :(والمراد بالناموس هنا جبريل عليه السلام.

وقوله: "علىٰ موسىٰ" ولم يقل: علىٰ عيسىٰ مع كونه نصرانيا؛ لأن كتاب موسىٰ عليه السلام مشتمل علىٰ أكثر الأحكام، بخلاف عيسىٰ.

وكذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أو لأن موسىٰ بعث بالنقمة علىٰ فرعون ومن معه، بخلاف عيسىٰ.

كذلك وقعت النقمة علىٰ يد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفرعون هذه الأمة وهو: أبو جهل بن هشام ومن معه ببدر.

أو قاله تحقيقا للرسالة؛ لأن نزول جبريل علىٰ موسىٰ متفق عليه بين أهل الكتاب، بخلاف عيسىٰ فإن كثيرا من اليهود ينكرون نبوته)اهـ [1]

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (ولم يذكر -أي ورقة- عيسىٰ وإن كان متأخرا بعد موسىٰ ؛ لأنه كانت شريعته متممة ومكملة لشريعة موسىٰ عليهما السلام ، ونسخت بعضها علىٰ الصحيح من قول العلماء.

كما قال: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران:٥٠].

---

(١) الفتح(١/ ٦٠)

وقول ورقة هذا كما قالت الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٣٠]) اهـ (١)

وقول خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ) : أي اسمع من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وإنما قالت (ابن أخيك) : لأن الأب الثالث لورقة هو الأخ للأب الرابع لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وأرادت بذلك أن يتأهب لسماع كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وذلك أبلغ في التعليم. ذكره الحافظ في الفتح.

فقال له ورقة : ابن أخي ماذا ترىٰ؟

فأخبره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بما رآه في غار حراء.

(جاء لموسىٰ فلتكن حفيّا) : أي فقال له ورقة : هذا الناموس ، أي: جبريل الذي أنزل علىٰ موسىٰ عليهما الصلاة والسلام كما تقدم.

ومعنىٰ قوله (حفيّا) : الحفي : اللطيف.

---

(١) البداية والنهاية(٣/ ١٣)

وقيل : المبالغ في الإكرام والاهتمام وحسن الاستقبال.

ومنه قوله تعالىٰ عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧].

وجاء في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ : لطيفا ، أي : في أن هداني لعبادته والإخلاص له.

وقيل : وعده الإجابة.

وقيل : الحفي : الذي يهتم بأمره. ذكره ابن كثير في تفسيره.

(يا ليتني أكون فيها جذعا) : أي ثم قال له ورقة كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :(يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا).

وقوله :(ياليتني فيها جذعا) : أي يا ليتني في مدة النبوة أو الدعوة أكون فيها شابا قويا قادرا علىٰ نصرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

(إذ يخرجوك وأكن متبعا) : أي حين يخرجك قومك من مكة ، أكن متبعا ومناصرا لك.

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المتقدم :(يا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ فَقالَ ورَقَةُ: نَعَمْ؛ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ، وإنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أنْ تُوُفِّيَ).

وقوله (حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ) : أي من مكة.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟) : أي وهل يخرجني قومي من مكة ؟ ، وإنما استبعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يخرجوه ؛ لأنه لم يكن فيه سبب يقتضي الإخراج ، لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق التي تقدم من خديجة وصفها.

(فَقالَ ورَقَةُ: نَعَمْ؛ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بمِثْلِ ما جِئْتَ به إلَّا عُودِيَ) : أي : فقال له ورقة إجابة علىٰ سؤاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : نعم ؛ لم يأت رجل بما جئت به من الوحي إلا أوذي وعودي ؛ فذكر ورقة أن العلة في ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم ، ولأنه علم من الكتب السابقة أنهم لا يجيبونه إلىٰ ذلك ، وأنه يلزمه لذلك منابذتهم ومعاندتهم فتنشأ العداوة من ثم.

وفي هذا دليل علىٰ أن المجيب يقيم الدليل علىٰ ما يجيب به إذا اقتضاه المقام.

وقوله (**وإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ**) أي: يوم الإخراج.

(**أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا**): أي : نصرا قويا ، مأخوذ من الأزر ، وهو القوة.

وفي هذا دليل علىٰ أن ورقة بن نوفل كان مقرًا برسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ومؤمنًا بما جاء به ، وهذا يدل علىٰ صحبته.

(**ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ ورَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ**) : أي: لم يلبث ورقة أن توفي ، و(فَتَرَ الوَحْي) أي : احتبس فترة من الزمن. (١)

(**ثم فتور الوحي قد تلاه**) : أي ثم تلا هذه الأحداث فتور الوحي مدة من الزمن.

قيل : قرابة ثلاث سنوات.

وذكر أهل العلم أن الحكمة من فتور الوحي ؛ ليذهب ما كان قد وجده النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من الروع وليحصل له التشوف إلىٰ العود.

---

(١) الفتح(١/ ٦١-٦٢)

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب ما كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجده من الروع، وليحصل له التشوف إلىٰ العود)اهـ[1]

وأما ما جاء أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بعد أن فتر الوحي حزن حتىٰ ذهب مرارا ليتردىٰ من رؤوس الجبال ؛ فهذا من بلاغات الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو عند البخاري برقم(٦٩٨٢): (وفتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حتَّىٰ حَزِنَ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيما بَلَغَنَا- حُزْنًا غَدَا منه مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّىٰ مِن رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الجِبَالِ، فَكُلَّما أوْفَىٰ بذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ منه نَفْسَهُ، تَبَدَّىٰ له جِبْرِيلُ، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّكَ رَسولُ اللهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذلكَ جَأْشُهُ، وتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عليه فَتْرَةُ الوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذلكَ، فَإِذَا أوْفَىٰ بذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّىٰ له جِبْرِيلُ فَقالَ له مِثْلَ ذلكَ).

قال الحافظ في الفتح أن القائل (فيما بلغنا) هو الزهري.

---

(١) الفتح(١/ ٦٢)

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السلسلة الضعيفة (١٠/ ٤٥٣) : يعني أنه ليس بموصول.

وحكم العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ المتن بالنكارة.

وفي هذا شبهة أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاول الانتحار ، وهذا باطل ويدل علىٰ بطلانه ما يلي :

١ – أن هذا المتن منكر ، وقد حكم العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه بالنكارة ، وأنه قد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال :(مَن تَرَدَّىٰ مِن جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهو في نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّىٰ فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا).

٢– أنه من بلاغات الزهري ، فليس علىٰ شرط البخاري بل هو مقطوع الإسناد كما تقدم من كلام الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣– أنه لم يرد عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ولا عن صحابته شيء في ذلك لا صحيح ولا ضعيف.

٤- أن البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ روىٰ حديث نزول الوحي مرارا دون ذكر هذه القصة.

(وبعد ذا مدثرا أوحاه) : أي وبعد فترة الوحي مدة من الزمن ؛ أوحىٰ الله علىٰ نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ خمس آيات من سورة المدثر.

ويدل علىٰ هذا حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في الصحيحين قال : سَمِعْتُ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يُحَدِّثُ عن فَتْرَةِ الوَحْيِ، فَقالَ في حَديثِهِ: (فَبيْنَا أنَا أمْشِي إذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا المَلَكُ الذي جَاءَنِي بحِرَاءٍ جَالِسٌ علَىٰ كُرْسِيٍّ بيْنَ السَّمَاءِ والأرْضِ، فَجَئِثْتُ منه رُعْبًا، فَرَجَعْتُ فَقُلتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي،فَدَثَّرُونِي، فأنْزَلَ الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إلىٰ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ١-٥] فَحَمِيَ الوَحيُ وَتَتَابَع).

ومعنىٰ قوله (فَجَئِثْتُ منه رُعْبًا) : أي فزعت.

ومعنىٰ قوله (فَحَمِيَ الوَحيُ وَتَتَابَع) : أي جاء كثيرا متتابعا.

(فابتدأ الرسول بالنذارة) : أي أمر الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أن ينذر قومه ويدعوهم إلىٰ توحيد الله ؛ فامتثل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لذلك.

ويجمع بين حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا : أول ما نزل ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، وحديث جابر في نزول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾؛ بأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نبئ بسورة العلق وأرسل بالمدثر.

(إلىٰ طريق الدين بالبشارة) : أي أمر الله نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن ينذر قومه إلىٰ طريق الحق والصراط المستقيم وتوحيد الله وحده ؛ بالبشارة والرفق وبيان ما أعده الله لهم من النعيم المقيم إن هم أجابوا له واتبعوه.

٨٣- أَوَّلُ مُـــؤْمِنٍ مِـــنَ الرِّجَـــالِ ** أَبٌ لِبَكْـــرٍ كَامِـــلُ الْخِصَـــالِ

٨٤- وَمُطْلَقًـــا أَوَّلُهُـــمْ خَدِيجَـــهْ ** مَـــنْ بُشِّـــرَتْ بِشَـــارَةً بَهِيجَـــهْ

٨٥- وَفِـــي الصِّـــغَارِ ذَكَـــرُوا عَلِيًّـــا ** فَكُـــنْ بِهَـــذَا يَـــا أَخِـــي رَضِـــيًّا

الشَّرْحُ

(أول مؤمن من الرجال) : أي: أول من أسلم من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الرجال.

(أب لبكر كامل الخصال) : يعني أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واسمه عبدالله بن عثمان التيمي ؛ فكان أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وقد آزر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في دين الله ودعا معه إلىٰ الله ؛ فاهتدىٰ علىٰ يديه واستجاب له عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيدالله، وسعد بن أبي وقاص، وكلهم من العشرة المبشرين بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (و كان حائز سبقهم أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، عبد الله بن عثمان التيمي و آزره في دين الله ، ودعا معه إلىٰ الله علىٰ بصيرة ، فاستجاب لأبي بكر عثمان بن عفان ، و طلحة ، و سعدُ بن أبي وقاص)اهـ [١]

وقوله (كامل الخصال) : يعني أن أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كامل الخصال والسجايا؛ فهو الصديق الذي صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حين كذبه الناس ، وآزره بنفسه وماله ، وكان نعم العون لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وفي البخاري(٣٦٦١) عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال : (إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وقَالَ أبو بَكْرٍ: صَدَقَ، ووَاسَانِي بنَفْسِهِ ومَالِهِ..)الحديث.

وفي هذا منقبة ظاهرة لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(ومطلقا أولهم خديجة) : أي أن أول من أسلم مطلقا خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كما جاء بذلك النص ، كما في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا المتقدم ؛ فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لما جاءه الملك في غار حراء وأنزل عليه القرآن عاد إلىٰ

---

(١) الفصول(٩٣)

البيت ترجف بوادره فثبتته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وآزرته وآمنت به ؛ فكانت أول من آمن به مطلقا ، وكانت أول صدِّيق له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي البخاري(٣٨٢١) ، ومسلم(٢٤٣٧) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت :(كان النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا ذكَرَ خَديجةَ أَثْنىٰ عليها، فأحسَنَ الثناءَ، قالت: فغِرْتُ يومًا، فقُلْتُ: ما أكثرَ ما تذكُرُها حَمراءَ الشِّدْقِ، قد أبدَلَكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بها خَيرًا منها، قال: ما أبدَلَني اللهُ عَزَّوَجَلَّ خَيرًا منها، قد آمَنَتْ بي إذ كفَرَ بي الناسُ، وصدَّقَتْني إذ كذَّبَني الناسُ، وواسَتْني بمالِها إذ حرَمَني الناسُ، ورزَقَني اللهُ عَزَّوَجَلَّ ولَدَها إذ حرَمَني أولادَ النِّساءِ).

(من بُشرت بشارة بهيجة) : أي بشرت بشارة عظيمة مبهجة للنفس جالبة لسرورها.

ففي البخاري(١٧٩١) ، ومسلم(٢٤٣٣) أنه قيل لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ : أَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ، بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ.

وجاء عند ابن أبي شيبة في المصنف(١٢/ ١٣٤) عن رجل من الصحابة قال: أَتَىٰ جبريلُ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقالَ:(بَشِّرْ خديجةَ ببيتٍ في الجنةِ من قَصَبٍ لا صَخَبَ فيهِ ولا نَصَبَ).

والحديث إسناده صحيح ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٧/ ١٦١٢).

ومعنىٰ قوله: «بَشِّر خَديجةَ ببَيتٍ في الجنَّةِ مِن قَصَبٍ»، أي: قصر في الجنة من لؤلؤ مجوَّف.

وقال ابن التين : المراد به لؤلؤة مجوَّفة واسعة كالقصر المنيف.

وذكر أهل العلم أن لذكر البيت معنىٰ لطيف ؛ وذلك أنها كانت ربة بيت قبل المبعث ثم صارت ربة بيت في الإسلام منفردة به ، فلم يكن علىٰ وجه الأرض في أول يوم بعث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بيت إسلام إلا بيتها ، وهي فضيلة ما شاركها فيها غيرها.

وجزاء الفعل يذكر غالبا بلفظه وإن كان أشرف منه ، فلهذا جاء في الحديث بلفظ البيت دون لفظ القصر .

وقيل : لأن مرجع أهل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إليها.

وذكروا أن النكتة في قوله : (من قَصَب) ولم يقل : من لؤلؤ ؛ أن في لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق بمبادرتها إلىٰ الإيمان دون غيرها.

وقيل : في القصب مناسبة أخرىٰ من جهة استواء أكثر أنابيبه ، وكذا كان لخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الاستواء ما ليس لغيرها ، إذ كانت حريصة علىٰ رِضَىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بكل ممكن ، ولم يصدر منها ما يغضبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قط كما وقع لغيرها.

وقوله: «لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ» : الصَّخَب : الصياح والمنازعة.

والنَّصَب : التعب.

أي: أنه قصر في الجنة لا صياح فيه من صياح أهل الدنيا، ولا تعب يصيب ساكنه، فما من بيت في الدنيا يجتمع فيه أهله إلا كان بينهم صخب وجلبة ، وكان في إصلاحه وتهيئته نصب وتعب ، فأخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن قصر خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الجنة بخلاف ذلك؛ ليس فيه شيء من الآفات التي تعتري بيوت أهل الدنيا، وكذا سائر بيوت أهل الجنة.

ومناسبة نفي هاتين الصفتين «لا صخب فيه ولا نصب» : أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما دعا إلىٰ الإسلام أجابت خديجة طوعا فلم تحوجه إلىٰ رفع صوت ولا منازعة ولا تعب في ذلك ، بل أزالت عنه كل نصب ، وآنسته من كل وحشة ، وهونت عليه كل عسير ، فناسب أن يكون منزلها الذي بشرها به ربها بالصفة المقابلة لفعلها.

وفي الحديث : فضل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وتبشيرها بالجنة. (١)

(وفي الصغار ذكروا عليا) : فذكروا أن أول من أسلم من الصبيان هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (وأما علي فأسلم صغيراً ابن ثماني سنين ، و قيل : أكثر من ذلك و قيل : كان إسلامه قبل إسلام أبي بكر ، و قيل : لا ، و علىٰ كل حال ، فإسلامه ليس كإسلام الصدِّيق ، لأنه كان في كفالة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذه من عمه إعانة له علىٰ سنة مَحْل)اهـ (٢)

---

(١) الفتح(٣٦٠٨)

(٢) الفصول(٩٣)

وقوله (علىٰ سنة مَحْل) : أي عام جَدْبٍ.

قال الجوهري في الصحاح : المَحْلُ: الجَدبُ، وهو انقطاع المطر ، ويبس الأرض من الكلاء.

(فكن بهذا يا أخي رضيا) : أي فكن راضيًا بهذا التفصيل الذي فيه غنية عن كثرة الاختلاف في هذه المسألة ، وكن رضيًّا مرضيًّا برًّا تقيًّا في قولك وفعلك.

وهذه نصيحة من الناظم حفظه الله لطالب العلم بأن يكون راضيًا ، مرضيًّا في دينه وخلقه.

ومن ذلك دعاء زكريا لابنه كما في قوله تعالىٰ : ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ [مريم:٦] ، أي: مرضيا عندك وعند خلقك ، تحبه وتحببه إلىٰ خلقك في دينه وخلقه.

وقيل : مرضيا في أقواله وأفعاله. وقيل : راضيا بقضائك وقدرك. وقيل : رجلا صالحا ترضىٰ عنه. وقيل: تجعله نبيا كما جعلت أباه نبيا. (١)

(١) تفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير

٨٦- ثُـــمَّ تَلَتْهَـــا الـــدَّعْوَةُ السِّـــرِّيَّهْ ** أَعْوَامُهَـــا شَـــدِيدَةٌ ذُعْرِيَّـــهْ

٨٧- وَاتَّخَـــذَ الرَّسُـــولُ دَارَ الْأَرْقَـــمِ ** مُتَّخِـــذًا لِلسِّـــتْرِ وَالتَّكَـــتُّمِ

٨٨- وَبَعْـــدَهَا الْمَرْحَلَـــةُ الْجَهْرِيَّـــهْ ** سِـــنِينُهَا عَشْـــرٌ مَـــعَ الْأَذِيَّـــهْ

٨٩- إِذْ أُمِـــرَ النَّبِـــيُّ بِالْجِهَـــارِ ** (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) فِي الْأَمْصَارِ

٩٠- فَكَـانَ مِنْـهُ جَمْعُهُـمْ عَلَـىٰ الصَّـفَا ** يَـدْعُوهُمُ بِـالرِّفْقِ مِـنْ غَيْـرِ جَفَـا

٩١- فَقَـــامَ فِـــيهِمْ رَجُـــلٌ عَنِيـــدُ ** مُعَـــارِضٌ وَسِـــيِّءٌ صِـــنْدِيدُ

٩٢- فَقَـــالَ تَبًّـــا أَلِـــذَا جُمِعْنَـــا ** تَبَّـــتْ يَـــدَاهُ فِـــي الْهُـــدَىٰ قَرَأْنَـــا

الشَّرْحُ

(ثم تلتها الدعوة السرية) : أي بعد أن أنزل الله علىٰ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ..﴾ الآيات [المدثر:١-٥].

قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بما أمره الله في هذه الآيات أتم قيام ودعا إلىٰ الله سرا ، وكان من الطبيعي أن يبدأ بأهل بيته وأقرب الناس إليه فكان أول من آمن به مطلقا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما تقدم ، وأول من أسلم من الأحرار أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأول من أسلم من الصبيان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأول من أسلم من الموالي

زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فهؤلاء هم أول الناس إسلاما بالإجماع وقد حكىٰ الإجماع علىٰ ذلك غير واحد من أهل العلم منهم ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ. (١)

وكان أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنفعهم إسلاما.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكر أول من أسلم :(..وأول من أسلم مم الرجال الأحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إسلام من تقدم ذكرهم إذ كان صدرًا معظمًا، ورئيسًا في قريش مكرمًا، وصاحب مال، وداعية إلىٰ الإسلام، وكان محببًا متألفًا يبذل المال في طاعة الله ورسوله)اهـ (٢)

(أعوامها شديدة ذعرية) : أي كانت أعواما شديدة الخوف والذعر من أذىٰ قريش وبطشهم.

(واتخذ الرسول دار الأرقم) : أي اتخذ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ للدعوة سرا؛ دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، وكان اسمه عبد مناف بن أسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، ويكنىٰ أبا عبدالله ، وكانت داره تقع عند الصفا ؛

---

(١) صحيح السيرة (١٢٣)

(٢) السيرة لابن كثير(١/ ٤٣٢)

فاتخذها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مكانا لاجتماعه بمن أسلم من أصحابه ؛ ليعلمهم الدين سرا.

وكان اختيار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دار الأرقم لمواصفات فيها من ذلك:

١- قرب موقعها من المسجد.

٢- لأنها لا تقع تحت نظر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة.

٣- كان صاحبها شابا عزبا من بني مخزوم وقد أسلم ولا يعلم بإسلامه أحد من قومه ، وكان في حدود الستة عشرة سنة فلا يتنبه له إذ أنه في هذه الحالة تنصرف الأذهان إلىٰ منازل كبار الصحابة.

٤- لأنه من بني مخزوم التي تحمل لواء الحرب والتنافس ضد بني هاشم، فيستبعد أن يختفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في بيت العدو. (١)

(متخذا للستر والتكتم) : أي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو إلىٰ الإسلام سرا ويتكتم علىٰ هذا ؛ لئلا يصيبه أو يصيب أحدا ممن اتبعه وآمن به الشر والأذىٰ من سفهاء قريش ؛ فيتعطل سبيل الدعوة.

---

(١) الإصابة(١/ ١٩٧)، سير أعلام النبلاء(٣/ ١١٩)، صحيح السيرة(١٢٣)

(وبعدها المرحلة الجهرية) : أي بعد أن دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قومه سرا لمدة ثلاث سنوات ، بدأت المرحلة الجهرية للدعوة.

(سنينها عشر مع الأذية) : أي واستمرت هذه المرحلة في مكة عشر سنوات؛ اشتد فيها أذىٰ الكفار للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

(إذ أُمر النبي بالجهار) : فأمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالجهر بالدعوة.

("فاصدع بما تؤمر" في الأمصار) : أي فأنزل الله قوله تعالىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤] ؛ فجهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة.

فقد روىٰ الطبري في تفسيره عن عبد الله بن عبيدة قال :(مازال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مستخفيا حتىٰ نزلت: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، فخرج هو وأصحابه) اهـ [١]

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (وأقام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك ثلاث سنين يدعو إلىٰ الله سبحانه مستخفيا، ثم نزل عليه: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

---

(١) تفسير الطبري(١٧/ ١٥٢)

فأعلن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة وجاهر قومه بالعداوة، واشتد الأذىٰ عليه وعلىٰ المسلمين..) اهـ المراد [١]

(فكان منه جمعهم علىٰ الصفا) : أي بعد أن أمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالجهر بالدعوة ، ولما أنزل الله قوله تعالىٰ : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ؛ جمعهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ جبل الصفا يدعوهم إلىٰ التوحيد ويحذرهم الشرك.

(يدعوهم بالرفق من غير جفا) : أي كانت دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكفار قريش بالرفق واللين من غير جفاء ولا غلظة.

(فقام منهم رجل عنيد) : أي فقام معارضا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومكذبا له منهم رجل عنيد قد أوبق نفسه وأوردها موارد العطب والهلاك بمنابذته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وإيذائه له.

(معارض وسيء صنديد) : أي وكان من وصف هذا الرجل أنه معارض للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيء الخلق صنديد جلد في الباطل ، مبغض للحق وأهله.

وكان هذا الرجل هو عمه أبولهب.

---

(١) زاد المعاد(١/ ٨٤)

(فقال تبا ألذا جمعنا): أي أن هذا الرجل وهو عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أبو لهب لما سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يدعو الناس إلىٰ الدين الحق وإلىٰ توحيد الله ؛ ضرب علىٰ يديه وقال تبا لك ألهذا جمعتنا؟!

ويدل علىٰ هذا ما جاء في الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ نادىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قريش بطنًا بطنا، فقال: "أرأيتم لو قلت لكم إن خيلًا بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقيَّ؟" قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبًا قط. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد." فقال أبو لهب: تبًّا لك، ألهذا جمعتنا؟!.

فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] إلىٰ آخر السورة.

وفي رواية لمسلم: أن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد الصفا فنادىٰ: (يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد المطلب، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت رسول الله، سليني بما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا).

(تبت يداه في الهدىٰ قرأنا) : أي لما قال أبو لهب لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ: تبًّا لك، ألهذا جمعتنا؟!

أنزل الله: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ..﴾ إلىٰ آخر السورة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ عند تفسير سورة المسد :(الأول دعاء عليه ، والثاني خبر عنه . فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ واسمه : عبد العزىٰ بن عبد المطلب ، وكنيته أبو عتبة . وإنما سمي "أبا لهب" لإشراق وجهه، وكان كثير الأذية لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والبغضة له ، والازدراء به ، والتنقص له ولدينه)اهـ

وكان شديد العداء والمحاربة لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ ، ففي مستدرك الحاكم وغيره من حديث طارق بن عبدالله المحاربي قال : (رأيتُ رسولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ مرَّ في سوقِ ذي المَجازِ وعليهِ حلَّةٌ حمراءُ وَهوَ يقولُ : "يا أيُّها النَّاسُ قولوا لا إلَهَ إلَّا الله تُفلِحوا" ، ورجلٌ يتَّبعُهُ يرميهِ بالحجارةِ قَد أدمَىٰ كَعبَيهِ وعُرقوبَيهِ، وَهوَ يقولُ: يا أيُّها النَّاسُ لا تُطيعوهُ ؛ فإنَّهُ كذَّابٌ. فقُلتُ: مَن هذا ؟ قالوا: غُلامُ بَني عبدِ المطَّلبِ. فقُلتُ: مَن هذا الَّذي يتَّبعُهُ يرميهِ بالحجارةِ؟ قالوا: هذا عبدُ العُزَّىٰ أبو لهبٍ).

والحديث صحيح ، وهو في الصحيح المسند للعلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ برقم(٥١٦).

٩٣- أَعْطَاهُ رَبِّي أَفْضَلَ الْآيَاتِ ** وَحْيًا رَآهُ أَعْظَمَ الْهِبَاتِ

٩٤- أَحَاطَهُ اللهُ بِعَمٍّ ذِي رَحِمْ ** أَبٌ لِطَالِبٍ وَهَذَا قَدْ عُلِمْ

٩٥- تَتَابَعَ الْأَذَىٰ مِنَ الْكُفَّارِ ** وَاجْتَمَعُوا لِلْبَطْشِ بِالْأَبْرَارِ

٩٦- فَعَذَّبُوهُمْ أَبْشَعَ التَّعْذِيبِ ** بِالْقَتْلِ وَالضَّرْبِ مَعَ التَّرْهِيبِ

٩٧- فَأَذِنَ اللهُ لَهُمْ بِالْهِجْرَةِ ** إِلَىٰ النَّجَاشِيْ طَلَبًا لِلْحِيرَةِ

الشَّرْحُ

(أعطاه ربي أفضل الآيات) : أي أن الله أعطىٰ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أعظم آيات القرآن.

(وحيا رآه أعظم الهبات) : أي وحيا أوحاه الله إليه ، وهذا أعظم ما وهب الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وأنعم عليه به.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة).

(أحاطه الله بعم ذي رحم) : ومن نعم الله علىٰ نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ورحمته به أن أحاطه بعم ذي رحم ومحبة ، بما أودع الله في قلبه لمحمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من الرحمة والمحبة الطبيعية.

(أب لطالب وهذا قد علم) : أي عمه أبوطالب وهذا معلوم حيث أنه كان شديد المحبة لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يحنو عليه ويحسن إليه، مع أنه كان كافرا ومات علىٰ ذلك ولكن الله امتحن قلبه بحبه لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ حبا طبعيا لا شرعيا.

وكان استمرار أبي طالب علىٰ دين قومه من حكمة الله تعالىٰ ومما جعله الله لنبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من الحماية ؛ إذ لو كان أسلم أبوطالب لما كان له عند المشركين وجاهة ولا كلمة ولا هيبة ولاجترؤوا عليه وآذوه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ : (وصان الله رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وحماه بعمه أبي طالب ؛ لأنه كان شريفا مطاعا فيهم ، نبيلا بينهم ، لا يتجاسرون علىٰ

مفاجأته بشيء في أمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما يعلمون من محبته له. وكان من حكمة الله بقاؤه على دينهم لما في ذلك من المصلحة) اهـ [١]

(تتابع الأذى من الكفار) : أي استمر أذى الكفار متتابعا لمن آمن بما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(واجتمعوا للبطش بالأبرار) : أي واجتمع كفار قريش للبطش بالمؤمنين وأذيتهم.

والأبرار جمع بر وهم المؤمنون الصادقون في إيمانهم المطيعون لربهم، الذين برت قلوبهم بما فيها من محبة الله ومعرفته، وبرت جوارحهم فاستعملوها بأعمال البر والطاعات. [٢]

(فعذبوهم أبشع التعذيب) : أي فاشتد أذى المشركين لمن آمن ؛ فعذبوهم أشد التعذيب النفسي والجسدي.

---

(١) الفصول(٩٨)

(٢) تفسير البغوي، تفسير السعدي

(بالقتل والضرب مع الترهيب) : فعذبوهم العذاب الجسدي بالقتل والضرب وأنواع الأذىٰ ، والعذاب النفسي بالترهيب والتخويف ونحو ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (اشتد أذىٰ المشركين علىٰ من آمن وفتنوا منهم جماعة حتىٰ إنهم كانوا يصبرونهم، ويلقونهم في الحر، ويضعون الصخرة العظيمة علىٰ صدر أحدهم في شدة الحر، حتىٰ إن أحدهم إذا أطلق لا يستطيع أن يجلس من شدة الألم فيقولون لأحدهم: اللات إلهك من دون الله.

فيقول مكرهـًا: نعم! وحتىٰ إن الجُعَل ليمر فيقولون: وهذا إلهك من دون الله.

فيقول: نعم! ومر الخبيث عدو الله أبو جهل عمرو بن هشام بسمية أم عمار وهي تعذب وزوجها وابنها، فطعنها بحربة في فرجها فقتلها، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وعن ابنها وزوجها) اهـ[1]

وما ذكره الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا هي بعض صور العذاب الذي تعرض له المسلمون من قبل كفار قريش فاشتد أذىٰ المشركين للمسلمين لمّا رأوا انتشار الإسلام، وكثرة من يدخل في هذا الدين فاغتاظوا لذلك أشد الغيظ.

---

(١) الفصول(٩٩)

ومعنىٰ قوله (حتىٰ إنهم كانوا يَصْبِرونهم) : القتل صبرا : هو أن يُمسَك شيء من ذوات الروح حيا ثم يُرْمىٰ بشيء حتىٰ يموت. (١)

وقوله (فيقولون لأحدهم : اللَّاتُ إلهُك من دون الله . فيقول مُكرهـًا : نعم!) : أي يقر بالكفر مكرها ؛ لشدة التعذيب والأذىٰ الذي يتعرض له وهذا أحد موانع التكفير ، وهو الإكراه ؛ فمن أكره علىٰ الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان فإنه لا يكفر، قال تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل:١٠٦] .

ومن أمثلة تعذيب المشركين للمسلمين في مكة ما حدث لسمية أم عمار وزوجها وولدها وكذا ما حدث لبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا ؛ فكانوا ممن اشتد تعذيب كفار قريش لهم ، وهم من أوائل من أظهر الإسلام وكانوا سبعة وأما الباقون فكانوا يخفون إسلامهم خوفا من بطش المشركين وتعذيبهم لهم.

ففي سنن ابنُ ماجة(١٥٠) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: (كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ: رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ،

(١) النهاية لابن الأثير

وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ عَلَىٰ مَا أَرَادُوا، إِلَّا بِلَالًا، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي الله، وَهَانَ عَلَىٰ قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ).

والحديث حسن ، وهو في الصحيح المسند للعلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ(٨٤٧).

وفي مستدرك الحاكم (٥٦٦٦) من حديث جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأَهْلِهِ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي الله عَزَّوَجَلَّ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمُ الْجَنَّةُ».

والحديث حسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح السيرة.

وعذب المشركون سمية والدة عمار، أشد العذاب لترجع عن دينها ولكنها ثبتت علىٰ رغم كبر سنها وضعفها ثبوت الجبال حتىٰ ذكر أهل السير أن عدو الله

أبا جهل مر بها وهي تعذب؛ فطعنها بحربة في قُبُلِها ؛ فقتلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، واشتهر عند أهل السير أنها أول شهيدة في الإسلام.

هذه بعض الأمثلة لما تعرض له المسلمون من التعذيب والبطش من المشركين في محاولة لرجوعهم عن دينهم والعودة إلىٰ الكفر والشرك.

(فأذن الله لهم بالهجرة) : أي لما اشتد البلاء وأذىٰ المشركين أذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الهجرة إلىٰ أرض الحبشة ، والثابت أن المسلمين هاجروا إلىٰ الحبشة مرتين ، وكانت الهجرة الأولىٰ في شهر رجب من سنة خمس من المبعث وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلا وأربع نسوة.

من الرجال عثمان بن عفان وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وآخرون.

والنساء أم سلمة ورقية بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وسهلة زوج أبي حذيفة ، وليلىٰ بنت أبي حثمة. (١)

(١) السيرة لابن إسحاق(١/ ١٢٣) ، الفتح للحافظ(٧/ ٢٢٧)،الإصابة للحافظ ، الفصول(١٠١)

(إلىٰ النجاشي طلبا للجيرة) : أي فانحاز المهاجرون إلىٰ النجاشي طلبا لجواره وحمايته ، واسمه أصحمة وكان رجلا فاضلا آواهم وأكرمهم وكانوا عنده آمنين.

قالت أمُّ سَلمةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا كما في مسند أحمد بسند حسن : (لمَّا ضاقتْ علينا مكَّة، وأوذِيَ أصحابُ رسولِ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وفُتنوا، ورَأَوْا ما يُصيبهُم مِنَ البلاءِ والفِتنةِ في دينهِم، وأنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يستطيعُ دفعَ ذلك عنهُم، وكان رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في مَنَعَةٍ من قومهِ وعمِّه، لا يَصِلُ إليه شيءٌ ممَّا يَكرهُ ممَّا ينالُ أصحابَه، فقال لهم رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إنَّ بأرضِ الحَبشةِ مَلِكًا لا يُظلمُ عنده، فالحقوا ببلادهِ حتَّىٰ يجعلَ الله لكم فَرَجًا ومَخرجًا ممَّا أنتم فيهِ. فخرجنا إليها حتَّىٰ اجتمعنا بها، فنزلنا بخيرِ دارٍ إلىٰ خيرِ جارٍ، أَمَّنَّا علىٰ ديننا، ولم نخشَ منه ظُلمًا..).

وأصحمة هو الذي صلىٰ عليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لما مات صلاة الغائب، كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قالَ: نَعَىٰ لنا رَسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ النَّجاشِيَّ صاحِبَ الحَبَشَةِ، يَومَ الذي ماتَ فِيهِ، فقالَ: اسْتَغْفِرُوا

لأخِيكُمْ. وعَنِ ابْنِ شِهابٍ، قالَ: حدَّثَني سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ: أنَّ أبا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالَ: إنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفَّ بِهِمْ بالمُصَلَّىٰ فَكَبَّرَ عليه أرْبَعًا.

٩٨- فَأَرْسَـــلَ الْكُفَّـــارُ لِلنَّجَاشِـــي ** يَرْشُـونَهُ فِـي جُمْلَـةِ الْأَحْبَـاشِ

٩٩- لِـرَدِّ صَـحْبٍ لِلرَّسُـولِ وَصَـلُوا ** لِأَرْضِـهِ وَالْأَمْـنَ فِيهَـا حَصَّـلُوا

١٠٠- عَـادُوا بِجَـرِّ الْخِـزْيِ وَالْمَهَانَـهْ ** حَمْـدًا لِرَبِّـي دِينَـهُ قَـدْ صَـانَهْ

الشَّرْحُ

(فأرسل الكفار للنجاشي) : لما علمت قريش بهجرة المسلمين إلىٰ الحبشة استشاطت غيظا وجن جنونها ؛ فبعثت في إثرهم وفدا مؤلفا من عمرو بن العاص بن وائل من دهاة العرب ، وعبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وبعثت معهم الهدايا الثمينة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (فلما علمت قريش بذلك -أي بهجرة المسلمين إلىٰ الحبشة- بعثت في إثرهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا وتحف من بلادهم إلىٰ النجاشي، ليردهم عليهم..) اهـ [١]

(يرشونه في جملة الأحباشِ) : أي أن قريشا أرسلوا مع وفدهم الهدايا الثمينة مما هو مستطرف في مكة وجمعوا له أدما كثيرة ونحو ذلك ؛ يرشونه وبطارقته ، فلم يتركوا بطريقا من بطارقته إلا أهدوا له هدية ، ودفعوا لكل بطريق هديته قبل أن

---

(١) الفصول(١٠٢)

يكلموا النجاشي حتىٰ يستشفعوا إليه بهم ، ثم قدموا للنجاشي هديته ، كما سيأتي في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(لردِّ صحب للرسول وصلوا) : وكان هدفهم من ذلك أن يرد إليهم أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الذين هاجروا إليه طلبا للحماية وفرارا من أذىٰ قريش وبطشهم.

(لأرضه والأمن فيها حصّلوا) : أي أنهم أرادوا أن يرد النجاشي المسلمين الذين وصلوا لأرضه ونزلوا بها فجاورهم بها خير جار ووجدوا في أرضه الأمن الذي افتقدوه في مكة، فأمنوا علىٰ دينهم وعبدوا الله بلا أذية ولا سماع مكروه.

قالت أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أَمنا علىٰ ديننا ، وعبدنا الله لا نؤذىٰ ولا نسمع شيئا نكرهه).

(عادوا بجرِّ الخزي والمَهانة) : أي عاد وفد قريش يجر الخزي والمهانة والخيبة بعد أن رفض النجاشي ردّ المهاجرين إليهم ولم يجبهم إلىٰ ذلك وقال للوفد : (انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا) ، فوشوا إليه أنهم يقولون في عيسىٰ أنه عبد الله حيث قال عمرو بن العاص : (والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسىٰ بن مريم عبد..)الحديث.

فأراد أن يمكر بالمسلمين ويحرض عليهم النجاشي وبطارقته لمخالفتهم عقيدة النصارىٰ في عيسىٰ عليه الصلاة والسلام ، ولكن الله ردهم خائبين، ورفض النجاشي تسليمهم، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (فأبىٰ ذلك عليهم- أي أبىٰ النجاشي أن يردهم- وتشفعوا إليه بالقواد من جنده، فلم يجبهم إلىٰ ما طلبوا، فوشوا إليه: إن هؤلاء يقولون في عيسىٰ قولاً عظيماً، يقولون: إنه عبد، فأحضر المسلمون إلىٰ مجلسه، وزعيمهم جعفر بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال: ما يقول هؤلاء إنكم تقولون في عيسىٰ؟! ؛ فتلا عليه جعفر سورة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ فلما فرغ أخذ النجاشي عوداً من الأرض فقال: ما زاد هذا علىٰ ما في التوراة ولا هذا العود، ثم قال: اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي، من سبكم غرم.

وقال لعمرو وعبد الله: والله لو أعطيتموني دبراً من ذهب يقول: جبلاً من ذهب ما سلمتهم إليكما، ثم أمر فردت عليهما هداياهما، ورجعا مقبوحين بشر خيبة وأسوئها)اهـ [١]

---

(١) المرجع السابق

والقصة بتمامها في مسند أحمد(١٧٤٠) بسند حسن من حديث أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا نسوق الشاهد منها قالت رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا : (لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَىٰ دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللهَ لَا نُؤْذَىٰ وَلَا نَسْمَعُ شَيئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قريشًا ائْتَمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطْرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الأَدَمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كثيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً، ثمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيِّ وَعمرو بن العاص بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ، وَأَمَرُوهُمَا أَمْرَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: ادْفَعُوا إِلَىٰ كُلِّ بِطْرِيقٍ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثمَّ قَدِّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ.

قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَىٰ النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثمَّ قَالَا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَىٰ بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَىٰ الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتُشِيرُوا عَلَيْهِ

بِأَنْ يُسْلِمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعَلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ. فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ. ثمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَىٰ بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعَلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ. فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعَلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَىٰ بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ. قَالَتْ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثمَّ قَالَ: لَا هَا اللهِ ايْمُ اللهِ إِذَنْ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا أُكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَىٰ مَنْ سِوَايَ حَتَّىٰ أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَاذَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي. قَالَتْ: ثمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ثمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ مَا عَلَّمَنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

فَلَمَّا جَاءُوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جعفر بن أبي طالب فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شيئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ. قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإِسْلَامِ. فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شيئًا، وَحرَّمنا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَىٰ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَشَقُّوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَىٰ بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَىٰ مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ

مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ كهيعص. قَالَتْ: فَبَكَىٰ وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّىٰ أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّىٰ أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أبدًا، وَلَا أُكَادُ. قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لأُنَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ -وَكَانَ أَتْقَىٰ الرَّجُلَيْنِ فِينَا-: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللهِ لأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ. قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عظيمًا؛ فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ. قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ. قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا، هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ. قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَىٰ الأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا

عُودًا، ثمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ. فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي - وَالسُّيُومُ الآمِنُونَ- مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ ثمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ -وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْجَبَلُ- رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا، فَوَاللهِ مَا أَخَذَ اللهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ..) الحديث.

والحديث في الصحيح المسند للعلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(حمدا لربي دينه قد صانه) : أي الحمدلله علىٰ حفظه لدينه وصيانته له ولعباده المؤمنين.

١٠١- وَعَـادَ بَعْـضٌ مِـنْهُمُ لَمَّـا اسْـتَمَعْ ** بِـأَنَّهُمْ قَـدْ أَسْـلَمُوا لَكِـنْ رَجَـعْ

١٠٢- فَكَانَـــتِ الْهِجْـــرَةُ مَـــرَّتَيْنِ ** إِلَـىٰ النَّجَاشِـي فَاعْقِـلِ الْأَمْـرَيْنِ

١٠٣- وَدَخَـلَ الْفَـارُوقُ فِـي الْإِسْـلَامِ ** إِذْ أَنَّـــهُ مِـــنْ جُمْلَـــةِ الْأَعْـــلَامِ

١٠٤- أَعَـــزَّ رَبُّنَـــا بِـــهِ الْأَصْـــحَابَا ** وَدَعْـــوَةَ الرَّسُـــولِ قَـــدْ أَجَابَـــا

الشَّرْحُ

(وعاد بعض منهم لما استمع) : أي عاد بعض المهاجرين من الحبشة إلىٰ مكة ؛ لما سمع.

(بأنهم قد أسلموا لكن رجع) : لما علم بأن الخبر غير صحيح.

وذلك أنه انتشرت شائعة بأن قريشا دخلت في الإسلام، وكان سبب هذه الشائعة أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صلىٰ في المسجد الحرام ؛ فقرأ سورة النجم، فسجد في موضع السجود ، وسجد من كان حاضرا معه من المسلمين والمشركين، والجن والإنس.

ففي البخاري(١٠٧١)عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سجد بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس).

وفي البخاري(٤٨٦٣) ، ومسلم(٥٧٦) عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿وَالنَّجْمِ﴾ قال : (فسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قُتِلَ كافرا وهو أمية بن خلف).

وكان سبب سجود المشركين ؛ لدهشة أصابتهم وخوف اعتراهم عند سماع السورة، لما فيها من قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٠-٥٤] فاستشعروا نزول ذلك بهم.

وقيل: أنه التبس عليهم أنه يمدح آلهتهم ، وجاء في هذا قصة مشهورة لكنها باطلة وقد بين ضعفها العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه(نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) ، والقصة هي : (لما نزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩] قرأها رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقال: (تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجىٰ)، وسجد رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال المشركون: إنه لم يذكر آلهتكم بخير قبل اليوم، فسجد المشركون.

فأنزل الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ..﴾ الآيات (٥٢-٥٥) من سورة الحج.[١]

فلما وصل الخبر إلىٰ المسلمين في الحبشة بأن قريشا أسلمت عاد بعض المهاجرين إلىٰ مكة منهم عثمان بن مظعون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فلما وصلوا وجدوا أن الخبر غير صحيح وأن قريشا مستمرة في تعذيب المسلمين ، فرجعوا إلىٰ الحبشة، وسار معهم جماعة ، وهي الهجرة الثانية إلىٰ الحبشة، وكانوا قريبا من ثمانين رجلا أو يزيد قليلا. وكان عدد النساء ثماني عشرة امرأة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ :(وكانوا قريبا من ثمانين رجلا)اهـ[٢]

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ : (كانوا اثنين وثمانين رجلا سوىٰ نسائهم وأبنائهم..

وقيل: إن عدد نسائهم كانت ثماني عشرة امرأة)اهـ[٣]

---

(١) نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق(٦٩) ، للألباني رحمه الله

(٢) الفصول(١٠١)

(٣) فتح الباري(٧/ ١٨٩)

(فكانت الهجرة مرتين) : الأولىٰ والثانية.

(إلىٰ النجاشي فاعقل الأمرين) : أي فافهم الأمرين فهما صحيحا ، وتدبر ما فيهما من الحكم والفوائد وكيف كان ثبات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ دينهم رغم الصعاب.

وفي هذا دعوة لطالب العلم بأن يحرص علىٰ الفهم والتدبر ، وهذه صفة الراسخين في العلم كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣] أي يفهمها ويتدبرها. (١)

(ودخل الفاروق في الإسلام) : فهدىٰ الله الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للإسلام.

وذلك أنه لما قدم وفد قريش من عند النجاشي خائبين لم ينالوا خيرا ؛ أسلم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذلك في أواخر السنة السادسة من البعثة.

(إذ أنه من جملة الأعلام) : أي كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أعلام قريش وشجعانها وكان له بأس وقوة عُرف بها، وكان شديدا علىٰ المسلمين قبل إسلامه ومن

---

(١) تفسير ابن كثير

شدته ما جاء في البخاري من طريق قيس بن أبي حازم قال : سَمِعْتُ سَعِيدَ بنَ زَيْدٍ، يقولُ لِلْقَوْمِ : (لو رَأَيْتَنِي مُوثِقِي عُمَرُ علَىٰ الإسْلَامِ، أنَا وأُخْتُهُ، وما أسْلَمَ، ولو أنَّ أُحُدًا انْقَضَّ لِما صَنَعْتُمْ بعُثْمَانَ، لَكانَ مَحْقُوقًا أنْ يَنْقَضَّ).

فربط عمر سعيد بن زيد -أحد المبشرين بالجنة- وزوجته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا ؛ تعذيبا لهم ليردهم عن دين الإسلام.

(أعز ربنا به الأصحابا) : أي: لما أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أعز الله به الإسلام والمسلمين، ولذلك نزل خبر إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ المشركين كالصاعقة ؛ لأنهم علموا حينئذ أن محمدا ومن معه سيزدادون قوة ومنعة، وقد كان الأمر كذلك.

ففي البخاري(٣٦٨٤) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :(مَا زِلْنَا أعِزَّةً مُنْذُ أسْلَمَ عُمَرُ).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (إن إسلام عمر كان فتحا، وإن هجرته كانت نصرا، وإن إمارته كانت رحمة ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتىٰ أسلم عمر فلما أسلم، قاتل قريشا حتىٰ صلىٰ عند الكعبة، وصلينا معه).

والأثر عند ابن إسحاق في السيرة(١/ ٣٦٦) بسند فيه انقطاع، ووصله الحاكم(٣/ ٨٣) بسند صحيح.

(ودعوة الرسول قد أجابا) : أي: أن دعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالهداية قد استجابها الله تعالىٰ ؛ حيث أن سبب إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ له.

فعند أحمد(٥٦٩٦)، والترمذي(٣٦٨١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:(اللَّهمَّ أعزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذينِ الرَّجُلَيْنِ إليكَ بأبي جَهْلٍ أو بعُمرَ بنِ الخطَّابِ قالَ: وَكانَ أحبَّهما إليهِ عمرُ).

والحديث صححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعند ابن ماجة(٨٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة) ، والحديث صحيح ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في المشكاة(٦٠٣٦).

١٠٥- وَقَـدْ كَفَـاهُ اللهُ قَـوْمَ الْهَـازِئِينْ ** حَمْدًا لِرَبِّي دَائِمًا فِي الْعَالَمِينْ

١٠٦- ثُـمَّ قُـرَيْشٌ قَـدْ شَـكَتْهُ صَـاغِرَهْ ** لِعَمِّـهِ عَـادَتْ بِـرَغْمٍ عَـاثِرَهْ

١٠٧- ضِـمَادُهُمْ جَـاءَ يُرِيـدُ الرُّقْيَـه ** فَـتَمَّ إِسْـلَامٌ لَـه بِالْخِفْيَـه

الشَّرْحُ

(وقد كفاه الله قوم الهازئين) : أشار الناظم حفظه الله إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر:٩٥] ، جاء عند البيهقي في الدلائل(٢/ ٣١٦)، وفي السنن(٩/ ٨) من حديث عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال :

في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري، وأبو زمعة الأسود بن المطلب بن بني أسد بن عبدالعزىٰ، والحارث بن عيطل السهمي، والعاص بن وائل، فأتاه جبريل فشكاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إليه، فأراه الوليد وأومأ جبريل إلىٰ أبجله فقال: ماصنعت؟ قال: كفيته، ثم أراه الأسود فأومأ جبريل إلىٰ عينه فقال: ماصنعت؟ قال: كفيته، ثم أراه أبا زمعة فأومأ إلىٰ رأسه فقال: ماصنعت؟ قال: كفيته، ثم أراه الحارث فأومأ إلىٰ رأسه أو بطنه وقال: كفيته، ومر به العاص فأومأ إلىٰ خمصه وقال: كفيته.

فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبالًا ، فأصاب أبجله فقطعها، وأما الأسود فعمي، وأما ابن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما

الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتىٰ خرج خرؤه من فيه فمات منها، وأما العاص فدخل في رأسه شبرقة حتىٰ امتلأت فمات منها، وقال غيره: أنه ركب إلىٰ الطائف حمارا فربض به علىٰ شوكة، فدخلت في أخمصه فمات منها).

والحديث رجاله ثقات إلا عمر بن عبدالله بن رزين وهو صدوق.

وذكر الحديث الذهبي في السيرة النبوية ص(١٤٣)، وقال: حديث صحيح.

وهو في السيرة النبوية لابن كثير(٢/ ٨٥)

(حمدا لربي دائما في العالمين): إذ حفظ نبيه من كيد الكائدين وكفاه شر الهازئين.

(ثم قريش قد شكته صاغرة...لعمه عادت برغم عاثرة) : أراد كفار قريش صد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ عما هو عليه بأن شكوه لعمه أبي طالب كما في مستدرك الحاكم(٣/ ٥٧٧) من حديث عقيل بن أبي طالب قال: جاءت قريش إلىٰ أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا، فانهه عنا.

فقال: ياعقيل انطلق فأتني بمحمد، فانطلقت إليه، فاستخرجته من كبس أو حنس فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما أتاهم، قال: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم.

فحلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ببصره إلىٰ السماء، فقال:(ترون هذه الشمس).

قالوا: نعم. قال:(فما أنا بأقدر علىٰ أن أدع ذلك منكم علىٰ أن تستشعلوا منها شعلة). فقال أبو طالب: والله ماكذب ابن أخي قط، فارجعوا.

والحديث حسن ، وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في حاشية فقه السيرة(١٤٣) :(إسناده حسن).

فلم تفلح قريش في صد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن دعوته، وعادت عاثرة خائبة.

(ضمادهم جاء يريد الرقية) : أي رقية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما سمع من سفهاء مكة أنه مجنون.

(فتم إسلام له بالخفية) : فلما سمع كلام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وجاءت قصة إسلام ضماد الأزدي عند مسلم(٨٦٨) من حديث عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (إن ضمادًا قدم مكة، وكان من أزد شنوءه، وكان يرقي من هذه الريح ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدًا مجنون. فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه علىٰ يدي، قال: فلقيه فقال: يامحمد! إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي علىٰ يدي من شاء، فهل لك؟

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: (إن الحمدلله؛ نحمده، ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. أما بعد).

قال: فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرات، قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السَّحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر. قال: فقال: هات يدك أبايعك علىٰ الإسلام. قال: فبايعه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:(وعلىٰ قومك)، قال: وعلىٰ قومي.

قال، فبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سريَّة ؛ فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئا؟ فقال رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة. فقال: ردَّها فإن هؤلاء قوم ضماد).

١٠٨- وَكَـانَ فِيهَـا حَـادِثٌ لِلْقَمَـرِ ** أَعْنِي انْشِقَاقًا كَمْ بِهِ مِنْ عِبَرِ

١٠٩- فَأَعْرَضُوا وَيَزْعُمُونَ السِّحْرَا ** إِذْ يُلْحِدُونَ جَهْرَةً وَسِرَّا

١١٠- قَدْ سَأَلُوا الْآيَاتِ لِلْإِسْلَامِ ** حَمْدًا لِرَبِّي صَاحِبِ الْإِنْعَامِ

١١١- وَأَجْمَعَ الْكُفَّارُ لِلْمُقَاطَعَهْ ** لِمَنْ تَوَلَّاهُمْ فَكَانَتْ فَاجِعَهْ

١١٢- ظُلْمٌ عَظِيمٌ قَطَعُوا الْأَرْحَامَا ** قَدْ عَبَدُوا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَا

١١٣- وَكَانَ صَابِرًا عَلَىٰ الْبَلَاءِ ** وَشَاكِرًا للهِ فِي السَّرَّاءِ

١١٤- سَبَبُهُ فُشُوُّ ذَا الْإِيمَانِ ** بَيْنَ الْعِبَادِ نِعْمَةُ الْمَنَّانِ

١١٥- ثَلَاثُ أَعْوَامٍ بِلَا نَكِيرِ ** ثُمَّ تَلَتْهَا رَحْمَةُ الْخَبِيرِ

الشَّرْحُ

(وكان فيها حادث للقمر) : حيث انشق القمر في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فكان نصفين: نصفا من وراء حراء ، ونصفا أمامه ليكون معجزة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ صدق نبوته ، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١] الآيات

وفي البخاري(٤٨٦٤) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (انشقَّ القمرُ علىٰ عهد رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرقتين فرقةٌ فوق الجبل وفرقةٌ دونه، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اشهدوا).

زاد في رواية(٤٨٦٥): (ونحنُ مع النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

(أعني انشقاقًا كم به من عبر) : فكان هذا الانشقاق معجزة من أعظم المعجزات المادية الكونية التي وقعت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بمكة ، وفيها الكثير من العبر والآيات المثبتة لقلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولقلوب المؤمنين ، وتعتبر علامة من علامات النبوة.

(فأعرضوا ويزعمون السحرا) : فلما رأىٰ كفار قريش انشقاق القمر أعرضوا وزعموا أن هذا سحرا سحرهم به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:١-٣].

وجاء عند البيهقي من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (انشق القمر بمكة حتىٰ صار فرقتين ، فقال كفار قريش أهل مكة : هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة ، انظروا السفار ، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق ، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به . قال : فسئل السفار ، قال : وقدموا من كل وجهة ، فقالوا : رأيناه). (١)

(١) البداية والنهاية(٦/ ٨٢)

(إذ يُلحدون جهرة وسرا) : فهم يميلون عن قول الحق ويطعنون في صحة ما يأتيهم به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الآيات ويشككون في صدقها ويفسرونها بشكل خاطئ وفق أهوائهم.

وهذا الطعن والتكذيب يكون في السر والجهر ، والله المستعان.

(قد سألوا الآيات للإسلام...حمدا لربي صاحب الإنعام) : وذلك أن قريشا سألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يريهم الآيات الدالة علىٰ صدقه حتىٰ يدخلوا في الإسلام ؛ فأراهم انشقاق القمر ؛ ففي البخاري(٣٦٣٧) ، ومسلم(٢٨٠٢)من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (سأَل أهل مكة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر).

(وأجمع الكفار للمقاطعة...لمن تولاهم فكانت فاجعة) : وذلك أن قريشا بعد إسلام حمزة وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وانتشار الإسلام رأت أن أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلو والأمور تتزايد ؛فساءها ذلك فأجمعوا علىٰ أن يتعاقدوا علىٰ بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف: ألا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتىٰ يُسلِّموا إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة.

فانحازت بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم ؛ إلا أبا لهب فإنه ظاهر قريشـًا علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبني هاشم وبني المطلب، وحُبس رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومن معه في شعب أبي طالب ، وبقوا محصورين مضيقـًا عليهم جداً مقطوعـًا عنهم الأكل والشرب ونحو ذلك نحو ثلاث سنين حتىٰ بلغ بهم الجهد. (١)

(ظلم عظيم قطعوا الأرحاما) : فكان في هذه المقاطعة ظلم عظيم وقطع للأرحام والصلات.

(قد عبدوا الأوثان والأصناما) : أي أنهم جمعوا بين ظلمهم لأنفسهم بالشرك وعبادة الأصنام والأوثان وظلمهم لغيرهم بمحاصرة من حاصروهم وقطعهم للأرحام وصلات القربىٰ التي بينهم.

(وكان صابرا علىٰ البلاء...وشاكرا لله في السراء) : أي: وكان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ صابرا محتسبا علىٰ البلاء ، وشاكرا لله في السراء ، وهكذا كان صحابته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

---

(١) الفصول(١٠٢) ، زاد المعاد(٣/ ٢٦)

وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن ، وقد تعجب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من حال المؤمن ؛ فأمره كله خير له ، ففي صحيح مسلم(٢٩٩٩) من حديث صُهيب بن سنان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإِنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له).

(سببه فشو ذا الإيمان...بين العباد نعمة المنان) : أي أن سبب المقاطعة كما تقدم هو استياء قريش من فشو الإسلام وانتشاره بين الناس.

وهذه من نعم الله المنان التي امتن بها علىٰ عباده.

و(المنان) : اسم من أسماء الله تعالىٰ ، ومعناه: كثير العطاء والانعام ، الممتن علىٰ عباده المتفضل عليهم بالنعم الجزيلة.

ودليله ماجاء عند أبي داود(١٤٩٥) ، والترمذي(٣٥٤٤) والنسائي(٣/٥٢) وابن ماجة(٣٨٥٨) وغيرهم من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:سمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً يقول: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطىٰ وإذا دعي به أجاب) ، والحديث قال عنه الألباني في (صحيح سنن ابن ماجة): حسن صحيح.

(ثلاث أعوام بلا نكير) : أي استمر هذا الحصار للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه ثلاث سنوات لايأتيهم طعام ولا شراب ولاينكر ذلك أحد إلا إذا استطاع أحد أن يتسلل إليهم بشيء من الطعام والشراب كما جاء ذلك في كتب السير.

(ثم تلتها رحمة الخبير) : ثم كانت رحمة الله الخبير بعباده العليم بحالهم.

وذكر بعض أهل السير أن الله أطلع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمر صحيفتهم وأنه أرسل إليها الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم؛ إلا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فأخبر بذلك عمه فخرج إليهم فأخبرهم أن ابن أخيه قال كذا وكذا، فإن كان كاذبًا خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقًا رجعتم عن ظلمنا ؛ فأنزلوا الصحيفة فلما رأوا الأمر كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تم نقض الصحيفة ، وخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه من الشِّعب ، ورجعوا إلىٰ مكة وحصل الصلح.

وكان من حكمة الله ورحمته أن تفرقت قلوبهم وتنافرت مما كان سببا في خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه من الحصار.

والقصة ذكرها ابن هشام في السيرة(٢/ ١٩) بدون إسناد ، والله أعلم بثبوتها ، فإن ماورد من تفاصيل أمر المقاطعة كله مراسيل لم تثبت رواية صحيحة في تفاصيلها لكن أصل الحادثة ثابت وقد حدد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ المكان الذي تقاسمت فيه قريش علىٰ الكفر - أي: تحالفت علىٰ المقاطعة - ، فذُكر أنه خَيْفُ بني كَنَانَةَ.

ففي البخاري(٣٠٥٨) ومسلم(٣٢٧٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن بمنىٰ:(نحن نازلون غدا بخَيْفِ بني كَنَانة، حيث تقاسموا علىٰ الكفر).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفىٰ بإيراد حديث أبي هريرة؛ لأنه فيه دلالة علىٰ أصل القصة؛ لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك؛ كالشرح لقوله في الحديث:(تقاسموا علىٰ الكفر).

وذكر عروة بن الزبير: أن حصار الشعب وقع بعد فشل قريش في استعادة المسلمين المهاجرين إلىٰ الحبشة، حيث أهاجها الأمر، واشتد البلاء علىٰ المسلمين، وعزمت قريش أن تقتل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأجمع بنو عبدالمطلب أمرهم علىٰ أن يُدْخِلوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِعْبَهُم ويحموه

فيه، فدخلوا الشِّعْبَ جميعا، مسلمهم وكافرهم، وأجمع المشركون أمرهم علىٰ أن لا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتىٰ يُسْلِموا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للقتل، وكتبوا في ذلك صحيفة، فلبث بنو هاشم في شِعْبِهِم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد والجوع، فلما كان رأس ثلاث سنين، تلاوم رجال من قريش علىٰ ماحدث، وأجمعوا علىٰ نقض الصحيفة، وأعلمهم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأنه لم يبق فيها سوىٰ كلمات الشرك والظلم). [١]

(١) فتح الباري(٧/ ١٩٣)

١١٦- وَحِينَ كَانَ نَقْضُ ذِي الصَّحِيفَهْ ** وَحَالَةُ النَّاسِ غَدَتْ ضَعِيفَهْ

١١٧- وَبَعْدَهُ قَدْ مَاتَ عَمٌّ قَدْ نَصَرْ ** خَيْرَ الْوَرَىٰ وَكُفْرُهُ قَدِ اسْتَقَرْ

١١٨- تَلَاهُ قَبْضُ الزَّوْجَةِ الْوَفِيَّهْ ** خَدِيجَةَ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّهْ

١١٩- بَعْدَ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْأَيَّامِ ** حُزْنٌ عَظِيمٌ حَلَّ فِي ذَا الْعَامِ

١٢٠- وَأَسْلَمَ الْعَمُّ الْقَرِيبُ حَمْزَهْ ** فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَعَزَّهْ

الشَّرْحُ

(وحين كان نقض ذي الصحيفة...وحالة الناس غدت ضعيفة) : أي وحين تم نقض صحيفة المقاطعة في سنة عشر من البعثة النبوية بعد أن رأىٰ كفار قريش الأمر كما أخبر النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، فخرج النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه من الشعب وعادوا إلىٰ مكة ، وكان قد بلغ بهم الجهد والضعف مبلغا كبيرا ؛ لشدة معاناتهم من الحصار والجوع طيلة ثلاث سنوات مكثوها في الشعب محاصرين كما تقدم.

(وبعده قد مات عم قد نصر... خير الورىٰ وكفره قد استقر) : أي وبعد نقض الصحيفة ، وما إن انتهىٰ الحصار حتىٰ أصيب رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بوفاة عمه أبي طالب، واسمه عبد مناف، وذلك في آخر السنة العاشرة من المبعث،

وقد كان أبو طالب كما في البخاري(٣٨٨٣): (يحوط النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ويغضب له).

وكانت قريش تحترمه، وتجله، ولما علم زعماء قريش بأن أبا طالب يعالج سكرات الموت أقبلوا إليه يحرضونه علىٰ التمسك بدين آبائهم ، وعدم الدخول في الإسلام ، فمات علىٰ الكفر.

ففي البخاري(٤٧٧٧٢) ، ومسلم(٢٤) عن سعيد بن المسيب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة.

فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله).

فقال أبو جهل، وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟

فلم يزل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يعرضها عليه ويعيد تلك المقالة، حتىٰ قال أبو طالب آخر ما كلمهم : علىٰ ملة عبد المطلب، وأبىٰ أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: (أما والله لأستغفرن لك، مالم أُنه عنك).

فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣].

وأنزل الله عَزَّوَجَلَّ في أبي طالب فقال لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

(تلاه قبض الزوجة الوفية...خديجة الطاهرة الزكية) : أي أنه بعد وفاة أبي طالب ماتت خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا التي كانت الزوجة الوفية المناصرة والمؤانسة للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ ، وقد تقدم ذكر جملة من فضائل خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا وكيف كانت نصرتها ومساندتها للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ ، وبشارة جبريل عليه الصلاة والسلام لها ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب ، فيراجع هنالك.

(بعد ثلاثة من الأيامِ) : أي أنه كان بين موت أبي طالب وخديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا ثلاثة أيام ، وما ذهب إليه الناظم حفظه الله هو قول لبعض أهل العلم ، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ : (فلما نُقِضت الصحيفةُ وافق موتَ خديجةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، وموتَ

أبي طالب، وكان بينهما ثلاثةَ أيام، فاشتدَّ البلاءُ علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من سفهاء قومِه)اهـ [١]

وقيل : كان موت خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بعد موت أبي طالب بنحو شهرين ؛ لأن أبا طالب مات في رجب علىٰ الصحيح، و كانت وفاة خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في رمضان لسبع عشرة ليلة خلت منه.

وقيل : غير ذلك.

والمجزوم به أن موتهما كان في عام واحد وكان بين وفاتيهما مدة يسيرة ، والله أعلم. [٢]

(حزن عظيم حلّ في ذا العامِ) : فكان ذلك العام شديد الحزن اشتد فيه حزن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لوفاة عمه ووفاة خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ، واشتد البلاء عليه، و توالت عليه المحن؛ لأن أباطالب كان مانعا لأذىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ؛ فلما مات اشتد الأذىٰ عليه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من كفار قريش وسفهائها.

---

(١) الفصول(١٠٥)

(٢) أزواج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للدمشقي(٦٥)

(وأسلم العم القريب حمزة...فالحمد لله الذي أعزه) : بالإسلام.

وكان إسلام حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أواخر السنة السادسة من البعثة ، بعد قدوم وفد قريش من عند النجاشي بغيظهم وخيبتهم لم ينالوا خيرا.

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسد الله ، وأسد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ففي مستدرك الحاكم(٣/ ١٩٣) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (كان حمزه يقاتل يوم أحد بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقول: أنا أسد الله)، والحديث صحيح.

١٢١- وَبَعْـــدَ ذَا خُرُوجُـــهُ لِلطَّـــائِفِ ** يَدْعُو إِلَىٰ الْخَلَّاقِ ذِي اللَّطَائِفِ

١٢٢- لَكِـــنَّهُمْ أَغْـــرَوْا بِـــهِ الصِّـــبْيَانَا ** وَصَـــيَّرُوهُ بَيْـــنَهُمْ مُهَانَـــا

١٢٣- فَلَـــمْ يَفِـــقْ إِلَّا بِقَـــرْنِ الثَّعْلَـــبِ ** وَفَاتَـــهُ الَّـــذِي رَجَـــا مِـــنْ مَطْلَـــبِ

الشَّرْحُ

(وبعد ذا خروجه للطائفِ...يدعو إلىٰ الخلّاق ذي اللطائفِ) : أي بعد موت أبي طالب اشتد أذىٰ قريش للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ؛ فخرج إلىٰ الطائف رجاء أن يأووه وينصروه ويقبلوا منه ماجاء به من الله تعالىٰ.

(لكنهم أغروا به الصبيانا...وصيروه بينهم مهانا) : أي: لكن أهل الطائف لم يجيبوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ شيء مما طلب بل آذوه ، وردوا عليه بأقبح رد ، وأغلظوا له القول ، وحرضوا الصبيان والسفهاء عليه فآذوه أذىٰ عظيما.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (اشتد البلاء علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سفهاء قومه، وأقدموا عليه، فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الطائف لكي يؤووه وينصروه علىٰ قومه، ويمنعوه منهم، ودعاهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فلم

يجيبوه إلىٰ شيء من الذي طلب، وآذوه أذىٰ عظيمـًا، لم ينل قومه منه أكثر مما نالوا منه)اهـ[١]

(فلم يفق إلا بقرن الثعلبِ) : أي: فمضىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ علىٰ وجهه ولم يستفق إلا وهو بمكان يقال له قرن الثعالب ؛ لشدة ما أصابه من الهم والحزن.

وفي البخاري (٣٢٣١) ، ومسلم(١٧٩٥) من حديث عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ : يَا رَسولَ اللهِ، هلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أَشَدَّ مِن يَومِ أُحُدٍ؟

فَقالَ: (لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ وَكانَ أَشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَىٰ ابْنِ عبدِ يَالِيلَ بنِ عبدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إلىٰ ما أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ علَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلَّا بقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بسَحَابَةٍ قدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقالَ: إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَما رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، قالَ: فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ اللهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بأَمْرِكَ، فَما شِئْتَ،

---

(١) الفصول(١٠٥)

إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقالَ له رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِن أَصْلَابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ به شيئًا).

و(**قرن الثعالب**) : هو قرن المنازل ؛ ميقات أهل نجد.

و(**الأخشبين**) : جبال مكة.

(**وفاته الذي رجا من مطلبِ**) : حيث لم يجيبوه إلىٰ شيء مما طلب بل آذوه أذىٰ بليغا ؛ فرجع عنهم ، ودخل مكة في جوار المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، وجعل يدعو إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.[1]

والمطعم مات كافرا ، ومع ذلك لم ينس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هذا المعروف له بل حفظ له ذلك ؛ ففي البخاري(٣١٣٩) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ في أُسَارَىٰ بَدْرٍ: (لو كانَ المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي في هَؤُلَاءِ النَّتْنَىٰ؛ لَتَرَكْتُهُمْ له).

أي : لقبل شفاعته فيهم ؛ مكافأة له.

---

(١) الفصول(١٠٦)

١٢٤- بِنَخْلَـــةٍ كَـــانَ سَـــمَاعُ الْجِـــنِّ ** هِدَايَـــةُ اللهِ عَظِـــيمِ الْمَـــنِّ

١٢٥- وَقَـدْ دَعَـا الْجِـنَّ إِلَـىٰ الْإِيمَـانِ ** كَمَـا أَتَـىٰ فِـي مُحْكَـمِ الْقُـرْآنِ

الشَّرْحُ

(بنخلة كان سماع الجنِّ) : كما في البخاري(٧٧٣) ، ومسلم(٤٤٩) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: (انْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ!!

قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ ؟!

فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ ، إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَهُوَ بِنَخْلَةَ ، عَامِدِينَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الفَجْرِ؛ فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ ، اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا وَاللهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن:١-٢].

فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن:١] ، وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ).

قوله(تِهامة) : هي مكان بمكّة.

وقوله(بنَخْلَة) : هي مكان بمكة أيضا.

وقد تعدد سماع الجن للقرآن من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، كما ورد في الأحاديث، ويحتمل أن أول مرة لم يشعر بهم ، ولم يكن يعلم باستماعهم إليه، كما في مسلم عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: (مَا قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ الْجِنِّ ، وَمَا رَآهُمُ..)

ثم ذكر الحديث: (انْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ..) الحديث.

وظاهر القرآن يدل علىٰ ذلك كما في قوله تعالىٰ في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا..﴾ الآيات.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وهذا يقتضي أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة ، وإنما استمعوا قراءته، ثم رجعوا إلىٰ قومهم .ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالا قوما بعد قوم، وفوجا بعد فوج..)اهـ [١]

ومن الأدلة الواردة في السنة علىٰ مجيء داعي الجن إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك ماجاء في مسلم(٤٥٠) من حديث عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : (سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات ليلة، ففقدناه. فالتمسناه في الأودية والشعاب. فقلنا: استطير أواغتيل. قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء. قال فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال: أتاني داعي الجن فذهبت معه. فقرأت عليهم القرآن، فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. وسألوه الزاد. فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع

---

(١) تفسير ابن كثير(٧/ ٢٩١)

في أيديكم، أوفر ما يكون لحمًا. وكل بعرة علف لدوابكم، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم).

وغير ذلك من الأحاديث.

(هداية الله عظيم المَنِّ) : حيث وفقهم الله وهداهم للاستماع للقرآن ، واتباع ما جاء به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، وعودتهم إلىٰ قومهم دعاة منذرين، وهذا من عظيم فضل الله عليهم ومنته.

(وقد دعا الجن إلىٰ الإيمان...كما أتىٰ في محكم القرآن) : كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣١].

١٢٦- ثُـــمَّ تَـــلَاهُ حَـــادِثُ الْإِسْـــرَاءِ ** لِبَيْـتِ قُـدْسٍ ذَاعَ فِـي الْأَرْجَـاءِ

١٢٧- يَقَظَـةً فِـي قَـوْلِ أَهْـلِ السُّـنَّةِ ** فَالْحَمْـــدُ للهِ عَظِـــيمِ الْمِنَّـــةِ

الشَّرْحُ

(ثم تلاه حادث الإسراء...لبيت قدس ذاع في الأرجاء) : أي ثم تلا الأحداث المؤلمة التي عاشها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد موت أبي طالب وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من زيادة الأذىٰ من كفار قريش ، ثم خروجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الطائف دعوة إلىٰ الله وطلبا للنصرة ، ثم عودته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ مكة بعد أن قوبل بالأذىٰ من أهل الطائف ؛ أن مَنّ الله علىٰ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالإسراء من مكة إلىٰ بيت المقدس وهو المسجد الأقصىٰ ؛ تسلية له وتثبيتا علىٰ الحق ؛ فنال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بهذا شرفا ما ناله قبله أحد من المرسلين.

قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

(يقظة في قول أهل السنة) : أي أن الإسراء كان في اليقظة لا المنام ، وهذا الذي عليه جمهور أهل السنة.

وقد اختلف أهل العلم في الإسراء والمعراج هل كان يقظة أم مناما ، وهل كان في ليلة واحدة أم عدة ليالي ، وهل كان بالروح أم بالروح والجسد معا ؟

والراجح الذي عليه الجمهور من المحدثين والفقهاء وعامة السلف أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة ، يقظة لا مناما ، بروحه وجسده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ومن الأدلة علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾؛ فقال: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ ، ولم يقل: (بروح عبده!).

وكذا قوله تعالىٰ في سورة النجم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١-١٠] إلىٰ آخر الآيات.

كلها تدل علىٰ أن ذلك كان يقظة لا مناما بالروح والجسد معا.

ويدل لذلك من الواقع أن قريشًا لما أخبرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بما رأىٰ في تلك الليلة صاحوا عليه وكذّبوه، وأنكروا ذلك غاية الإنكار، ولو كان ذلك

بروحه فقط أو رؤيا رآها لما أنكروا عليه ؛ لأن العرب لا ينكرون المرائي، والإنسان قد يرىٰ في منامه ما لا يمكنه فعله في اليقظة ولا يُنكَر عليه.

ومن الأدلة أيضا اقرار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بوجود البراق ووصفه له ، وأنه ركبه وربطه ، وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دخل المسجد الأقصىٰ وصلىٰ فيه ركعتين ، كما في حديث أنس في البخاري(٣٢٠٧)، ومسلم(١٦٢) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:(فَرَكِبْتُهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ) ، قَالَ: (فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ) ، قَالَ: (ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ).

وكل هذا محمول علىٰ الحقيقة وأن ذلك كان يقظة لا مناما، بالروح والجسد.[١]

(فالحمدلله عظيم المنة) : فالحمد لله عظيم المنّ جزيل العطاء علىٰ ما امتن به علىٰ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من التسلية والتأييد والآيات الباهرة المثبِّتة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومنها هذه الرحلة المباركة.

---

(١) الروض الأنف للسهيلي(٢/ ٢٧٣) ، عيون الأثر لابن سيد الناس(١/ ١٧١) ، فتح الباري لابن حجر(١/ ١٥٩) ، مرقاة المفاتيح للقاري(٩/ ٣٥٦)

وعلىٰ ما امتن به علينا من الاتباع والتوفيق للصواب ، فلله الحمد أولا وآخرا وظاهرا وباطنا.

١٢٨- وَهَكَـذَا عُرُوجُـهُ إِلَـىٰ السَّـمَا ** أَكْرَمَـهُ اللهُ بِـهِ وَأَنْعَمَـا

١٢٩- وَكَـانَ فِيـهِ فَـرْضُ ذِي الصَّـلَاةِ ** خَمْسُونَ فِي الْأَجْرِ وَفِي الْهِبَاتِ

الشَّرْحُ

(وهكذا عروجه إلىٰ السما...أكرمه الله به وأنعما) : أي: وأكرم الله نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أيضا بالعروج من المسجد الأقصىٰ والصعود إلىٰ السماء علىٰ ظهر البراق حتىٰ جاوز السبع الطباق وانتهىٰ إلىٰ موضع يسمع فيه صريف الأقلام كما في مسلم(١٦٣) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا : (ثُمَّ عَرَجَ بي حتَّىٰ ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًىٰ أسْمَعُ فيه صَرِيفَ الأقْلامِ) ، وتكليم الله تعالىٰ له ؛ وفي هذا كله غاية التكريم والتشريف من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لنبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

(وكان فيه فرض ذي الصلاة...خمسون في الأجر وفي الهبات) : أي : وفرضت الصلاة تشريفاً لها ولعظم شأنها عند عروج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ إلىٰ السماء السابعة وبعد وصوله إلىٰ سدرة المنتهىٰ ، حيث فرض الله عليه وعلىٰ أمته خمس صلوات في اليوم والليلة وأجرها أجر خمسين صلاة.

ومعنىٰ قوله(الهبات) : أي العطايا.

وقصة الإسراء والمعراج ثابتة في الصحيحين وغيرهما ففي البخاري(٣٨٨٧) ، ومسلم(١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ عن لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: بيْنَما أنَا في الحَطِيمِ -ورُبَّما قَالَ: في الحِجْرِ- مُضْطَجِعًا، إذْ أتَانِي آتٍ، فَقَدَّ [وفي رِوايةٍ]: فَشَقَّ ما بيْنَ هذِه إلىٰ هذِه - فَقُلتُ لِلْجَارُودِ وهو إلىٰ جَنْبِي: ما يَعْنِي بهِ؟ قَالَ: مِن ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إلىٰ شِعْرَتِهِ؛ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ، وفَوْقَ الحِمَارِ أبْيَضَ -فَقَالَ له الجَارُودُ: هو البُرَاقُ يا أبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أنَسٌ: نَعَمْ- يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أقْصَىٰ طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عليه، فَانْطَلَقَ بي جِبْرِيلُ حتَّىٰ أتَىٰ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فقِيلَ: مَن هذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قيلَ: مَرْحَبًا به؛ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هذا أبُوكَ آدَمُ، فَسَلِّمْ عليه، فَسَلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بالِابْنِ الصَّالِحِ والنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بي حتَّىٰ أتَىٰ السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قيلَ: مَن هذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قيلَ: مَرْحَبًا به؛ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إذَا يَحْيَىٰ وعِيسَىٰ -وهُما ابْنَا الخَالَةِ- قَالَ: هذا يَحْيَىٰ وعِيسَىٰ فَسَلِّمْ عليهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا

بالأخِ الصَّالِحِ والنَّبيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بي إلىٰ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قيلَ: مَن هذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قيلَ: مَرْحَبًا به؛ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إذَا يُوسُفُ، قَالَ: هذا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عليه، فَسَلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بالأخِ الصَّالِحِ والنَّبيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بي حتَّىٰ أتَىٰ السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قيلَ: مَن هذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: أوَقَدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قيلَ: مَرْحَبًا به؛ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إلىٰ إدْرِيسَ، قَالَ: هذا إدْرِيسُ فَسَلِّمْ عليه، فَسَلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بالأخِ الصَّالِحِ والنَّبيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بي، حتَّىٰ أتَىٰ السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قيلَ: مَن هذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قيلَ: مَرْحَبًا به، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هذا هَارُونُ فَسَلِّمْ عليه، فَسَلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بالأخِ الصَّالِحِ والنَّبيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بي حتَّىٰ أتَىٰ السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قيلَ: مَن هذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: مَن معكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا به، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَىٰ، قَالَ: هذا مُوسَىٰ فَسَلِّمْ عليه، فَسَلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بالأخِ الصَّالِحِ والنَّبيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَىٰ، قيلَ

له: ما يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أبْكِي لأنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِن أُمَّتِهِ أكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِن أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بي إلىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قيلَ: مَن هذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قيلَ: وقدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا به، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إبْرَاهِيمُ قَالَ: هذا أبُوكَ فَسَلِّمْ عليه، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عليه، فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بالِابْنِ الصَّالِحِ والنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ المُنْتَهَىٰ، فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وإذَا ورَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هذِه سِدْرَةُ المُنْتَهَىٰ، وإذَا أرْبَعَةُ أنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ ونَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلتُ: ما هذانِ يا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ في الجَنَّةِ، وأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ والفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لي البَيْتُ المَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بإنَاءٍ مِن خَمْرٍ، وإنَاءٍ مِن لَبَنٍ، وإنَاءٍ مِن عَسَلٍ، فأخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هي الفِطْرَةُ الَّتي أنْتَ عَلَيْهَا وأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَومٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ علَىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ: بما أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَومٍ، قَالَ: إنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَومٍ، وإنِّي واللهِ قدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وعَالَجْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ أشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إلىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إلىٰ مُوسَىٰ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إلىٰ مُوسَىٰ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا،

فَرَجَعْتُ إلىٰ مُوسَىٰ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَومٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَومٍ، فَرَجَعْتُ إلىٰ مُوسَىٰ، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلتُ: أُمِرْتُ بخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَومٍ، قَالَ: إنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَومٍ، وإنِّي قدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وعَالَجْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إلىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حتَّىٰ اسْتَحْيَيْتُ، ولَكِنِّي أَرْضَىٰ وأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَىٰ مُنَادٍ: أمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وخَفَّفْتُ عن عِبَادِي).

(**النَّبَق**) : ثَمَر السِّدْر.

و(**هَجَر**) : - بفتح الهاء والجيم - بلدة باليمن.

١٣٠- وَقَـدْ رَأَىٰ مِـنْ جُمْلَـةِ الْآيَـاتِ ** ثَـمَ الْأَمِـينَ سَـدَّ ذِي الْجِهَـاتِ

١٣١- وَرُؤْيَـةُ الـرَّبِّ تَعَـالَىٰ ذِي الْكَـرَمْ ** رُؤْيَـا فُـؤَادٍ إِنَّ ذَا قَـوْلٌ أَتَـمْ

الشَّرْحُ

(وقد رأىٰ من جملة الآيات...ثَمّ الأمين سدّ ذي الجهاتِ) : أي وقد رأىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في رحلته هذه جملة من الآيات ، منها رؤيته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لجبريل عليه الصلاة والسلام هنالك علىٰ صورته الحقيقية له ستمائة جناح كل جناح قد سد الأفق ، رآه عند سدرة المنتهىٰ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:١٣-١٤].

و روىٰ البخاري(٣٢٣٢) ، ومسلم(١٧٤) عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال في تفسير هذه الآية: (رأىٰ جبريل له ستمائة جناح).

وجاء في مسند الإمام أحمد(٣٧٤٨) عنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: (رأىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جبريل في صورته، وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سدّ الأفق. يسقط من جناحه التهاويل من الدرر واليواقيت).

والحديث قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية(١/ ٣٩): إسناده جيد قوي.

وهذه هي الرؤية الثانية التي رأىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ جبريل عليه الصلاة والسلام علىٰ صورته الحقيقية.

والرؤية الأولىٰ كانت في الأرض في بداية الوحي ، ونزلت عليه بعدها خمس آيات من سورة المدثر .

كما في البخاري(٤٦٤١) ، ومسلم(١٦١) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ - أي انقطاع - الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ : (فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا فَرَجَعْتُ ، فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي ، زَمِّلُونِي ، فَدَثَّرُونِي ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَىٰ : (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ -إلىٰ - ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾).

وهذه الرؤية هي المرادة في قوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (ولقد رأىٰ محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ، (بِالأُفُقِ الْمُبِينِ) أي : البين ، وهي الرؤية الأولىٰ التي كانت بالبطحاء (موضع بمكة) ، وهي المذكورة في قوله : ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ

فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم٥-١٠]...

وأما الثانية وهي المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم:١٣-١٦]..)اهـ المراد [١]

ولم يثبت وقوع رؤية ثالثة حقيقية لجبريل عليه الصلاة والسلام ، وقد قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما في البخاري(٤٨٥٥) : (..وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ).

وفي مسلم(١٧٧) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : (إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ).

(ورؤية الرب تعالىٰ ذي الكرم...رؤيا فؤاد إن ذا قول أتم) : أي ورأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في هذه الرحلة الرب جَلَّ جَلَالُهُ رؤية قلبية ، وما ذهب إليه الناظم هو اختيار كثير من أهل العلم ، وهو تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لقوله

---

(١) تفسير القرآن العظيم(٨/ ٣٣٩)

تعالىٰ : ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ..﴾ الآيات [النجم:١١-١٣] ، فذهب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ رأىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ لكن ليست رؤيا عين بل هي رؤية قلبية كما في رواية مسلم أنه قال: (رآه بقلبه).

وذهب آخرون إلىٰ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم ير ربه وإنما رأىٰ جبريل عليه الصلاة والسلام ، والله أعلم بالصواب.

١٣٢- تَـزَوَّجَ الْمُخْتَـارُ بَعْـدُ عَائِشَـهْ ** وَسَـوْدَةً وَلَـمْ تَكُـنْ مُنَاقِشَـهْ

١٣٣- وَأَخَّـرَ الْبِنَـاءَ بِالصِّـدِّيقَهْ ** لِبَعْـدِ هِجْـرَةٍ فَخُـذْ تَحْقِيقَـهْ

الشَّرْحُ

(تزوج المختار بعدُ عائشة) : أي : بعد ذلك عقد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في مكة قبل الهجرة ، وهي بنت ست سنين، كما في البخاري أنها قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :(تزوجني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأنا بنت ست سنين) ، وجاء في بعض الروايات سبع.

وكان زواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ منها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بوحي من الله عَزَّوَجَلَّ ؛ ففي البخاري(٣٨٩٥) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال لها: (أُرِيتُكِ في المنام مرتين، إذا رجل يحملك في سَرَقَة (قطعة) من حرير، فيقول: هذه امرأتك فأكشفها فإذا هي أنتِ، فأقول: إن يَكُنْ هذا من عند الله يُمْضِهِ).

(وسودة ولم تكن مناقشة) : أي وتزوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وكانت قبل ذلك عند السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو فتوفي عنها، وتزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة وهي أول امرأة تزوجها بعد

خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وانفردت به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ نحواً من ثلاث سنين أو أكثر حتىٰ دخل بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقد جاء في مسند أحمد(٢٥٧٦٩) عن أَبي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَيَحْيَىٰ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ، قَالَا: «لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا تَزَوَّجُ؟ قَالَ: مَنْ؟ قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا، وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا؟ قَالَ: فَمَنِ الْبِكْرُ؟ قَالَتِ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ الله عَزَّوَجَلَّ إِلَيْكَ؛ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: وَمَنِ الثَّيِّبُ؟ قَالَتْ: سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، آمَنَتْ بِكَ، وَاتَّبَعَتْكَ عَلَىٰ مَا تَقُولُ، قَالَ: فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ، فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ، مَاذَا أَدْخَلَ الله عَزَّوَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَتْ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَتِ: انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَاذَا أَدْخَلَ الله عَزَّوَجَلَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَ: وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ؟ إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيهِ. فَرَجَعَتْ إِلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: ارْجِعِي إِلَيْهِ فَقُولِي لَهُ: أَنَا أَخُوكَ وَأَنْتَ أَخِي فِي الْإِسْلَامِ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي، فَرَجَعَتْ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: انْتَظِرِي، وَخَرَجَ، قَالَتْ أُمُّ رُومَانَ: إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَىٰ ابْنِهِ، فَوَالله مَا وَعَدَ وَعْدًا قَطُّ فَأَخْلَفَهُ -لِأَبِي بَكْرٍ- فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ مُطْعِمِ

بْنِ عَدِيٍّ وَعِنْدَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ الْفَتَىٰ، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، لَعَلَّكَ مُصْبِئٌ صَاحِبَنَا، مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ، (تَقْصِدُ أَنَّهُ إِنْ تَزَوَّجَ وَلَدُهَا عَائِشَةَ دَعَاهُ أَبُو بَكْرٍ مَعَهُ لِلْإِسْلَامِ وَهِيَ لَا تَرْضَىٰ ذَلِكَ لِابْنِهَا) قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ: أَقَوْلُ هَذِهِ تَقُولُ، قَالَ: إِنَّهَا تَقُولُ ذَلِكَ، (وَالْمَعْنَىٰ أَنَّ الْمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ وَافَقَ زَوْجَتَهُ فِي رَفْضِ عَائِشَةَ زَوْجَةً لِابْنِهِمْ؛ خَوْفًا مِنْ تَأْثِيرِ أَبِي بَكْرٍ عَلَيْهِ فَيُسْلِمُ) فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدْ أَذْهَبَ الله عَزَّوَجَلَّ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ فَرَجَعَ، فَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَدَعَتْهُ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ وَعَائِشَةُ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ خَرَجَتْ فَدَخَلَتْ عَلَىٰ سَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، فَقَالَتْ: مَاذَا أَدْخَلَ الله عَزَّوَجَلَّ عَلَيْكِ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ قَالَتْ: مَا ذَاكَ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْطُبُكِ عَلَيْهِ، قَالَتْ: وَدِدْتُ، ادْخُلِي إِلَىٰ أَبِي فَاذْكُرِي ذَاكَ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا، قَدْ أَدْرَكَتْهُ السِّنُّ، قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَحَيَّتْهُ بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقَالَتْ: خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، قَالَ: فَمَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَرْسَلَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ، قَالَ: كُفْءٌ كَرِيمٌ، مَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ؟ قَالَتْ: تُحِبُّ ذَاكَ، قَالَ: ادْعِيهَا لِي فَدَعَتْهَا، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّةُ، إِنَّ هَذِهِ تَزْعُمْ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَرْسَلَ يَخْطُبُكِ، وَهُوَ كُفْءٌ كَرِيمٌ، أَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَكِ بِهِ، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ادْعِيهِ لِي، فَجَاءَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ..)الحديث.

وإسناده حسن ، قال الحافظ ابن كثير في سيرته(٢/ ١٤٢) : هذا السياق كأنه مرسل وهو متصل.

وقال الذهبي في السيرة(١٨٤) : إسناده حسن.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح(٧/ ١٧٦) : إسناده حسن.

وقال الهيثمي في المجمع(٩/ ٢٢٥) : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمَّد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث.

وقوله : **(ولم تكن مناقشة)** : أي لم تكن مجادلة حيث وهبت يومها لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما كبرت رعاية لقلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فقد روىٰ الترمذي(٣٠٤٠) من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (خشيت سودة أن يطلقها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت : لا تطلقني وامسكني واجعل يومي لعائشة ففعل فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨]. فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز).

والحديث صحيح ، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الفتح(٨/ ١١٥): له شاهد في الصحيحين بدون ذكر نزول الآية.

وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

وروىٰ البخاري(٥٢١٢) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة).

وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سيدة جليلة نبيلة، توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهي مع سائر من توفي عنهن من أزواجه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وأرضاهن وكانت وفاتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في آخر زمن عمر بن الخطاب، وقيل سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

(وأخر البناء بالصديقة...لبعد هجرة فخذ تحقيقه) : أي وأخر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ البناء بعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لصغر سنها إلىٰ بعد الهجرة إلىٰ المدينة ، حيث تزوَّجها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي بنت ست سنين في مكة كما تقدم ، وبنىٰ بها بالمدينة في شوال في السنة الأولىٰ ، وقيل في السنة الثانية مِن الهجرة وهي بنت تسع سنين.

ففي البخاري(٣٨٤٩) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الحَارِثِ بنِ

خَزْرَجٍ، فَوُعِكْتُ فَتَمَرَّقَ شَعَرِي، فَوَفَىٰ جُمَيْمَةً، فأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وإنِّي لَفِي أُرْجُوحَةٍ، ومَعِي صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخَتْ بي، فأَتَيْتُهَا لا أدْرِي ما تُرِيدُ بي، فأخَذَتْ بيَدِي حتَّىٰ أوْقَفَتْنِي علَىٰ بَابِ الدَّارِ وإنِّي لَأُنْهِجُ حتَّىٰ سَكَنَ بَعْضُ نَفَسِي، ثُمَّ أخَذَتْ شيئًا مِن مَاءٍ فَمَسَحَتْ به وجْهِي ورَأْسِي، ثُمَّ أدْخَلَتْنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأنْصَارِ في البَيْتِ، فَقُلْنَ: علَىٰ الخَيْرِ والبَرَكَةِ، وعلَىٰ خَيْرِ طَائِرٍ، فأسْلَمَتْنِي إلَيْهِنَّ، فأصْلَحْنَ مِن شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إلَّا رَسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ضُحًى، فأسْلَمَتْنِي إلَيْهِ وأَنَا يَومَئِذٍ بنْتُ تِسْعِ سِنِينَ).

وفي رواية لأحمد قَالَتْ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، جَاءَتْنِي نِسْوَةٌ وَأَنَا أَلْعَبُ فِي أُرْجُوحَةٍ وَأَنَا مُجَمَّمَةٌ، فَذَهَبْنَ بِي، فَهَيَّأْنَنِي، وَصَنَعْنَنِي، ثُمَّ أَتَيْنَ بِي رَسُولَ الله، فَبَنَىٰ بِي وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ».

وأشار الناظم حفظه الله إلىٰ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بقوله(الصديقة) تشريفًا وتكريمًا لها ؛ فهي الصديقة بنت الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وعن أبيها ، وهي المبرأة من فوق سبع سموات، وكانت أحب أزواج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إليه، ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة علىٰ الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجمعين إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها، وقد توفي عنها

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في سنة ثمان وخمسين ليلة السابع عشر من رمضان وصلىٰ عليها أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين ودفنت في البقيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها . (١)

(١) الاستيعاب(٤/ ٣٥٧)، الطبقات الكبرىٰ(٧/ ٥٩)

١٣٤- دَعَـا عَلَـىٰ الْكُفَّـارِ أَلَّا يُمْطَـرُوا ** سَـبْعَ سِـنِينَ كَـانَ فِيهَـا الضَّـرَرُ

١٣٥- عَشْـرُ سِـنِينَ وَالرَّسُـولُ يَتْبَـعُ ** مَجَـامِعَ النَّـاسِ لِكَيْمَـا يَسْـمَعُوا

١٣٦- فَسَـارَ فِـي عُكَـاظَ وَالْمَجِنَّـةِ ** وَذِي الْمَجَـازِ هَادِيًـا لِلْجَنَّـةِ

الشَّرْحُ

(دعا علىٰ الكفار ألّا يمطروا... سبع سنين كان فيها الضررُ) : لما أدبر كفار قريش عن الإسلام وأعرضوا ، واشتد أذاهم للمستضعفين من المؤمنين ؛ دعا عليهم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أن يصيبهم الله بالجدب والقحط وسنين كسني يوسف ؛ فاستجاب الله لنبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ؛ فنزل بهم العذاب بالجدب والقحط حتىٰ أكلوا الجلود والميتة من الجوع.

ويدل علىٰ هذا ما أخرجه البخاري(١٠٠٦) ، ومسلم(٦٧٥)من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ ، اللَّهُمَّ أَنْجِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَىٰ مُضَرَ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ).

وفي البخاري(١٠٠٧) ، ومسلم(٢٧٩٨) من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه : (.. إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَىٰ مِنَ النَّاسِ إِدْبَارًا ، فَقَالَ:(اللهُمَّ سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ) قَالَ: فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ ، حَتَّىٰ أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجُوعِ ، وَيَنْظُرُ إِلَىٰ السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ فَيَرَىٰ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللهِ ، وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا ، فَادْعُ اللهَ لَهُمْ ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان:١١-١٥] قَالَ: أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الْآخِرَةِ؟ ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان:١٦] ، فَالْبَطْشَةُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ، وَالْبَطْشَةُ وَاللِّزَامُ ، وَآيَةُ الرُّومِ) .

وفي رواية : (أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَتْ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، دَعَا عَلَيْهِمْ بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ، فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ ، حَتَّىٰ جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَىٰ السَّمَاءِ فَيَرَىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجَهْدِ ، وَحَتَّىٰ أَكَلُوا الْعِظَامَ ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اسْتَغْفِرِ اللهَ لِمُضَرَ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا ، فَقَالَ: لِمُضَرَ! إِنَّكَ لَجَرِيءٌ قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان:١٥] ، قَالَ: فَمُطِرُوا ، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمُ الرَّفَاهِيَةُ ، قَالَ: عَادُوا إِلَىٰ مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ

تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾، قَالَ: يَعْنِي يَوْمَ بَدْرٍ).

وقد ترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الدعاء علىٰ كفار قريش، بعدما نزل عليه قوله تعالىٰ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨].

ويدل علىٰ هذا ما جاء في رواية عند مسلم(٦٧٥):(ثُمَّ بَلَغَنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذَلِكَ لَمَّا أُنْزِلَ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.

(عشر سنين والرسول يتبع... مجامع الناس لكيما يسمعوا) : أي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بعد أن دعا إلىٰ الإسلام ثلاث سنين سرا ، أمره الله بعد ذلك بالجهر بالدعوة ؛ فأعلن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دعوته وجهر بها في مكة وما جاورها من عرب وغيرهم كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ: ٧].

واستمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ هذا عشر سنين يوافي الموسم كل عام ، يتبع الحجاج في منازلهم بمنىٰ والموقف يدعوهم إلىٰ الإسلام وإلىٰ أن يمنعوه حتىٰ يبلغ رسالات ربه.

(فسار في عُكاظ والمَجِنَّة... وذي المَجَاز هاديًا للجنة) : وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يأتي إلىٰ الناس في أسواق المواسم بعُكَاظ ومَجِنَّة وذي المَجَاز؛ يدعوهم إلىٰ الإسلام ، وإلىٰ أن يمنعوه حتىٰ يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة، فلا يجد أحدًا ينصره ولا يجيبه، حتىٰ إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة، ويقول: (يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكًا في الجنة). (١)

- **و ذو المَجَاز ومَجِنَّة وعُكاظ** : أسواق في الجاهلية، وكانت مَجِنَّة بمر الظهران قرب جبل يقال له: الأصفر، وهو بأسفل مكة، وكانت العرب تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة ، والعشرون منه قبلها سوق عكاظ : وهو خلف قرن المنازل بـ(٤٤ كم) علىٰ طريق صنعاء اليمن.

وبعد مجنة سوق ذي المجاز ثمانية أيام من ذي الحجة.

وذو المجاز : بناحية عرفة إلىٰ جانبها، وقيل: في منىٰ.

فكانت هذه الثلاثة الأسواق يأتونها في مواسم الحج.

---

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد(١/ ٢١٦)

وفي البخاري(٢٠٥٠) عن عبدالله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: (كَانَتْ عُكَاظٌ، ومَجِنَّةُ، وذُو المَجَازِ، أسْوَاقًا في الجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كانَ الإسْلَامُ، فَكَأَنَّهُمْ تَأَثَّمُوا فِيهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] في مَوَاسِمِ الحَجِّ. (١)

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي(٥/ ٥٨-٥٩) ، الفتح للحافظ(٣/ ٥٩٤)

١٣٧- يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ فِي الْمَجَامِعِ ** مُبَلِّغًا لِدِينِ رَبٍّ سَامِعِ

١٣٨- وَيَعْرِضُ النَّفْسَ عَلَىٰ الْعَشَائِرْ ** يَطْلُبُ مَنْ يُؤْوِيهِ أَوْ يُنَاصِرْ

الشَّرْحُ

(يدعو إلىٰ التوحيد في المجامع... مبلغا لدين رب سامع) : فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يدعو في هذه المجامع إلىٰ توحيد الله عَزَّوَجَلَّ ، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتىٰ يبين عن الله ما بعثه به. (١)

(ويعرض النفس علىٰ العشائر... يطلب من يؤويه أو يناصر) : وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يعرض نفسه علىٰ قبائل العرب يدعوهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وإلىٰ حمايته ونصرته.

والمشهور في هذا ما رواه البيهقي في دلائل النبوة(٢/ ٤٢٢)، وأبو نعيم في دلائل النبوة(٢١٤)، وابن عساكر في تاريخه(١٧/ ٢٩٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ الله عَزَّوَجَلَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَىٰ قَبَائِلِ الْعَرَبِ خَرَجَ - وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ - إِلَىٰ مِنًى حَتَّىٰ دَفَعْنَا إِلَىٰ مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ مُقَدَّمًا فِي كُلِّ حِينٍ وكَانَ رَجُلًا نَسَّابَةً فَقَالَ: مِمَّنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: مِنْ رَبِيعَةَ قَالَ: وَأَيُّ رَبِيعَةَ أَنْتُمْ؟

(١) السيرة لابن كثير(٢/ ١٥٥)

مِنْ هَامَتِهَا أَمْ مِنْ لَهَازِمِهَا؟ قَالُوا: بَلْ مِنْ هَامَتِهَا الْعُظْمَىٰ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مِنْ أَيِّ هَامَتِهَا الْعُظْمَىٰ؟ قَالُوا: ذُهْلٌ الْأَكْبَرُ ... إلىٰ أن قَالَ: ثُمَّ انْتَهَيْنَا إِلَىٰ مَجْلِسٍ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَإِذَا مَشَايِخُ لَهُمْ أَقْدَارٌ وَهَيْئَاتٌ فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَسَلَّمَ. قَالَ عَلِيٌّ: وَكَانَ مُقَدَّمًا فِي كُلِّ حِينٍ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ: مِمَّنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: نَحْنُ بَنُو شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ فَالْتَفَتَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَيْسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ عِزٍّ فِي قَوْمِهِمْ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنْ كَانَ بَلَغَكُمْ أَنَّهُ رَسُولُ الله فَهَا هُوَ ذَا فَقَالَ مَفْرُوقٌ: وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُ يَذْكُرُ ذَلِكَ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَىٰ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: إِلَامَ تَدْعُو يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَتَقَدَّمَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَجَلَسَ ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ يُظَلِّلُهُ بِثَوْبِهِ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: " أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَىٰ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله ، وَأَنْ تُؤْوُونِي ، وَتَمْنَعُونِي ، وَتَنْصُرُونِي ، حَتَّىٰ أُؤَدِّيَ عَنِ الله تَعَالَىٰ مَا أَمَرَنِي بِهِ ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَىٰ أَمْرِ الله ، وَكَذَّبَتْ رَسُولَهُ ، وَاسْتَغْنَتْ بِالْبَاطِلِ عَنِ الْحَقِّ ، وَالله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ، قَالَ لَهُ: وَإِلَامَ تَدْعُو أَيْضًا يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَتَلَا رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]، وَقَالَ لَهُ مَفْرُوقٌ: وَإِلَامَ تَدْعُو أَيْضًا يَا أَخَا قُرَيْشٍ؟ فَوَالله مَا هَذَا مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ كَلَامِهِمْ لَعَرَفْنَاهُ فَتَلَا رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فَقَالَ لَهُ مَفْرُوقٌ: دَعَوْتَ وَالله يَا قُرَشِيُّ إِلَىٰ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ وَلَقَدْ أُفِكَ قَوْمٌ كَذَّبُوكَ وَظَاهَرُوا عَلَيْكَ ، وَكَأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي الْكَلَامِ هَانِئُ بْنُ قَبِيصَةَ فَقَالَ: وَهَذَا هَانِئُ بْنُ قَبِيصَةَ شَيْخُنَا وَصَاحِبُ دِينِنَا ، فَقَالَ لَهُ هَانِئٌ: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ ، وَصَدَّقْتُ قَوْلَكَ ، وَإِنِّي أَرَىٰ أَنَّ تَرْكَنَا دِينَنَا وَاتِّبَاعَنَا إِيَّاكَ عَلَىٰ دِينِكَ لِمَجْلِسٍ جَلَسْتَهُ إِلَيْنَا لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ وَلَا آخِرٌ إِنْ لَمْ نَتَفَكَّرْ فِي أَمْرِكَ وَنَنْظُرْ فِي عَاقِبَةِ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ إِنَّهُ زَلَّةٌ فِي الرَّأْيِ ، وَطَيْشَةٌ فِي الْعَقْلِ وَقِلَّةُ نَظَرٍ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الزَّلَّةُ مَعَ الْعَجَلَةِ، وَإِنَّ مِنْ وَرَائِنَا قَوْمًا نَكْرَهُ أَنْ نَعْقِدَ عَلَيْهِمْ عَقْدًا وَلَكِنْ تَرْجِعُ وَنَرْجِعُ وَتَنْظُرُ وَنَنْظُرُ، وَكَأَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي الْكَلَامِ الْمُثَنَّىٰ بْنُ حَارِثَةَ فَقَالَ: وَهَذَا الْمُثَنَّىٰ شَيْخُنَا وَصَاحِبُ حَرْبِنَا فَقَالَ الْمُثَنَّىٰ: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ وَاسْتَحْسَنْتُ قَوْلَكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ وَأَعْجَبَنِي مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ ، وَالْجَوَابُ هُوَ جَوَابُ هَانِئِ بْنِ قَبِيصَةَ ، إِنَّمَا نَزَلْنَا بَيْنَ صِيرَيْنِ أَحَدُهُمَا الْيَمَامَةُ وَالْأُخْرَىٰ السَّمَاوَةُ ، وَإِنَّمَا نَزَلْنَا عَلَىٰ عَهْدٍ أَخَذَهُ عَلَيْنَا كِسْرَىٰ أَنْ لَا نُحْدِثَ حَدَثًا وَلَا نُؤْوِيَ مُحْدِثًا ، وَلَعَلَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ تَكْرَهُهُ الْمُلُوكُ ، فَأَمَّا مَا كَانَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ الْعَرَبِ فَذَنْبٌ صَاحِبُهُ مَغْفُورٌ ، وَعُذْرُهُ مَقْبُولٌ ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ فَارِسَ فَذَنْبٌ صَاحِبُهُ غَيْرُ مَغْفُورٍ وَعُذْرُهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ نَنْصُرَكَ مِمَّا يَلِي الْعَرَبَ فَعَلْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا أَسَأْتُمُ الرَّدَّ إِذْ أَفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ إِنَّهُ لَا يَقُومُ بِدِينِ الله إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ) ، ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَابِضًا عَلَىٰ يَدِ أَبِي

بَكْرٍ ، ثُمَّ دَفَعْنَا إِلَىٰ مَجْلِسِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فَمَا نَهَضْنَا حَتَّىٰ بَايَعُوا رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، قَالَ عَلِيٌّ: وَكَانُوا صُدُقًا صُبُرًا رِضْوَانُ الله عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ).

والحديث حسنه الحافظ في الفتح(٧/ ٢٢٠).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ : (هذا حديث غريب جدا كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب ، وقد ورد هذا من طريق أخرىٰ)اهـ[١]

وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة(٦٤٥٧)

وجاء في مسند أحمد(٣/ ٣٢٢) ، وعند أبي داود(٤٧٣٤) ، والترمذي(٢٩٢٥) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يعرض نفسه علىٰ الناس في الموقف ويقول: (هل من رجل يحملني ؛ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي) ، والحديث قال الهيثمي في المجمع(٦/ ٣٥): رواه أحمد ورجاله ثقات.

---

(١) البداية والنهاية(٣/ ١٧٨)

وجاء من حديث ربيعة بن عباد الديلي: وكان جاهليا أسلم قال: (رأيت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: "يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحدا يقول شيئا، وهو لا يسكت يقول: "يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"، إلا أن وراءه رجلا أحول وضيء الوجه ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب، فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد بن عبدالله، وهو يذكر النبوة. قلت: ومن هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه أبو لهب. قلت: (يعني ابن أبي الزناد إنك كنت يومئذ صغيرًا؟ قال: لا والله، إني يومئذ لأعقل).

وفي رواية : (قال: إني لمع أبي، رجل شاب أنظر إلىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول وضيء ذو جمة، يقف رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ علىٰ القبيلة و يقول:(يا بني فلان، إني رسول الله إليكم آمركم، أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تصدقوني حتىٰ أنفذ عن الله ما بعثني به).

فإذا فرغ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان، إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزىٰ، وحلفاءكم من الجن بني مالك بن

أقيش إلىٰ ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له، ولا تتبعوه. فقلت لأبي من هذا؟ قال: عمه أبو لهب). [١]

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٣/ ٤٩١-٤٩٢)، (٤/ ٣٤١)، وسنده حسن

١٣٩- فَكَانَ مِنْهَا عَرْضُ ذِي الْهَمْدَانِي ** حَدِيثُهُ فِي مُسْنَدِ الشَّيْبَانِي

١٤٠- ثُمَّ تَلَتْهُ بَيْعَةُ الْأَنْصَارِ ** يَحْمُونَهُ مِنْ سَطْوَةِ الْكُفَّارِ

الشَّرْحُ

(فكان منها عرض ذي الهمداني): أشار الناظم حفظه الله إلىٰ حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند أبي داود(٤٧٣٤) ، والترمذي(٢٩٢٥) ، وأحمد(١٥١٩٢) وغيرهم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال : (هَل مِن رجُلٍ يَحمِلُني إلىٰ قَومِهِ ، فإنَّ قُرَيْشًا قد مَنعوني أن أبلِّغَ كلامَ ربِّي . فأتاهُ رجلٌ مِن هَمدانَ فقالَ : مِمَّن أنتَ ؟ فقالَ الرَّجلُ : مِن هَمْدانَ قالَ : فَهَل عندَك قومِكَ مَن مَنعَه ؟ قالَ : نعَم قالَ ثمَّ إنَّ الرَّجلَ خَشِيَ أن يُخفرَهُ قومُهُ ، فأتَىٰ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فقالَ : اتيهم ، فأخبرُهُم ، ثمَّ آتيكَ مِن عامِ قابلٍ ، قالَ : نعَم ، فانطلقَ وجاءَ وفدُ الأنصارِ في رجَبٍ).

والحديث صححه العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند(٢٦٤).

قوله(هَمْدانَ) : هي قبيلة باليمن، وهي من أكبر قبائل العرب.

وقوله(وجاءَ وَفْدُ الأنصارِ في رجَبٍ) : أي: في شهر رجب، وقبل أن يأتيه الهَمْدانيّ.

(كما أتىٰ في مسند الشيباني) : أي كما أتىٰ في مسند الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(ثم تلته بيعة الأنصار... يحمونه من سطوة الكفار) : أي بعد أن كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يعرض نفسه علىٰ القبائل ويردونه ؛ استجاب له الأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حيث قيض الله لنبيه أولئك النفر الستة من أهل المدينة وهم :أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، ورافع بن مالك ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله ، كلهم من الأنصار من الخزرج التقىٰ بهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في موسم الحج من السنة الحادية عشرة للبعثة عند العقبة ، وعرض عليهم الإسلام فاستجابوا لدعوته وأسلموا ، ثم رجعوا إلىٰ المدينة فدعوا إلىٰ الإسلام، حتىٰ لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

فلما كان العام المقبل، جاء منهم اثنا عشر رجلاً: الستة الأوائل خلا جابر بن عبد الله ، ومعهم: معاذ بن الحارث بن رفاعة، أخو عوف المتقدم، وذكوان بن عبد قيس بن خلدة ، وعبادة بن صامت بن قيس، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة، فهؤلاء عشرة من الخزرج.

واثنان من الأوس وهما: أبو الهيثم مالك بن التيهان.

وعويم بن ساعدة.

فبايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كبيعة النساء.

ولم يكن أمر بالقتال بعد.

جاء في البخاري(٣٨٩٣) ومسلم(١٧٠٩) عن عبادة بن الصامت قال:(كنتُ فيمَن حَضَرَ العَقَبةَ الأُولىٰ، وكنَّا اثنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فبايَعْنا رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ بَيعةِ النِّساءِ -وذلك قبلَ أنْ تُفترَضَ الحَربُ-: علىٰ ألَّا نُشرِكَ باللهِ شيئًا، ولا نَسرِقَ، ولا نَزنيَ، ولا نَقتُلَ أوْلادَنا، ولا نَأتيَ ببُهتانٍ نَفتَريه بيْنَ أيدينا وأرجُلِنا، ولا نَعصيَه في مَعروفٍ، فإنْ وَفَّيتُم فلكم الجنَّةُ، وإنْ غَشِيتُم مِن ذلك شيئًا فأمْرُكم إلىٰ اللهِ؛ إنْ شاء عَذَّبَكم، وإنْ شاء غَفَرَ لكم).

وكانت هذه بيعة العقبة الأولىٰ.

فلما انصرفوا إلىٰ المدينة، بعث معهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يعلم من أسلم منهم القرآن، ويدعو إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ.

فنزل علىٰ أبي أمامة أسعد بن زرارة، وكان مصعب بن عمير يؤمهم وقد جمع بهم يومًا بالأربعين نفسًا، فأسلم علىٰ يديه بشر كثير منهم: أسيد بن حضير،

وسعد بن معاذ، وأسلم بإسلامهما يومئذ جميع بني عبد الأشهل، الرجال والنساء، إلا الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر إسلامه إلىٰ يوم أحد.

وكثر الإسلام بالمدينة وظهر، ثم رجع مصعب إلىٰ مكة، ووافىٰ الموسم ذلك العام خلق كثير من الأنصار من المسلمين والمشركين، وزعيم القوم البراء بن معرور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلما كانت ليلة العقبة ـ الثلث الأول منها ـ تسلل إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، فبايعوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خفية من قومهم ومن كفار مكة، علىٰ أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم .

وكانت هذه بيعة العقبة الثانية.

وعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:(نِمنا تلكَ الليلَةَ – ليلةَ العقَبَةِ– مع قومِنا في رحالِنا ، حتَّىٰ إذا مضىٰ ثُلثُ اللَّيلِ ، خرَجنا مِن رحالِنا لميعادِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نتسلَّلُ تَسلُّلَ القَطا مُستَخفينَ ، حتَّىٰ اجتمَعنا في الشِّعبِ عندَ العَقبَةِ ، ونحنُ ثلاثةٌ وسَبعون رجُلًا ، ومعَنا امرأتانِ من نسائِنا ، نَسيبَةُ بنتُ كَعبٍ وأسماءُ بنتُ عمرِو بنِ عدِيٍّ .

فلمَّا اجتمَعنا في الشِّعبِ ننتَظِرُ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ، جاءَنا ومعَهُ العبَّاسُ بنُ عبدِ المطَّلِبِ ، وهو يومَئذٍ علَىٰ دينِ قومِهِ ، إلَّا أنَّهُ أحبَّ أن يحضُرَ أمرَ ابنَ أخيهِ ويستوثِقَ لهُ ، فلمَّا جلَس كان أوَّلَ متكَلِّمٍ ، قال : يا معشَرَ الخَزرَجِ إنَّ محمَّدًا منَّا حيثُ قد علِمتُم ، وقد منَعناهُ مِن قومِنا مِمَّنْ هو علَىٰ مثلِ رأينا فيهِ، فهو في عزَّةٍ من قومِه ومنَعَةٍ في بلدِهِ ، وإنَّهُ قد أبىٰ إلَّا الانحيازَ إليكُم واللُّحوقَ بكُم ، فإن كنتُم تَرَونَ أنَّكُم وافونَ لهُ بما دَعوتُموه إليهِ ، ومانِعوهُ ممَّن خالَفَهُ ، فأنتُم وما تحمَّلتُم من ذلكَ!! وإن كنتُم ترَون أنَّكُم مُسلِموهُ وخاذِلوهُ بعدَ الخروجِ إليكُم ، فمِنَ الآنَ فدَعوهُ فإنَّهُ في عزَّةٍ ومنعَةٍ مِن قومِهِ وبلَدِهِ...

قال كعبٌ : فقُلنا لهُ : قَد سمِعنا ما قلتَ فتكَلَّم يا رسولَ اللهِ ، فخُذ لنَفسِكَ وربِّكَ ما أحبَبتَ ، فتكلَّمَ رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ، فتلَا القُرآنَ ، ودعا إلىٰ اللهِ ، ورغَّبَ في الإسلامِ ، ثُمَّ قالَ : أبايعُكُم علَىٰ أَن تمنَعوني مِمَّا تمنعونَ منهُ نساءَكُم وأبناءكُمْ . قال كعبٌ : فأخذَ البراءُ بنُ مَعرورٍ بيدِهِ وقالَ : نعَم ، فوالَّذي بعثَكَ بالحقِّ لنمنعنَّكَ ممَّا نمنَعُ أزُرَنا ، فبايِعنا يا رسولَ اللهِ ، فنحنُ- واللهِ - أبناءُ الحروبِ ، ورِثناها كابرًا عن كابرٍ ، فاعتَرَضَ هذا القولَ -والبراءُ يكلِّمُ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - أبو الهيثَمِ بنُ التَّيهانِ فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، إن بَيننا وبينَ الرِّجالِ

-يعني اليهودَ - حبالًا وإنَّا قاطعوها ، فهل عَسيتَ إن فَعلنا ذلكَ ثمَّ أظهرَكَ اللهُ أن ترجِعَ إلىٰ قومِكَ وتدَعَنا قالَ : فتبسَّمَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم قال : بلِ الدَّمَ الدَّمَ والهدمَ الهدمَ ، أنا منكُم وأنتُم مِنِّي ، أحارِبُ مَن حاربتُم وأسالِمُ مَن سالمتُم...

وأمرَهُم رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُخرِجوا منهُم اثنَي عَشرَ نقيبًا يكونونَ علَىٰ قومِهم بما فيهِم ، فأخرجوا منهُم النُّقباءَ ، تِسعةً من الخزرَجِ وثلاثةً مِن الأَوسِ)، والحديث صحيح أخرجه أحمد(٣/ ٤٦٠) ، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه علىٰ فقه السيرة(١٤٩).

والنقباء الذين اختارهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم تلك الليلة هم: أسعد بن زرارة ، وسعد بن ربيع ، وعبد الله بن رواحة ، ورافع بن مالك ، والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو بن خنيس، وعبادة بن الصامت.

فهؤلاء تسعة من الخزرج.

ومن الأوس ثلاثة وهم : أسيد بن الحضير ، وسعد بن خيثمة ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وقيل: بل أبو الهيثم بن التيهان مكانه.[١]

(١) الفصول لابن كثير(١٠٩-١١٣)

١٤١- فَشَـــرُفَ الْأَنْصَـــارُ بِالْإِسْـــلَامِ ** حَمْـدًا لِرَبِّـي صَـاحِبِ الْإِنْعَـامِ

١٤٢- مَكَانُهَـا فِـي الشِّـعْبِ دُونَ الْعَقَبَـهْ ** حَضَـــرَهَا الْعَبَّـاسُ قَـوَىٰ طَلَبَـهْ

١٤٣- وَقَـدْ فَشَـا الْإِسْـلَامُ فِـي الْأَنْصَـارِ ** حَمْـدًا لِرَبِّـي الْوَاحِـدِ الْقَهَّـارِ

الشَّرْحُ

(فشرف الأنصار بالإسلام...حمدا لربي صاحب الإنعام) : أي : فشرف الله الأنصار بدخولهم دين الإسلام ومناصرتهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ورفعهم بهذا ، وقد كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة أن نبيا مبعوث في هذا الزمن ، ويتوعدونهم به إذا حاربوهم.

قال ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام(١/ ١٩٥) : وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ، قَالُوا: إنَّ مِمَّا دَعَانَا إلَىٰ الإسلام، مَعَ رحمة الله تعالىٰ وهُداه، لمَّا كنا نسمع من رجال يهود، كُنا أهلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ، فَإِذَا نِلْنا مِنْهُمْ بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبعث الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وإِرَم، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ .

فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ رسولَه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَجَبْنَاهُ، حِينَ دَعَانَا إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَآمَنَّا بِهِ، وَكَفَرُوا بِهِ، فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ مِنْ الْبَقَرَةِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

والحديث حسن ، وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

فرفعهم الله بإيمانهم وإيوائهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، وكان هذا من أعظم مناقبهم وفضائلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ومما جاء في فضلهم في كتاب الله قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

ومما جاء في السنة ما أخرجه البخاري(٣٨٠١) ، ومسلم(٢٥١٠) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْأَنْصَارَ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُونَ وَيَقِلُّونَ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَاعْفُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ».

وفي البخاري(٤٣٣٠) ، ومسلم(١٠٦١) من حديث عبدالله بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال : «لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، ولو سَلَكَ النَّاسُ وادِيًا وشِعْبًا، لَسَلَكْتُ وادِيَ الأَنْصَارِ وشِعْبَهَا، الأَنْصَارُ شِعَارٌ، والنَّاسُ دِثَارٌ».

وفي البخاري(١٧) ، ومسلم(٧٤)عن أنس بن مالك عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ».

وغير ذلك من الأدلة في فضلهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم.

(مكانها في الشعب دون العقبة...حضرها العباس قوىٰ طلبه) : أي: فكانت البيعة الثانية في الشعب دون العقبة ، وحضر هذه البيعة عمه العباس بن عبد المطلب وكان يومئذ علىٰ دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويستوثق له فيكون علىٰ ثقة من أمر أهل المدينة ونصرتهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما تقدم من حديث كعب.

(وقد فشا الإسلام في الأنصار... حمدا لربي الواحد القهار) : أي : انتشر الإسلام في المدينة حتىٰ لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيه رجال ونساء مسلمون.

١٤٤- فَخَـرَجَ النَّـاسُ إِلَـىٰ الْمَدِينَـهْ ** يَفِـرُّ كُـلٌّ مِـنْهُمُ وَدِينَـهْ

١٤٥- وَبَقِـيَ الرَّسُـولُ وَالصِّـدِّيقُ ** يَرْتَقِـبُ الْإِذْنَ بِـهِ حَقِيـقُ

١٤٦- بِمَكَّـةٍ أَيْضًـا عَلِـيٌّ قَـدْ بَقِـي ** رَدَّ الْأَمَانَـاتِ فَـنِعْمَ الْمُتَّقِـي

الشَّرْحُ

(فخرج الناس إلىٰ المدينة...يفر كل منهم ودينه) : أي : بعد بيعة العقبة الثانية هاجر جماعة من أصحاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من مكة إلىٰ المدينة قبل هجرة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ؛ فرارا بدينهم من بطش قريش وظلمها ، بعد أن أذن لهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ في الفصول(١١٣): (فلما تمت هذه البيعة استأذنوا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يميلوا علىٰ أهل العقبة فلم يأذن لهم في ذلك، بل أذن للمسلمين بعدها من أهل مكة في الهجرة إلىٰ المدينة، فبادر الناس إلىٰ ذلك، فكان أول من خرج إلىٰ المدينة من أهل مكة أبو سلمة بن عبد الأسد، هو وامرأته أم سلمة فاحتبست دونه ومنعت سنة من اللحاق به، وحيل بينها وبين ولدها، ثم خرجت بعد السنة بولدها إلىٰ المدينة، وشيعها عثمان بن طلحة، ويقال: إن أبا سلمة هاجر قبل العقبة الأخيرة، فالله أعلم)اهـ

فذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أول من هاجر من مكة إلىٰ المدينة أبو سلمة وامرأته أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعا.

وفي البخاري(٤٩٤١) عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : (أَوَّلُ مَن قَدِمَ عَلَيْنَا مِن أصْحَابِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ، وابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا القُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ، وبِلَالٌ، وسَعْدٌ ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ في عِشْرِينَ ثُمَّ جَاءَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَما رَأَيْتُ أهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بشيءٍ، فَرَحَهُمْ به حتَّىٰ رَأَيْتُ الوَلَائِدَ والصِّبْيَانَ، يقولونَ: هذا رَسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدْ جَاءَ).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح عند شرح حديث البراء :(أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم ...

قد تقدم في أول الهجرة أن أول من قدم المدينة من المهاجرين عامر بن ربيعة ومعه امرأته أم عبد الله بنت أبي حثمة وأبوسلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة وأبوحذيفة بن عتبة بن ربيعة وشماس بن عثمان بن الشريد وعبدالله بن جحش، فيجمع بينه وبين حديث البراء بحمل الأولية في أحدهما علىٰ صفة خاصة فقد جزم ابن عقبة بأن أول من قدم المدينة من المهاجرين مطلقا أبو سلمة بن عبد

الأسد وكان رجع من الحبشة إلىٰ مكة فأوذي بمكة فبلغه ما وقع للاثني عشر من الأنصار في العقبة الأولىٰ فتوجه إلىٰ المدينة في أثناء السنة، فيجمع بين ذلك وبين ما وقع هنا بأن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة بل فرارا من المشركين بخلاف مصعب بن عمير فإنه خرج إليها للإقامة بها وتعليم من أسلم من أهلها بأمر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فلكل أولية من جهة)اهـ

وقصة أبي سلمة التي أشار إليها الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكرها ابن هشام في سيرته(١/ ٤٦٩-٤٧٠): (قال ابن إسحاق: فَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ابْن أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، قَالَتْ: لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ رَحَلَ لِي بَعِيرَهُ ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ، وَحَمَلَ مَعِي ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ قَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبْتَنَا عَلَيْهَا، أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَكَ هَذِهِ؟ عَلَامَ نَتْرُكُكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ؟ قَالَتْ: فَنَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذُونِي مِنْهُ. قَالَتْ: وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ، فَقَالُوا: لَا وَاَللهِ، لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا إِذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا.

قَالَتْ: فَتَجَاذَبُوا بَنِي سَلِمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّىٰ خَلَعُوا يَدَهُ، وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ، وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ. قَالَتْ: فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي.

قَالَتْ: فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطُحِ، فَمَا أَزَالُ أَبْكِي، حَتَّىٰ أَمْسَىٰ سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا حَتَّىٰ مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي، أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ، فَرَأَىٰ مَا بِي فَرَحِمَنِي فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ: أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةَ، فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا! قَالَتْ: فَقَالُوا لِي: الْحَقِي بِزَوْجِكَ إِنْ شِئْتِ. قَالَتْ: وَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إِلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي. قَالَتْ: فَارْتَحَلْتُ بَعِيرِي ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي، ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ: وَمَا مَعِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَتَبَلَّغُ بِمَنْ لَقِيتُ حَتَّىٰ أَقْدَمَ عَلَيَّ زَوْجِي، حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَقَالَ لِي: إِلَىٰ أَيْنَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَ:

أَوَمَا مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا وَاللهِ، إِلَّا اللهَ وَبُنَيَّ هَذَا. قَالَ: وَاللهِ مَا لَكَ مِنْ مَتْرَكٍ، فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ، فَانْطَلَقَ مَعِي يهوي بي، فو الله مَا صَحِبْتُ رَجُلًا مِنْ الْعَرَبِ قَطُّ، أَرَىٰ أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ، كَانَ إِذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي،

حَتَّىٰ إِذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي، فَحَطَّ عَنْهُ، ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرَةِ، ثُمَّ تَنَحَّىٰ (عَنِّي) إِلَىٰ شَجَرَةٍ، فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا، فَإِذَا دَنَا الرَّوَاحُ، قَامَ إِلَىٰ بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ فَرَحَلَهُ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي، وَقَالَ: ارْكَبِي. فَإِذَا رَكِبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَىٰ بَعِيرِي أَتَىٰ فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ، فَقَادَهُ، حَتَّىٰ يَنْزِلَ بِي. فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّىٰ أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَىٰ قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ، قَالَ: زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ- وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا- فَادْخُلِيهَا عَلَىٰ بَرَكَةِ الله، ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَىٰ مَكَّةَ.

قَالَ: فَكَانَتْ تَقُولُ: وَاَللهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ، وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ).

وهذا إسناد ضعيف؛ سلمة بن عبدالله بن عمر ، مجهول حال.

(وبقي الرسول والصديق...يرتقب الإذن به حقيق) : أي: وبقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في مكة يرتقب الإذن له بالهجرة إلىٰ المدينة ، وبقي معه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يريد الخروج مع المهاجرين ، ثم بقي ليصحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ؛ ففي البخاري(٢٢٩٧) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حديث طويل وفيه :(وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا، فَقَالَ له رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَىٰ رِسْلِكَ؛ فإنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي»، قالَ أَبُو بَكْرٍ: هلْ تَرْجُو ذلكَ بأَبِي أَنْتَ؟

قالَ: «نَعَمْ»، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ علَىٰ رَسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمُرِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ).

(بمكة أيضا علي قد بقي...رد الأمانات فنعم المتقي) : أي: أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضا بقي بمكة لرد الأمانات لأصحابها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في الفصول(١١٤): (ولم يبق بمكة من المسلمين إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو بكر وعلي رضي الله تعالىٰ عنهما أقاما بأمره لهما، وخلا من اعتقله المشركون كرهـًا)اهـ

وقوله (فنعم المتقي) : لله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان أول من آمن من الصبيان ومما ورد في السنة من فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما جاء في البخاري(٤٢١٠)، ومسلم(٢٤٠٦) عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم خيبر: (لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله علىٰ يديه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلّهم يرجو أن يعطاها فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه. فأتىٰ به فبصق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عينيه ودعا له فبرأ حتىٰ كأنّ لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الرّاية

فقال عليٌّ: يا رسول الله أقاتلهم حتىٰ يكونوا مثلنا، فقال عليه الصلاة والسلام: انفذ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلىٰ الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالىٰ فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن تكون لك حمر النّعم).

وكذا ما جاء في البخاري (٣٧٠٦) ، ومسلم(٢٤٠٤)(٣٢) عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لعلي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ :(أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ) .

وفي مسلم(٢٤٠٤)(٣١) من رواية مصعب بن سعد عن أبيه : (أنّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خرج إلىٰ تبوك واستخلف عليّـًا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فقال: أتخلفني في الصّبيان والنساء؟ قال: ألا ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ؟ غير أنه لا نبي بعدي).

وفي مسلم(٧٨) عن زر قال: قال عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: (والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إليّ أن لا يحبني إلاّ مؤمنٌ ولا يبغضني إلا منافق).

وغيرها من الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والتي تغني عن أكاذيب الرافضة وترهاتهم ، الذين هم من أجهل الناس بفضائل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفضائل آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أحداث الهجرة إلى أن وصل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة

١٤٧- وَقَدْ أَتَىٰ الْإِذْنُ بِأَنْ يُهَاجِرُوا ** فَانْطَلَقُوا حَالًا وَمَا تَأَخَّرُوا

١٤٨- وَابْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصِّدِّيقُ ** أَعَدَّ رَحْلًا إِذْ هُوَ الرَّفِيقُ

الشَّرْحُ

(أحداث الهجرة إلىٰ أن وصل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة): شرع الناظم في ذكر الأحداث من بداية الهجرة إلىٰ أن وصل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة.

(وقد أتىٰ الإذن بأن يهاجروا...فانطلقوا حالًا وما تأخروا) : أي: وقد أتىٰ الإذن من الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالهجرة إلىٰ المدينة ؛ فانطلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ نصف النهار إلىٰ أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ يخبره بذلك.

وقد ساق البخاري حديث الهجرة في صحيحه(٣٩٠٥) وفيه : تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :(..فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ : هَذَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَنِّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي ، وَالله مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ. قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ

صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ : أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ ، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ : "فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ" . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصَّحَابَةُ -أي : أريد المصاحبة- بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : نَعَمْ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ الله إِحْدَىٰ رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ . قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : بِالثَّمَنِ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَىٰ فَمِ الْجِرَابِ ، فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ...)الحديث.

وكان اختيار المدينة مهاجرا للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بوحي من الله.

فقد روىٰ البخاري(٣٣٥٢) ، ومسلم(٤٢١٧) عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال : (رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي -أي: ظني- إِلَىٰ أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ).

وفي حديث عائشة المتقدم عند البخاري قالت :(قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ : إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَّتَانِ ،

فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (والحَرَّة أرض حجارتها سود ، وهذه الرؤيا غير الرؤيا السابقة في حديث أبي موسىٰ التي تردد فيها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، قال ابن التين: كأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أُرِي دار الهجرة بصفة تجمع المدينة وغيرها، ثم أُرِي الصفة المختصة بالمدينة فتَعَيَّنَت)اهـ[1]

(وابن أبي قحافة الصديق... أعد رحلا إذ هو الرفيق) : أي أن أبابكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد جهز له ولرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ راحلتين كانتا عنده وعلفهما السمر أربعة أشهر كما في حديث عائشة المتقدم.

وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد حبس نفسه ليصحب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ويكون رفيقه في هجرته كما تقدم.

(١) الفتح(٧/ ١٨٢)

١٤٩- وَاسْتَأْجَرَ الْمُخْتَارُ مَنْ يَهْدِيهِ ** طَرِيقَ هِجْرَةٍ أَمَانٌ فِيهِ

١٥٠- فَأَجْمَعَتْ مَكْرًا قُرَيْشٌ بِالنَّبِي ** فَخَابَ مَكْرُ الْقَوْمِ سُحْقًا لِلْغَبِي

١٥١- فَانْقَلَبُوا بِأَسْوَإِ الْحَالَاتِ ** ذُرَّ التُّرَابُ فَوْقَ ذِي الْهَامَاتِ

الشَّرْحُ

(واستأجر المختار من يهديه...طريق هجرة أمان فيه) : أي : واستأجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا هاديًا خِرِّيتًا ماهرًا بالدلالة إلىٰ أرض المدينة من بني الدِّيل اسمه عبدالله بن أُريقط ، وأمناه علىٰ ذلك مع أنه كان علىٰ دين قومه.

وقد ورد هذا في حديث عائشة المتقدم عند البخاري وفيه : (وَاسْتَأْجَرَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ هَادِيًا خِرِّيتًا -وَالْخِرِّيتُ الْمَاهِرُ بِالْهِدَايَةِ- قَد غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ العَاصِ بنِ وَائِلٍ السَّهْمِي ، وَهُوَ عَلَىٰ دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ).

(قد غمس حلفا) : الحِلف -بالكسر- العهد بين القوم ، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم في دم أو طيب ، أو نحو ذلك ؛ فيكون في ذلك توكيدا للحِلف.

(فأجمعت مكرا قريشٌ بالنبي...فخاب مكر القوم سحقًا للغبي) : أي : أن قريشا أجمعت علىٰ قتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ والمكر به ؛ فخاب مكرهم وباءوا بالخيبة والفشل.

(فانقلبوا بأسوأ الحالات...ذر التراب فوق ذي الهامات) : أي : فلما اجتمعوا ووقفوا عند باب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ متربصين به لقتله عند خروجه ، انقلبوا بأسوأ حال ، وخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من بينهم وقد ذر التراب علىٰ رؤوسهم دون أن يروه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : (فلما كانت ليلة هم المشركون بالفتك برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأرصدوا علىٰ الباب أقواماً، إذا خرج عليهم قتلوه، فلما خرج عليهم لم يره منهم أحد، وقد جاء في حديث أنه ذر علىٰ رأس كل واحد منهم

ترابًا ثم خلص إلىٰ بيت أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلا)اهـ [١]

والخَوْخَة : باب صغير كالنافذة الكبيرة ، وتكون بين بيتين يُنصب عليها باب.

ويطلق علىٰ النافذة نفسها وهي التي يدخل منها الضوء إلىٰ البيت. [٢]

وقد جاء تفصيل ذلك عن ابن إسحاق في السيرة فقال : (حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم : أبو جهل بن هشام فقال: وهم علىٰ بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه علىٰ أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنات كجنات الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها .

قال : وخرج رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ، فأخذ حفنة من التراب في يده ، ثم قال : (أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم) ، وأخذ الله تعالىٰ علىٰ أبصارهم عنه ، فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب علىٰ رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس

---

(١) الفصول(١١٤)

(٢) النهاية لابن الأثير ، لسان العرب

﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس: ١-٩] حتىٰ فرغ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع علىٰ رأسه ترابـًا ، ثم انصرف إلىٰ حيث أراد أن يذهب .

فأتاهم آت فيمن لم يكن معهم ، فقال : ما تنظرون ها هنا ؟ قالوا : محمداً ، قال: خيبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع علىٰ رأسه ترابـًا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟

قال : فوضع كل رجل منهم يده علىٰ رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا علىٰ الفراش متسجيـًا ببرد رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائمـًا ، عليه برده . فلم يبرحوا كذلك حتىٰ أصبحوا فقام علي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا). أخرجه ابن هشام في السيرة(١/ ٤٨٣) ، وإسناده مرسل محمد بن كعب القرظي من التابعين.

ويزيد بن زياد مولىٰ بني مخزوم ثقة كما في تهذيب الكمال.

وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

وأخرجه الطبري في تاريخه(٢/ ٣٧٣) ، وأبو نعيم في الدلائل(٦٤).

وله شاهد من حديث ابن عباس عند أحمد(٢٧٦٢).

فالحديث حسن إن شاء الله ، والله أعلم.

١٥٢- وَانْطَلَقَا مِنْ لَيْلِهِمْ إِلَىٰ جَبَلْ ** يُدْعَىٰ بِثَوْرٍ فِيهِ غَارٌ فَنَزَلْ

١٥٣- فَجَاءَ أَهْلُ الْكُفْرِ يُسْرِعُونَا ** إِلَىٰ فَمِ الْغَارِ وَيَهْرَعُونَا

الشَّرْحُ

(وانطلقا من ليلهم إلىٰ جبل...يدعىٰ بثور فيه غار فنزل) : أي: فانطلق النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وأبوبكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ليلا إلىٰ غار في جبل ثور وبقيا فيه ثلاث ليال.

وفي حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا المتقدم : (قَالَتْ : ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ).

(فجاء أهل الكفر يسرعونا...إلىٰ فم الغار ويهرعونا): أي: فجاء المشركون مسرعين في طلبهما إلىٰ جبل ثور ، وما هناك من الأماكن، حتىٰ إنهم مروا علىٰ باب الغار، واقتربوا منهما اقترابا شديدا ، وحاذت أقدامهم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وصاحبه. (١)

(١) الفصول(١١٥)

١٥٤- فَقَالَ صِدِّيقٌ غَدَوْا عَلَيْنَا ** لَوْ نَظَرُوا أَقْدَامَهُمْ رُئِينَا

١٥٥- قَالَ الرَّسُولُ إِنَّ رَبِّي مَعَنَا ** ثَالِثُنَا وَبِالدُّعَا يَسْمَعُنَا

الشَّرْحُ

(فقال صديق غدوا علينا...لو نظروا أقدامهم رُئينا) : أي: فقال أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رأىٰ شدة اقتراب كفار قريش منهما : (يَا رَسُولَ الله، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ ؛ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ).

(قال الرسول إن ربي معنا...ثالثنا وبالدعا يسمعنا) : أي: فرد عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ مطمئنا إياه ومذكرا له بمعية الله وحفظه ، وأن الله معهما مؤيدا وناصرا ؛ فنصر الله نبيه ، وأيّده بجنود من عنده ، وعمّىٰ علىٰ المشركين باب الغار ، ويدل علىٰ هذا قول الله تعالىٰ : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٤٠].

وفي البخاري(٤٦٦٣)، ومسلم(٢٣٨١) من حديث أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ، قَالَ : نَظَرْتُ إِلَىٰ أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ

رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَىٰ قَدَمَيْهِ؛ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ. فَقَالَ :(يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ الله ثَالِثُهُمَا؟).

أما ماجاء عند أحمد(٣٢٤١) من قصة نسج العنكبوت علىٰ باب الغار من حديث عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) قَالَ : تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ لَيْلَةً بِمَكَّةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ يُرِيدُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ اقْتُلُوهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ أَخْرِجُوهُ . فَأَطْلَعَ الله عَزَّوَجَلَّ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَىٰ فِرَاشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ لَحِقَ بِالْغَارِ ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا يَحْسَبُونَهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا رَدَّ الله مَكْرَهُمْ ، فَقَالُوا : أَيْنَ صَاحِبُكَ هَذَا ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي . فَاقْتَصُّوا أَثَرَهُ ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْجَبَلَ خُلِّطَ عَلَيْهِمْ ، فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ فَمَرُّوا بِالْغَارِ ، فَرَأَوْا عَلَىٰ بَابِهِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ ، فَقَالُوا : لَوْ دَخَلَ هَاهُنَا لَمْ يَكُنْ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَىٰ بَابِهِ ، فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ) .

فقد اختلف أهل العلم في هذا الحديث ، فمنهم من حسنه ومنهم من ضعفه ، والراجح ضعفه ؛ فيه عثمان الجزري ويقال له عثمان المشاهد ، وقد ضعف الحديث الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الضعيفة.

وكذا قصة الحمامتين لاتثبت، وقد ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية(٣/ ٢٢٣)، وقال: رواها ابن عساكر ، ثم قال: هذا حديث غريب جداً من هذا الوجه.

وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في السلسلة الضعيفة(٣/ ٣٣٩) : (واعلم أنه لا يصح حديث في عنكبوت الغار ، والحمامتين علىٰ كثرة ما يذكر ذلك في بعض الكتب، والمحاضرات التي تلقىٰ بمناسبة هجرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المدينة، فكن من ذلك علىٰ علم)اهـ

١٥٦- ذَاتُ النِّطَاقِ قَدْ أَتَتْ بِالثَّمَرِ ** وَابْنُ أَبِي بَكْرٍ أَتَىٰ بِالْخَبَرِ

١٥٧- بَعْدَ ثَلَاثٍ جَهَّزُوا الرِّحَالَا ** فَانْطَلَقُوا وَقَطَعُوا الْأَمْيَالَا

الشَّرْحُ

(ذات النطاق قد أتت بالثمر...وابن أبي بكر أتىٰ بالخبر) : المراد بذات النطاق ؛ أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعن أبيها ، وسميت بذات النطاق ؛ لأنها قطعت قطعة من نطاقها فربطت به علىٰ فم الجراب كما تقدم في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فكانت أسماء تحمل لهما الزاد إلىٰ الغار، وكان عبد الله بن أبي بكر يتسمع ما يقال بمكة ثم يذهب إليهما بذلك فيحترزان منه ، وكان عامر بن فهيرة يريح عليهما غنمًا لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا.

وفي حديث عائشة المتقدم : (قَالَتْ عَائِشَةُ : فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَىٰ فَمِ الْجِرَابِ ؛ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقِ، قَالَتْ : ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ الله بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِنٌ(أي: حاذق سريع

الفهم)، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ(أي: يخرج من عندهما آخر الليل) ؛ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرْعَىٰ عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا حَتَّىٰ يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ).

(بعد ثلاث جهزوا الرحالا...فانطلقوا وقطعوا الأميالا) : أي: ولما كان بعد الثلاث أتىٰ عبدالله بن أريقط بالراحلتين فركباهما، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة وسار ابن أريقط أمامهما علىٰ راحلته كما في حديث عائشة المتقدم وفيه:(..فَأَمِنَاهُ -أي عبدالله بن أريقط الدِّيلي- فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ).

ولم يرافق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من الصحابة في هجرته إلىٰ المدينة إلا أبوبكر وعامر بن فهيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وأما عبدالله بن أريقط فلا يوجد مايدل علىٰ إسلامه وصحبته ، وقد ذكره الحافظ في الإصابة فقال : (ولم أر من ذكره في الصحابة إلا الذهبي في التجريد ، وقد جزم عبدالغني المقدسي في السيرة له بأنه لم يعرف له إسلاما ، وتبعه النووي في تهذيب الأسماء)اهـ

١٥٨- تَـبِعَهُمْ سُـرَاقَةُ بْـنُ جُعْشُـمِ ** فَتًـىٰ شَـدِيدٌ سَـارَ فِـي تَجَشُّـمِ
١٥٩- رِهَـانُهُمْ فِـي مِائَـةٍ مِـنَ الْإِبِـلْ ** لِمَـنْ أَتَـىٰ بِخَبَـرٍ عَـنِ الرَّجُـلْ
١٦٠- فَسَـاخَتِ الْخَيْـلُ فَعَـادَ تَائِبَـا ** مُـدَافِعًا عَـنِ الرَّسُـولِ صَـائِبَا

الشَّرْحُ

(تبعهم سراقة بن جعشم...فتىٰ شديد سار في تجشم) : أي: وتبع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وصاحبه سراقة بن مالك بن جعشم سيد مدلج ، حيث ركب جواده وسار في طلبهم بغية الفوز بالرهان.

(رهانهم في مائة من الإبل...لمن أتىٰ بخبر عن الرجل) : وكان الرهان مائة من الإبل لمن جاء برسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أو صاحبه.

(فساخت الخيل فعاد تائبا...مدافعا عن الرسول صائبا) : أي: فركب سراقة جواده وسار في طلبهم، فلما اقترب منهم وكاد أن يدركهم ؛ ساخت يدا فرسه في الأرض ؛ فناداهما بالأمان.

والقصة أخرجها البخاري(٣٩٠٦) عن سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : (جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَنْ قَتَلَهُ، أَوْ أَسَرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ أَقْبَلَ

رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّىٰ قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ : يَا سُرَاقَةُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً بِالسَّاحِلِ أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ. قَالَ سُرَاقَةُ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا. ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ، فَدَخَلْتُ، فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ فَرَسِي، فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّىٰ دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ، فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَىٰ كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَضُرُّهُمْ، أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ تُقَرِّبُ بِي حَتَّىٰ إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا، فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّىٰ جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ

يَرْزَآنِي ، وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ : " أَخْفِ عَنَّا ". فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَىٰ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ).

قوله(عُثَانٌ) : أي: غبار.

فسبحان الله خرج سراقة من بيته طالبا لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وصاحبه مناصرا لقريش ، ثم رجع حارسا لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وصاحبه مناصرا لهما.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في زاد المعاد(٣/ ٥٠) :(كان أول النهار جاهدا عليهما ، وآخره حارسا لهما)اهـ

خرج للفوز بشيء من حطام الدنيا ؛ ففاز بما هو خير له من الدنيا ومافيها إذ فاز بالإسلام والصحبة.

وجاء أن إسلامه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان في عام حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة النبوية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفصول(١١٦) : (وقد جاء -أي سراقة- مسلماً عام حجة الوداع ودفع إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الكتاب الذي كتبه له، فوفىٰ له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بما وعده وهو لذلك أهل)اهـ

وجاء أنه أسلم بعد غزوة الطائف سنة ثمان من الهجرة النبوية وهذا هو الصواب.

وهو الذي ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية(٣/ ١٨٥) فقال : (وذكر أنه جاء به إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهو بالجعرانة مرجعه من الطائف ، فقال له:"يوم وفاء وبر ادنه" فدنوت منه وأسلمت)اهـ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البداية والنهاية أيضا(٧/ ١٥١) : (ثم قُدِم به- أي بالكتاب - بعد غزوة الطائف ؛ فأسلم وأكرمه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ)اهـ

وهذا الذي ذكره -أيضا- الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمة سراقة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

١٦١- مَـــرَّا عَلَـــىٰ دَارٍ لِأُمِّ مَعْبَـــدِ ** فِيهَـــا مِـــنَ الْآيِ كَثِيـــرٌ فَاعْـــدُدِ

١٦٢- مِنْ حَلْبِ شَاةٍ لَيْسَ فِيهَا مِنْ لَبَنْ ** فَـــدَرَّ ضَـــرْعٌ نِعْـــمَ هَـــذِهِ الْمِـــنَنْ

١٦٣- أَنْصَارُهُ قَدْ خَرَجُوا فِي الشَّـمْسِ ** يَسْـــتَقْبِلُونَ جَـــدَّهُمْ مِـــنْ أَمْـــسِ

الشَّرْحُ

(مرَّا علىٰ دار لأم معبد...فيها من الآي كثير فاعدد) : أي: مرَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وصاحبه في مسيرهما ذلك بخيمة أم معبد فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عندها ، ورأت من آيات نبوته ما يبهر العقول.

وأم معبد : هي عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم الخزاعية ، ذكرها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في الإصابة وقد اختلف في صحبتها، وبعضهم عدها من المبايعات للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، والله أعلم بالصواب.

(من حلب شاة ليس فيها من لبن...فدر ضرع نعم هذه المنن) : أي : ومن هذه الآيات المبهرة التي رأتها أم معبد ؛ حلب شاة عجفاء لا لبن فيها ، خلَّفها الجَهد والضعف عن بقية الغنم ، حيث حلبها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فدرَّت لبنًا كثيرا في سنة قحط مجدبة.

والقصة أخرجها الحاكم في المستدرك(٣/ ٥٤٣) من حديث هشام بن حبيش أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خرجَ من مَكَّةَ مُهاجرًا إلىٰ المدينةِ، وأبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومولىٰ أبي بَكْرٍ عامرُ بنُ فُهَيْرةَ، ودَليلُهُما اللَّيثيُّ عبدُ الله بنُ أُرَيْقطٍ مرُّوا علَىٰ خَيمتَي أمِّ معبدٍ الخزاعيَّةِ، وَكانتِ امرأةً برزةً جَلدةً تَحتَبي بِفناءِ الخَيمةِ، ثمَّ تَسقي وتُطعمُ، فسألوها لَحمًا وتمرًا ليشتَروا مِنها، فلَم يُصيبوا عندَها شيئًا من ذلِكَ، وَكانَ القَومُ مُرمِلينَ مُسنِتينَ، فنظرَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ شاةٍ في كَسرِ الخيمةِ، فقالَ: ما هذِهِ الشَّاةُ يا أمَّ معبدٍ ؟ قالت: شاةٌ خلَّفَها الجَهْدُ عنِ الغَنمِ، قالَ: هل بِها من لبَنٍ ؟ قالت: هيَ أجهدُ من ذلِكَ، قالَ: أتأذَنينَ لي أن أحلبَها ؟ قالت: بأبي أنتَ وأمِّي، إن رأيتَ بِها حلبًا فاحلِبها، فدَعا بِها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمسَحَ بيدِهِ ضَرعَها، وسمَّىٰ الله تعالىٰ، ودعا لَها في شاتِها، فتفاجَّتْ عليهِ ودرَّت، فاجترَّت فدَعا بإناءٍ يربضُ الرَّهطُ فحلَبَ فيهِ ثجًّا حتَّىٰ علاهُ البَهاءُ، ثمَّ سَقاها حتَّىٰ رَوِيَت وسقىٰ أصحابَهُ حتَّىٰ رَوَوا وشربَ آخرَهُم حتَّىٰ أراضوا، ثمَّ حلَبَ فيهِ الثَّانيةَ علىٰ هدَّةٍ حتَّىٰ ملأَ الإناءَ، ثمَّ غادرَهُ عندَها، ثمَّ بايعَها وارتَحلوا عَنها، فقالَ ما لبثَت حتَّىٰ جاءَها زوجُها أبو مَعبدٍ ليسوقَ أعنُزًا عِجافًا يتساوَكْنَ هِزالًا مُخُّهنَّ قليلٌ، فلمَّا رأىٰ أبو مَعبدٍ اللَّبنَ أعجبَهُ، قالَ: مِن أينَ لَكِ هذا يا أمَّ معبدٍ والشَّاءُ عازبٌ حائلٌ، ولا حَلوبَ في البيتِ ؟ قالَت: لا

واللهِ إلَّا أنَّهُ مرَّ بنا رجلٌ مبارَكٌ من حالِهِ كذا وَكَذا، قالَ: صِفيهِ لي يا أمَّ معبدٍ، قالَت: رأيتُ رجلًا ظاهرَ الوضاءةِ، أبلجَ الوجهِ، حسَنَ الخلقِ، لم تَعِبْهُ ثَجلةٌ، ولم تُزريهِ صعلةٌ، وسيمٌ قسيمٌ، في عَينيهِ دعجٌ، وفي أشفارِهِ وطفٌ، وفي صوتِهِ صَهَلٌ، وفي عنقِهِ سَطعٌ، وفي لحيتِهِ كثاثةٌ، أزجُّ أقرَنُ، إن صمتَ فعليهِ الوقارُ، وإن تَكَلَّمَ سماهُ وعلاهُ البَهاءُ، أجملُ النَّاسِ وأبهاهُ من بعيدٍ، وأحسنُهُ وأجملُهُ من قريبٍ، حُلوُ المنطقِ فَصلًا، لا نزرٌ ولا هذرٌ، كأنَّ منطِقَهُ خرزاتُ نظمٍ، يتَحدَّرنَ ربعةٌ لا تشنأَهُ من طولٍ، ولا تَقتحمُهُ عينٌ من قِصَرٍ، غُصنٌ بينَ غُصنَينِ، فَهوَ أنضرُ الثَّلاثةِ مَنظرًا وأحسنُهُم قدرًا لَهُ رفقاءُ يحفُّونَ بِهِ، إن قالَ: سمِعوا لقولِهِ، وإن أمرَ تبادروا إلىٰ أمرِهِ، مَحفودٌ محشودٌ لا عابسٌ ولا مفنَّدٌ، قالَ أبو معبدٍ: هذا واللهِ صاحبُ قُرَيْشٍ الَّذي ذُكِرَ لَنا من أمرِهِ ما ذُكِرَ، ولقد هَممتُ أن أصحبَهُ، ولأفعلنَّ إن وجَدتُ إلىٰ ذلِكَ سبيلًا..) والحديث أخرجه -أيضا- الطبراني في الكبير(٣٦٠٥) ، وأبونعيم في دلائل النبوة(٢٨٢-٢٨٧) ، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة(١٤٣٤-١٤٣٧)

وله شاهد من حديث جابر كما عند البزار(كشف الاستار: ١٧٤٢) ، وشاهد آخر من حديث أبي معبد الخزاعي، رواه ابن سعد في الطبقات(١/ ٢٣٠-٢٣٢)

وله شاهد أيضـًا عند البيهقي في دلائل النبوة(٢/ ٤٩١)

فالحديث بمجموع طرقه يرتقي إلىٰ درجة الحسن ، والله أعلم.

ومعنىٰ: (ظاهر الوَضَاءَة) : حسن الوجه.

(أَبلَج الوجه) : مشرق الوجه.

(الثَّجلة) : عظم البطن.

(الصَّعلة) : صغر الرأس.

(الوَسِيم) : الجميل الخلقة.

(الدَّعَج) : شدة سواد العينين.

(الوطف) : طول أشفار العيون.

(الصهل) : حدَّه الصوت وصلابته.

(سَطع) : إشراف وطول.

(كثاثة) : دقة نبات شعر اللحية مع استدارة.

(أَزَجٌّ أَقرَن) : دقة شعر الحاجبين مع طول فيهما واتصال ما بينهما من شعر.

(البهاء) : حسن المظهر.

(لا نَزر ولا هَذر) : كلامه بَيِّن واضح ليس كثيراً وليس قليلاً.

(لا تَشنَؤهُ من طول) : ليس طويلاً طولاً مفرطـًا.

(ولا تَقتَحِمُهُ عَينٌ مِن قِصَر) : لا يحتقر لقصره الشديد.

(له رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِه) : يحيطون به.

(المَحفود) : المخدوم.

وهذه القصة من الأمور التي حصلت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في أثناء هجرته إلىٰ المدينة ، بالإضافة لما تقدم من قصة سراقة ، وكذلك مرورهما براعي غنم كما في البخاري(٣٩٠٨) عن البراء بن عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَمَّا أَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ المَدِينَةِ تَبِعَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَاخَتْ بِهِ فَرَسُهُ قَالَ: ادْعُ اللهَ لِي وَلاَ أَضُرُّكَ، فَدَعَا لَهُ، قَالَ: فَعَطِشَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّ بِرَاعٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَأَخَذْتُ قَدَحًا فَحَلَبْتُ فِيهِ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، فَأَتَيْتُهُ فَشَرِبَ حَتَّىٰ رَضِيتُ).

(أنصاره قد خرجوا في الشمس...يستقبلون جدهم من أمسِ) : أي: أن الأنصار قد بلغهم مخرج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من مكة وقصده إياهم ؛ فكانوا كل يوم يخرجون إلىٰ الحرة ينتظرونه ، كما في البخاري(٣٩٠٦) قال ابن شهاب: فأخبرني عروةُ بنُ الزبيرِ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لقِيَ الزبيرَ في ركبٍ من المسلمين كانوا تُجارًا قافلينَ من الشامِ ، فكسا الزبيرُ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأبا بكرٍ ثيابَ بياضٍ ، وسمع المسلمون بالمدينةِ مَخرجَ رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من مكةَ ، فكانوا يَغدونَ كلَّ غداةٍ إلىٰ الحَرَّةِ ، فينتظرونه حتىٰ يَرُدَّهم حَرُّ الظهيرةِ ، فانطلقوا أيضًا بعد ما أطالوا انتظارَهم ، فلما أووا إلىٰ بيوتِهم ، أوفَىٰ رجلٌ من اليهودِ علىٰ أَطَمٍ من آطامِهم لأمرٍ ينظرُ إليه ، فبصر برسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابِه مُبيضِينَ ، يزولُ بهم السَّرابُ ، فلم يملِكِ اليهوديُّ ، أن قال بأعلىٰ صوتِه : يا معشرَ العربِ هذا جَدُّكم - أي حظكم - الذي تنتظرونَ.

فثار المسلمون إلىٰ السِّلاحِ ، فتلقَّوا رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بظَهرِ الحَرَّةِ...)الحديث.

الأحداث التي كانت في المدينة مبدأ الهجرة

١٦٤- فِـي يَـوْمِ الِاثْنَـيْنِ رَبِيـعِ الْأَوَّلِ ** قَـدْ نَـزَلَ الْمُخْتَـارُ وَسْـطَ الْمُقَـلِ

١٦٥- وَفِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ قَدْ نَـزَلْ ** مِنْ خِيرَةِ الْأَنْصَارِ وَالْقَـوْمِ الْأُوَلْ

١٦٦- عَشْـرٌ مِـنَ الْأَيَّـامِ كَـانَ فِيهَـا ** وَزِدْ عَلَيْهَـا أَرْبَعًـا تَالِيهَـا

١٦٧- وَأَسَّـسَ الْمَسْـجِدَ فِـي قُبَـاءِ ** يَـا رَبَّنَـا حَمْـدًا عَلَـىٰ النَّعْمَـاءِ

الشَّرْحُ

(الأحداث التي كانت في المدينة مبدأ الهجرة) : شرع الناظم حفظه الله تعالىٰ في ذكر الأحداث التي كانت في المدينة ، وبداية استقرار النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فيها.

(في يوم الاثنين ربيع الأول ... قد نزل المختار وسط المقل) : ويدل علىٰ هذا الحديث المتقدم عند البخاري وفيه :(فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ السِّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّىٰ نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ..)الحديث.

(وفي بني عمرو بن عوف قد نزل ... من خيرة الأنصار والقوم الأول): أي : أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أول ما قدِم نزل بقباء علىٰ بني عمرو بن عوف، كما في البخاري(٣٩٣٢) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ المَدِينَةَ، نَزَلَ فِي عُلْوِ المَدِينَةِ، فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: فَأَقَامَ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً)الحديث.

وجاء أنه نزل علىٰ كلثوم بن الهِدْم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ، وهو من بني عمرو بن عوف.

وقيل : نزل علىٰ سعد بن خيثمة.

والأول هو المشهور ، قال ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام(١/ ٤٢) : (فنزل علىٰ أبي قيس كلثوم بن الهِدم بن امرئ القيس أحد بني عمرو بن عوف، فأقام عنده أربعة أيام.

وقيل : بل كان نزوله في بني عمرو بن عوف علىٰ سعد بن خيثمة، والأول أكثر)اهـ

(عشر من الأيام كان فيها ... وزد عليها أربعا تاليها) : أي : ومكث في قباء في بني عمرو بن عوف أربعة عشر يومًا كما تقدم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند البخاري.

وقيل : إنه بقي بقباء أربعة أيام يوم الاثنين الذي وصل فيه، ويوم الثلاثاء، والأربعاء، والخميس ، ثم ارتحل عليه الصلاة والسلام من قباء إلىٰ المدينة ؛ فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف ، وهي أول جمعة صلاها وأول خطبة خطبها في الإسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية والنهاية(٣/ ٢٠٩) : (والأشهر ما ذكره ابن إسحاق وغيره أنه عليه السلام أقام فيهم بقباء من يوم الاثنين إلىٰ يوم الجمعة)اهـ

والصحيح أنه مكث في قباء في بني عمرو بن عوف أربعة عشر يوما لورود ذلك في صحيح البخاري كما تقدم.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية(٣/ ١٩٠): (والظاهر أن بين خروجه عليه الصلاة والسلام من مكة ودخوله المدينة خمسة عشر يومًا..)اهـ

(وأسس المسجد في قباء ... ياربنا حمدا علىٰ النعماء): أي : وفي هذه المدة التي مكثها في قباء بنىٰ مسجد قباء كما عند البخاري في الحديث المتقدم وفيه: (فَلَبِثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ، وَصَلَّىٰ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ).

وهو أول مسجد أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ بعد النبوة ، قال الله تعالىٰ: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨].

وقد ثبت في صحيح مسلم(١٣٩٨) عن أَبِي سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: مَرَّ بِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ سَمِعْتَ أَبَاكَ يَذْكُرُ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ؟ قَالَ: قَالَ أَبِي: دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا» لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبَاكَ هَكَذَا يَذْكُرُهُ.

قال الحافظ في الفتح(٣٩٠٨) : (والحق أن كلا منهما أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ .

وقوله تعالىٰ في بقية الآية ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ يؤيد كون المراد مسجد قباء ، وعند أبي داود بإسناد صحيح عن أبي هريرة عَنْ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: (نَزَلَتْ ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ فِي أَهْلِ قُبَاءَ).

وعلىٰ هذا فالسر في جوابه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأن المسجد الذي أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ مسجده ؛ رفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء والله أعلم)اهـ

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في زاد المعاد(٣/ ٥٢):(وأُسِّسَ مسجد قباء، وهو أوّل مسجد أُسِّسَ بعد النبوة)اهـ

وقوله (في قباءٍ) : بكسر آخره علىٰ أنه منصرف ، وقباء يجوز فيه الصرف وعدمه، والمختار أنه مذكر منصرف كما في تهذيب الأسماء واللغات للنووي(٤/ ١٠٨).

وقباءٌ : قرية علىٰ بُعدِ ميلين أو ثلاثة من المدينة، والآن صارت حيًّا من أحياء المدينة ، يقع جنوبي المدينة.

١٦٨- وَمَوْلِدٌ لِابْنِ الزُّبَيْرِ قَدْ حَصَلَ ** أَوَّلُ مَوْلُودٍ لِمَنْ كَانَ انْتَقَلْ

١٦٩- ثُمَّ مَضَىٰ فِي جُمْلَةِ الْأَنْصَارِ ** حَتَّىٰ أَتَىٰ عَلَىٰ بَنِي النَّجَّارِ

١٧٠- تَمْضِي بِهِ نَاقَتُهُ الْمَأْمُورُهْ ** عِنَايَةُ الْبَارِي بِهِ مَشْهُورَهْ

١٧١- وَنَزَلَ الْمُخْتَارُ دَارَ الْخَالِ ** عِنْدَ أَبِي أَيُّوبَ ذِي الْوِصَالِ

١٧٢- مَدِينَةُ الرَّسُولِ قَدَ عَلَاهَا ** نُورٌ بِمَقْدَمِ الَّذِي أَتَاهَا

الشَّرْحُ

(ومولد لابن الزبير قد حصل ... أول مولود لمن كان انتقل) : ويدل علىٰ هذا حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند مسلم(٢١٤٦) أَنَّهَا حَمَلَتْ بعَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ بمَكَّةَ قالَتْ: فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ، فأتَيْتُ المَدِينَةَ فَنَزَلْتُ بقُبَاءٍ فَوَلَدْتُهُ بقُبَاءٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَهُ في حَجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ تَفَلَ في فِيهِ، فَكانَ أَوَّلَ شيءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رِيقُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ حَنَّكَهُ بالتَّمْرَةِ، ثُمَّ دَعَا له وَبَرَّكَ عليه، وَكانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ في الإسْلَامِ.

وفي روايةٍ : أَنَّهَا هَاجَرَتْ إلىٰ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهي حُبْلَىٰ بعَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ.

(ثم مضىٰ في جملة الأنصار ... حتىٰ أتىٰ علىٰ بني النجار) : أي: ثم مضىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في ديار الأنصار في المدينة ، وكان الأنصار قد تنازعوا كلهم يريد أن ينزل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عنده فاختار الله عَزَّوَجَلَّ دار بني النَّجَّار أخوال جدّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عبد المطلب ، وذلك أن هاشم والد عبد المطلب تزوج بامرأة منهم يقال لها سلمىٰ.

وفي البخاري(٤٠) ومسلم(٣٩٩) عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَىٰ أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ وَأَنَّهُ صَلَّىٰ قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا..)الحديث.

وفي مسلم(٢٠٠٩) من حَدِيثِ الْبَرَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وفيه :(...فَتَنَازَعُوا أَيُّهُمْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَنْزِلُ عَلَىٰ بَنِي النَّجَّارِ، أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ» ؛ فَصَعِدَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَوْقَ الْبُيُوتِ، وَتَفَرَّقَ الْغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ : يَا مُحَمَّدُ، يَا رَسُولَ الله، يَا مُحَمَّدُ، يَا رَسُولَ الله).

فنزل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عند بني النجار إكراما لهم.

وفي اختيار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لدار بني النَّجَّار أن ينزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عندهم منقبة لهم ؛ فكانت دارهم خير دور الأنصار.

ففي البخاري(٣٧٩١) ، ومسلم(١٣٩٢) عن أَبِي حُمَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (إِنَّ خَيْرَ دُورِ الأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي الحَارِثِ، ثُمَّ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ).

(تمضي به ناقته المأموره ... عناية الباري به مشهوره) : أي: ومضت بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ناقته مأمورة من الله سبحانه ؛ فمرَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ دور الأنصار وبيوتهم ؛ حيث مرَّ علىٰ بني عبد الأشهل ، وبني الحارث ، وبني ساعدة ، وغيرها من دور الأنصار وبيوتهم ، ولكنه لم ينزل عند أحد منهم ، وإنما نزل حيث بركت ناقته عند بني النَّجَّار.

(ونزل المختار دار الخال ... عند أبي أيوب ذي الوصال): أي: فنزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في دار بني النجار، فحمل أبو أيوب خالد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَحْل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ منزله ، وكان أبو أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من بني النجار ، وكانت داره أقرب الدور إلىٰ المسجد النبوي ؛ فأقام النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عنده مدة من الزمن ، جاء أنها سبعة أشهر حتىٰ بُنِيَ المسجد النبوي.

وفي البخاري(٣٩١١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيه :فَرَكِبَ نَبِيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَحَفُّوا دُونَهُمَا بِالسِّلاَحِ، فَقِيلَ فِي المَدِينَةِ: جَاءَ نَبِيُّ الله، جَاءَ نَبِيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ: جَاءَ نَبِيُّ الله، جَاءَ نَبِيُّ الله، فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّىٰ نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ، فَإِنَّهُ لَيُحَدِّثُ أَهْلَهُ إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ الله بْنُ سَلاَمٍ، وَهُوَ فِي نَخْلٍ لِأَهْلِهِ، يَخْتَرِفُ لَهُمْ، فَعَجِلَ أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا، فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَقَالَ نَبِيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ) ، فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ الله، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ: (فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا ، قَالَ: قُومَا عَلَىٰ بَرَكَةِ الله).

وفي مسلم(٢٠٥٣) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السُّفْلِ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعِلْوِ، قَالَ: فَانْتَبَهَ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً، فَقَالَ: نَمْشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبٍ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السُّفْلُ أَرْفَقُ، فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُلُوِّ، وَأَبُو أَيُّوبَ فِي

السُّفْلِ، فَكَانَ يَصْنَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ فَيَتَتَبَّعُ مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ، فَلَمَّا رُدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ يَأْكُلْ، فَفَزِعَ وَصَعِدَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَحَرَامٌ هُوَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ، قَالَ: فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا تَكْرَهُ أَوْ مَا كَرِهْتَ ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَىٰ) .

قوله (وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُؤْتَىٰ) : أي يأتيه الوحي.

وفي نزول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ دار أبي أيوب الأنصاري منقبة وفضل عظيم له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، والله يؤتي فضله من يشاء.

(مدينة الرسول قد علاها ... نور بمقدم الذي أتاها) : فاستنارت المدينة بمقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حتىٰ أضاء منها كل شيء ، ففي سنن الترمذي(٣٦١٨) وغيره عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (لمَّا كانَ اليومُ الَّذي دخلَ فيهِ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينةَ أضاءَ منْها كلُّ شيءٍ، فلمَّا كانَ اليومُ الَّذي ماتَ فيهِ أظلمَ منْها كلُّ شيءٍ..)الحديث.

وكان اسمها في الجاهلية(يثرب) ففي البخاري(٣٦٢٢) ، ومسلم(٢٢٧٢) عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأشعري عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي

أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَىٰ أَنَّهَا اليَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ).

وبعد هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صار اسمها المدينة ، قال تعالىٰ : ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:١٢٠].

وفي البخاري(١٨٧١) ، ومسلم(١٣٨٢) عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَىٰ ، يَقُولُونَ يَثْرِبُ ، وَهِيَ المَدِينَةُ).

وسمَّاها الله طابة ؛ ففي مسلم(١٣٨٥) من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول :(إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَمَّىٰ المَدِينَةَ طَابَةَ).

وفي مسلم(٢٩٤٢) من حديث فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصة الجساسة وفيه: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :(هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ).

فهي المدينة وهي طابة وهي طيبة.

١٧٣- وَاخْتَارَ أَرْضًا لِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ ** فَحَبَّذَا الْمَكَانُ لِلتَّهَجُّدِ

١٧٤- تَعَاوَنَ الْأَخْيَارُ فِي الْبِنَاءِ ** حَتَّىٰ اسْتَوَىٰ الصَّرْحُ عَلَىٰ الْبَيْدَاءِ

الشَّرْحُ

(واختار أرضًا لبناء المسجد ... فحبذا المكان للتهجد) : أي: واشترىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أرضا في المدينة لبناء مسجده ، وكان مربداً لغلامين يتيمين اسمهما سُهَيل وسَهْل ، كما في البخاري(٣٩٠٦) عن ابن شهاب عن عروة وفيه: (ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّىٰ بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ ؛ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ : (هَذَا إِنْ شَاءَ الله الْمَنْزِلُ) . ثُمَّ دَعَا رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الْغُلَامَيْنِ، فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالَا : لَا، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ الله. فَأَبَىٰ رَسُولُ الله أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّىٰ ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ، وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ : " هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ " وَيَقُولُ : " اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَهْ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ " فَتَمَثَّلَ بِشِعْرِ رَجُلٍ مِنَ

الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شِعْرٍ تَامٍّ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ.

والمِرْبَد : الموضع الذي يُجْعَل فيه التمر لينشف، كالبيدر للحنطة. (١)

وفي البخاري(٣٩٣٢) ، ومسلم(٥٢٤) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ آخر: (قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ مَلَإٍ بَنِي النَّجَّارِ، فَجَاءُوا، فَقَالَ: (يَا بَنِي النَّجَّارِ، ثَامِنُونِي حَائِطَكُمْ هَذَا). فَقَالُوا : لَا وَاللهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَىٰ اللهِ. قَالَ : (فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ كَانَتْ فِيهِ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَتْ فِيهِ خِرَبٌ، وَكَانَ فِيهِ نَخْلٌ). فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالْخِرَبِ فَسُوِّيَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، قَالَ : فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ، قَالَ : وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ حِجَارَةً، قَالَ : قَالَ : جَعَلُوا يَنْقُلُونَ ذَاكَ الصَّخْرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُمْ يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ فَانْصُرِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ).

وقوله (فحبذا المكان للتهجد) : أي: للصلاة والعبادة.

---

(١) النهاية لابن الأثير

(تعاون الأخيار في البناء... حتىٰ استوىٰ الصرح علىٰ البيداء) : أي: تعاون النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ، وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في بناء المسجد النبوي ، وكان بناء المسجد باللبن ، وسقفه من جريد النخل ، وعمده الخشب.

وكان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يرتجزون ومعهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وهم ينقلون الحجارة ، يقولون : اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فانصر الأنصار والمهاجرة ، كما في الحديث المتقدم.

وكان عمار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رجلا قويًا ، فكان يحمل لبنتين لبنتين ، والصحابة يحملون لبنة لبنة.

كما في البخاري(٤٤٧) عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَلِابْنِهِ عَلِيٍّ: انْطَلِقَا إِلَىٰ أَبِي سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ يُصْلِحُهُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَاحْتَبَىٰ، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّىٰ أَتَىٰ ذِكْرُ بِنَاءِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَىٰ النَّارِ».

قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ.

وقوله (حتىٰ استوىٰ الصرح علىٰ البيداء) : أي: حتىٰ استوىٰ المسجد علىٰ الأرض واكتمل بناؤه.

١٧٥- أُخُــوَّةُ الْأَنْصَــارِ مَــعْ مُهَــاجِرَهْ ** فَـتْحٌ عَظِـيمٌ فِـي الـدُّنَا وَالْآخِـرَهْ

١٧٦- وَالصُّلْحُ أَيْضًا مَعْ يَهُودَ قَدْ حَصَلْ ** لِصَــدِّ شَــرٍّ بِــالْبِلَادِ لَــوْ نَــزَلْ

الشَّرْحُ

(أخوة الأنصار مع مهاجره ... فتح عظيم في الدنا والآخره): أي : أن مؤاخاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لأصحابه بعد أن استقر في المدينة كانت من الفتح المبين والخير العظيم ، حيث آخىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار ؛ فكانوا يتوارثون بهذا الإخاء في ابتداء الإسلام إرثا مقدما علىٰ القرابة، وكان في هذا التآخي ذهاب وحشة الغربة عن المهاجرين ، ليتسلوا بذلك ويتأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد بعضهم أزر بعض.

وكان الأنصار علىٰ مستوىً عالٍ من الإيثار والنصرة لإخوانهم ؛ ففي البخاري(٣٧٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَتِ الْأَنْصَارُ : اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ النَّخْلَ. قَالَ : لَا، قَالَ : يَكْفُونَنَا الْمَئُونَةَ، وَيُشْرِكُونَنَا فِي التَّمْرِ. قَالُوا : سَمِعْنَا، وَأَطَعْنَا.

وفي البخاري(٣٧٨١)، ومسلم(١٤٢٧) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ : قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَآخَىٰ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ

الرَّبِيعِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، فَقَالَ سَعْدٌ : قَدْ عَلِمَتِ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ، وَلِيَ امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا حَتَّىٰ إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : بَارَكَ الله لَكَ فِي أَهْلِكَ. فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّىٰ أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّىٰ جَاءَ رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (مَهْيَمْ؟). قَالَ : تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ : (مَا سُقْتَ فِيهَا ؟) قَالَ : وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ :(أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ).

واختُلف في ابتداء المؤاخاة ؛ فقيل : بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل : بتسعة أشهر ، وقيل : وهو يبني المسجد ، وقيل : قبل بنائه ، وقيل : غير ذلك.

والمؤكد أن ابتداء المؤاخاة كان أوائل قدوم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ المدينة ، واستمر يجددها بحسب من يدخل في الإسلام أو يحضر إلىٰ المدينة. (١)

(١) الفتح للحافظ(٣٩٣٧)

واستمرت المؤاخاة إلىٰ غزوة بدر قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (آخىٰ بينهم علىٰ المواساة يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلىٰ حين وقعة بدر)اهـ[1]

ثم نسخت المؤاخاة بالميراث بقوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٦] .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثم آخىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلا نصفهم من المهاجرين ، ونصفهم من الأنصار ، آخىٰ بينهم علىٰ المواساة ، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام إلىٰ حين وقعة بدر ، فلما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ رد التوارث إلىٰ الرحم دون عقد الأخوة)اهـ

وجاء في كتب السير أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ آخىٰ بين أصحابه مرتين ، الأولىٰ في مكة بين المهاجرين خاصة علىٰ المواساة والمناصرة ؛ فكان من ذلك

---

(١) زاد المعاد(٣/ ٥٦)

أخوة زيد بن حارثة وحمزة بن عبد المطلب ، ثم آخىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ بين المهاجرين والأنصار بعد قدومه المدينة وهذا ثابت في الصحيحين. (١)

(والصلح أيضا مع يهود قد حصل...لصد شر بالبلاد لو نزل) : أي : وأبرم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ الصلح مع اليهود الذين كانوا في المدينة ، وعقد معهم معاهدة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ووادع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مَن بالمدينة مِن اليهود، وكتب بينه وبينهم كتابًا..)اهـ (٢)

ومن أهم بنود هذه المعاهدة كما جاء في كتب السير:

١- أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، كذلك لغير بني عوف من اليهود.

٢- أن علىٰ اليهود نفقتهم، وعلىٰ المسلمين نفقتهم.

٣- أن بينهم النصر علىٰ من حارب أهل هذه الصحيفة.

---

(١) الفتح للحافظ(١٩٦٨)

(٢) زاد المعاد(٣/ ٥٨)

٤- أن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.

٥- أنه لم يأثم امرؤ بحليفه.

٦- أن النصر للمظلوم.

٧- أن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٨- أن المدينة حرام جوفها لأجل هذه الصحيفة.

٩- أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلىٰ الله عزوجل، وإلىٰ محمد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ.

١٠- أنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

١١- أن بينهم النصر علىٰ من دهم المدينة ، وعلىٰ كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

١٢- أنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم. (١)

(١) السيرة لابن هشام(١/ ٥٠٣-٥٠٤)

١٧٧- وَشُـــــرِعَ الْأَذَانُ لِلْإِعْـــــلَامِ ** شَـعِيرَةٌ عُظْمَـىٰ بِـذِي الْإِسْـلَامِ

١٧٨- حَدِيثُـهُ يُـرْوَىٰ عَـنِ ابْـنِ زَيْـدِ ** حَمْـدًا لِرَبِّـي الْوَاحِـدِ الْمَجِيـدِ

الشَّرْحُ

(وشرع الأذان للإعلامِ... شعيرة عظمىٰ بذي الإسلامِ) : أي : وشرع الأذان للإعلام بدخول وقت الصلاة ، وهو شعيرة من شعائر هذا الدين ، وخاصية من خصائص هذه الأمة.

وقد شرع في المدينة علىٰ إثر رؤيا لأحد الصحابة وهو عبدالله بن زيد بن عبدربه الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(حديثه يُروىٰ عن ابن زيدِ) : أي : أن حديث الأذان يروىٰ عن عبدالله بن زيد بن عبدربه الخزرجي الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهو عند أبي داود(٤٩٩) ، والترمذي(١٨٩) ، وابن ماجه(٧٠٦) أنه قال : (لَمَّا أمَرَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناقوسِ يُعمَلُ ليَضرِبَ به للناسِ لجمعِ الصلاةِ طاف بي وأنا نائمٌ رجُلٌ يحمِلُ ناقوسًا في يدِه، فقلتُ: يا عبدَ اللهِ أَتبيعُ الناقوسَ؟ قال: وما تصنَعُ به؟ فقلتُ: نَدْعو به إلىٰ الصلاةِ، قال: أفَلَا أدُلُّكَ علىٰ ما هو خَيرٌ مِن ذلك؟ فقلتُ له: بلىٰ، قال: فقال: تقولُ: اللهُ أكبَرُ، اللهُ أكبَرُ، اللهُ أكبَرُ، اللهُ أكبَرُ،

أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، أشهَدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، أشهَدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، حَيَّ علىٰ الصلاةِ، حَيَّ علىٰ الصلاةِ، حَيَّ علىٰ الفلاحِ، حَيَّ علىٰ الفلاحِ، اللهُ أكبَرُ، اللهُ أكبَرُ، لا إلهَ إلَّا اللهُ. قال: ثمَّ استأخَرَ عنِّي غيرَ بعيدٍ، ثمَّ قال: وتقولُ إذا أقَمتَ الصلاةَ: اللهُ أكبَرُ، اللهُ أكبَرُ، أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، أشهَدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، حَيَّ علىٰ الصلاةِ، حَيَّ علىٰ الفلاحِ، قد قامَتِ الصلاةُ، قد قامَتِ الصلاةُ، اللهُ أكبَرُ، اللهُ أكبَرُ، لا إلهَ إلَّا اللهُ، فلمَّا أصبَحتُ، أتَيتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبَرْتُه، بما رأَيتُ فقال: إنَّها لرُؤْيا حَقٍّ إنْ شاء اللهُ، فقُمْ مع بلالٍ فأَلْقِ عليه ما رأَيتَ، فلْيُؤذِّنْ به، فإنَّه أَنْدىٰ صوتًا منكَ، فقُمتُ مع بلالٍ، فجعَلتُ أُلقِيه عليه، ويؤذِّنُ به، قال: فسمِعَ ذلك عُمَرُ بنُ الخطابِ، وهو في بيتِه، فخرج يجُرُّ رِداءَه، ويقولُ: والذي بعَثَكَ بالحقِّ يا رسولَ اللهِ، لقد رأَيتُ مِثلَ ما رأَىٰ، فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فللهِ الحمدُ).

والحديث صحيح ، وقد صححه العلّامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في تمام المنة(ص١٤٥).

(حمدا لربي الواحد المجيد) : أي: حمدًا لله علىٰ هذه الشعيرة العظيمة التي اختص الله بها هذه الأمة.

والواحد والمجيد من أسماء الله الحسنىٰ.

ودليل الواحد قوله تعالىٰ : ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦].

ودليل المجيد قوله تعالىٰ : ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود:٧٣].

الأحداث والغزوات بعد استقراره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة

١٧٩- وَكَـــانَ إِذْنُ اللهِ بِالْقِتَـــالِ ** لِصَـدِّ بَغْـيِ الْمُعْتَـدِي الصَّـوَّالِ

١٨٠- ثُـــمَّ تَـــلَاهُ فَـــرْضُ ذَا الْجِهَـــادِ ** لِنَشْـــرِ دِيـــنِ اللهِ فِـــي الْـــبِلَادِ

١٨١- أَوَّلُ غَـــزْوٍ كَـــانَ لِلْأَبْـــوَاءِ ** ثُـــمَّ بُـــوَاطٍ دُونَمَـــا امْتِـــرَاءِ

١٨٢- تَلَتْـــهُ غَـــزْوَةٌ هِـــيَ الْعُشَـــيْرَهْ ** وَرُبَّمَـــا قِيـــلَ لَهَـــا الْعُسَـــيْرَهْ

١٨٣- صَبْرٌ مِنَ الصَّحْبِ الْكِرَامِ الْبَرَرَهْ ** يَبْغُـونَ فَضْـلًا فِي الـدُّنَا وَالْآخِـرَهْ

الشَّرْحُ

(الأحداث والغزوات بعد استقراره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة) : **الأحداث** : جمع حدث ، وهو الأمر الحادث.

والغزوات : جمع غزوة ، والغزوة : هي التي يكون فيها خروج الأمير نفسه مع المقاتلين.

وهنا يشرع الناظم حفظه الله في ذكر الأحداث والغزوات التي كانت بعد استقرار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في المدينة.

(وكان إذن الله بالقتال ... لصدّ بغي المعتدي الصوال): لما استقر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة ، وأيده الله بنصره بعباده المؤمنين الأنصار ، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم ، وتكفل الأنصار بنصره ومنعه من الأسود والأحمر ، وبذلوا نفوسهم دونه ، وقدموا محبته علىٰ محبة الآباء والأبناء والأزواج وكان أولىٰ بهم من أنفسهم ؛ رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح ؛ حتىٰ قويت الشوكة ، واشتد الجناح ؛ فأذن لهم حينئذ في القتال ، ولم يفرضه عليهم ؛ فقال تعالىٰ : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩].

- وذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن الله عَزَّوَجَلَّ أذن بالجهاد في مكة قبل الهجرة ، وإلىٰ هذا ذهب الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ فقال : (..وكان الله سبحانه قد أذن للمسلمين في الجهاد في سورة الحج وهي مكية في قوله تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾)اهـ[1]

وقد رد ابن القيم علىٰ هذا القول من عدة أوجه فقال رَحِمَهُ اللَّهُ : (وقد قالت طائفة : إن هذا الإذن كان بمكة والسورة مكية وهذا غلط لوجوه :

---

(١) الفصول(١٢١)

أحدها : أن الله لم يأذن بمكة لهم في القتال ولا كان لهم شوكة يتمكنون بها من القتال بمكة.

الثاني : أن سياق الآية يدل علىٰ أن الإذن بعد الهجرة وإخراجهم من ديارهم ؛ فإنه قال : ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج:٤٠] وهؤلاء هم المهاجرون.

الثالث : قوله تعالىٰ : ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ [الحج:١٩] نزلت في الذين تبارزوا يوم بدر من الفريقين.

الرابع : أنه قد خاطبهم في آخرها بقوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ والخطاب بذلك كله مدني ، فأما الخطاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فمشترك.

الخامس : أنه أمر فيها بالجهاد الذي يعم الجهاد باليد وغيره ولا ريب أن الأمر بالجهاد المطلق إنما كان بعد الهجرة فأما جهاد الحجة فأمر به في مكة بقوله : ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾ أي : بالقرآن ﴿جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٢] فهذه سورة مكية والجهاد فيها هو التبليغ وجهاد الحجة وأما الجهاد المأمور به في (سورة الحج) فيدخل فيه الجهاد بالسيف.

السادس : أن الحاكم روىٰ في مستدركه من حديث الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما خرج رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من

مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن فأنزل الله عز و جل : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ وهي أول آية نزلت في القتال، وإسناده علىٰ شرط الصحيحين ، وسياق السورة يدل علىٰ أن فيها المكي والمدني فإن قصة إلقاء الشيطان في أمنية الرسول مكية ، والله أعلم)اهـ(١)

(ثم تلاه فرض ذا الجهاد ... لنشر دين الله في البلاد): أي : ثم لما صار للمسلمين في المدينة قوة وصارت لهم شوكة وعضد ؛ كتب الله عليهم الجهاد ، وأوجبه عليهم ، كما قال الله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

(أول غزو كان للأَبْواء): أي: وكانت أول غزوة غزاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزوة الأَبْواء، وكانت في صفر سنة اثنتين من الهجرة، خرج بنفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حتىٰ بلغ ودان، فوادع بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة مع سيدهم مخشي بن عمرو، وكانت الموادعة علىٰ ألا يغزوهم ، ولايغزوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، ولا يكثروا عليه جمعا ، ولا يعينوا عليه عدوا ، وهذا من حكمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن يوادع القبائل ؛ ليسلم من أذاهم

(١) زاد المعاد(٣/ ٦٢)

، ثم كر راجعاً إلىٰ المدينة ، ولم يلق حرباً، فكانت هذه الغزوة بلا قتال ، ولكنها أخافت كفار قريش ؛ إذ أن خروج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لتلقيهم ؛ يدل علىٰ أنه صار للمسلمين قوة.

وكان قد استخلف علىٰ المدينة سعد بن عبادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.(١)

(ثم بُواط دونما امتراء): أي : ثم غزا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ غزوة بُواط، فخرج بنفسه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ربيع الآخر من السنة الثانية، واستعمل علىٰ المدينة السائب بن عثمان بن مظعون فسار حتىٰ بلغ بُواط من ناحية رضوىٰ، ثم رجع ولم يلق حرباً.(٢)

(تلته غزوة هي العُشَيره ... وربما قيل هي العُسَيره): أي : ثم كانت بعدها غزوة العُشَيرة ، ويقال: بالسين المهملة العُسَيرة ، ويقال: العُشَيراء ، خرج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بنفسه في أثناء جماد الأولىٰ حتىٰ بلغها، وهي مكان ببطن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام(٢/ ٤٢٨) ، الفصول(١٢٢)

(٢) السيرة النبوية لابن هشام(٢/ ٤٣٣) ، الفصول(١٢٣)

ينبع ، وأقام هناك بقية الشهر وليالي من جمادىٰ الآخرة ، وصالح بني مدلج ، ثم رجع ولم يلق كيدا، وقد كان استخلف علىٰ المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد. (١)

- فكانت هذه الغزوات الثلاث هي أول ما غزا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، أولها غزوة الأبواء ، ثم بُواط ، ثم العُشَيرة.

- وذكر أصحاب السير أن تلك الغزوات الثلاث كانت أشبه بالدوريات الاستطلاعية بين يدي الحرب.

(صبر من الصحب الكرام البرره ... يبغون فضلا في الدنا والآخره): أشار الناظم حفظه الله هنا إلىٰ صبر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لنصرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ونصرة هذا الدين في جميع الأحوال، واحتساب الأجر من الله ، وابتغاء الفضل والرفعة في الدنيا والآخرة.

(١) السيرة النبوية لابن هشام(٢/ ٤٣٣) ، الفصول(١٢٣)

١٨٤- سَبْعٌ مِنَ الشُّهُورِ فَوْقَ عَشْرِ ** مُتَّجِهًا لِلْقُدْسِ أَرْضِ الْحَشْرِ

١٨٥- وَقِبْلَةٌ حِيلَتْ إِلَىٰ أُمِّ الْقُرَىٰ ** وَالِانْقِيَادُ مِنْهُمُ قَدْ ظَهَرَا

١٨٦- فِي عَامِ ثَانِي فَرْضُ ذَا الصِّيَامِ ** فَحَافِظَنْ فِيهِ عَلَىٰ الْقِيَامِ

١٨٧- أَنْصِبَةُ الزَّكَاةِ أَيْضًا حُدِّدَتْ ** فِيهِ وَأَيْضًا قَبْلَ ذَا قَدْ فُرِضَتْ

الشَّرْحُ

(سبع من الشهور فوق عشر... متجها للقدس أرض الحشر) : كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول أمر الإسلام لما فُرِضَت الصلاة متجها إلىٰ بيت المقدس، وظل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يتجهون إليه ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا كما في الصحيحين من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وسيأتي ذكره بتمامه إن شاء الله.

(وقبلة حيلت إلىٰ أم القرىٰ) : ثم حولت القبلة إلىٰ الكعبة ، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجبه أن تكون قبلته قِبَل الكعبة ؛ وقد أخبر الله سبحانه عن حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه في قولِه تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فوعده أن يوجهه إلىٰ القبلة التي يرضاها ؛ فحولت القبلة ، ولا خلاف أن تحويلها كان في السَّنة الثانية من الهجرة.

(والانقياد منهم قد ظهرا) : أي: لما حولت القبلة وصلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متجها إلىٰ الكعبة ، انقاد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لأمر الله حين بلغهم ذلك ، وكانت أول صلاة صلاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متوجهًا إلىٰ الكعبة هي صلاة العصر، وصلىٰ معه بعض أصحابه، فخرج رجل ممن صلىٰ معه، فمر علىٰ أهل مسجد، فوجدهم يصلون، وكانوا راكعين، فقال لهم: أحلف بالله، لقد صليت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متوجِّهًا إلىٰ الكعبة في الصلاة، فلما سمعوه صدَّقوه وداروا ناحية المسجد الحرام، ولم يقطعوا الصلاة، بل أتمُّوها إلىٰ جهة الكعبة.

ويدل علىٰ ماسبق ما أخرجه البخاري(٤٠) ، ومسلم(٥٢٥) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (كانَ أوَّلَ ما قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ علَىٰ أجْدَادِهِ، أوْ قالَ أخْوَالِهِ مِنَ الأنْصَارِ، وأنَّهُ صَلَّىٰ قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وكانَ يُعْجِبُهُ أنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ ، وأنَّهُ صَلَّىٰ أوَّلَ صَلَاةٍ صَلَّاهَا صَلَاةَ العَصْرِ، وصَلَّىٰ معهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّىٰ معهُ، فَمَرَّ علَىٰ أهْلِ مَسْجِدٍ وهُمْ رَاكِعُونَ، فَقالَ: أشْهَدُ باللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كما هُمْ قِبَلَ البَيْتِ، وكَانَتِ اليَهُودُ قدْ أعْجَبَهُمْ إذْ كانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وأَهْلُ الكِتَابِ، فَلَمَّا ولَّىٰ وجْهَهُ قِبَلَ البَيْتِ، أنْكَرُوا ذلكَ).

(في عام ثاني فرض ذا الصيام) : ثم فرض الصيام وكان أول ما أُمِر المسلمون به هو صيام يوم عاشوراء كما في الصحيحين عن عائشة وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا، ثم فرض الله صيام رمضان في شعبان في السنة الثانية من الهجرة ، فصام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع رمضانات إجماعاً ، حيث أن وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت في شهر ربيع الأول سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة.

وبعد فرض صيام رمضان صار صيام عاشوراء مستحبا.

(فحافظن فيه علىٰ القيامِ) : لعظم فضله ففي البخاري(٣٧) ، ومسلم(٧٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ).

(أنصبة الزكاة أيضا حددت... فيه وأيضا قبل ذا قد فرضت) : أي : أن أنصبة الزكاة ومقاديرها وتفصيل أحكامها كان بالمدينة في السنة الثانية من الهجرة ، أما ابتداء فرض الزكاة فكان ذلك بمكة قبل الهجرة ، وهذا الذي عليه جماعة من أهل العلم.

وذهب الجمهور إلىٰ أن الزكاة فرضت في المدينة ابتداء قدوم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومارجحه الناظم حفظه الله هو الراجح ، وهو أن الزكاة فرضت بمكة ، ولكن مقادير الزكاة وأنصبتها ونحو ذلك كان بالمدينة ؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ يقول : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت:٦-٧]، وسورة فصلت مكية.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (فرضت الزكاة في أصح أقوال أهل العلم بمكة، ولكن تقدير الأنصبة والأموال الزكوية وأهل الزكاة كان بالمدينة)اهـ[1]

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين(١٣/ ١٣٥٧)

١٨٨- بَنَىٰ الرَّسُولُ بِابْنَةِ الصِّدِّيقِ ** صِهْرِ النَّبِيْ لُقِّبَ بِالْعَتِيقِ

١٨٩- ثُمَّ تَلَاهُ غَزْوَةٌ لِبَدْرِ ** أَذَلَّ فِيهَا اللهُ دِينَ الْكُفْرِ

١٩٠- وَوَصْفُهَا قَدْ جَاءَ بِالْفُرْقَانِ ** فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ بِالْقُرْآنِ

١٩١- أَعَزَّ فِيهَا اللهُ أَهْلَ الدِّينِ ** حَمْدًا لِرَبِّي بَاسِطِ الْيَدَيْنِ

الشَّرْحُ

(بنىٰ الرسول بابنة الصديق... صهر النبي لقب بالعتيق) : أي: بنىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ بعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بالمدينة في شوال في السنة الأولىٰ ، وقيل في السنة الثانية مِن الهجرة وهي بنت تسع سنين ، وكان قد تزوجها في مكة وهي بنت ست سنين ، وإنما أخر البناء بها إلىٰ بعد الهجرة إلىٰ المدينة لصغر سنها ، وقد تقدم الكلام علىٰ هذا.

(ثم تلاه غزوة لبدر... أذل فيها الله دين الكفر) : أي: ثم تلا ذلك غزوة بدر الكبرىٰ التي أعزّ الله فيها الإسلام ، وأذل فيها الكفر وأهله ، وكانت في رمضان من السنة الثانية ، وسببها أنه بلغ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أن أباسفيان قدم بعير تحمل أموالا جزيلة لقريش ؛ فخرج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لتلقي قافلة أبي سفيان ولم يخرج لقتال ، وندب صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ الناس للخروج إليها ، وأمر من كان ظهره حاضرا بالنهوض ، ولم يأذن لمن كان ظهره بعوالي المدينة

أن يأتي به ، كما في صحيح مسلم(١٩٠١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه : أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ لَنَا طَلِبَةً ، فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا). فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ :(لَا، إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا).

والظهر : الإبل التي يُحمل عليها وتُركب.

وخرج في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا كما في مسلم(١٧٦٣) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:(لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا).

(ووصفها قد جاء بالفرقان... في سورة الأنفال بالقرآن) : نزلت آيات كثيرة في كتاب الله تناولت الحديث عن غزوة بدر، في سور متفرقة : في الأنفال، وآل عمران، والحج، والدخان، وغيرها من السور.

ومن أكثر السور التي تناولت الحديث عن غزوة بدر سورة الأنفال، وكان نزولها في بدر ففي البخاري(٤٦٤٥) ، ومسلم(٣٠١٣١) من حديث سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: سورة الأنفال؟ قال: (نزلت في بدر).

(أعزّ فيها الله أهل الدين... حمدا لربي باسط اليدين) : فأعز الله في هذه الغزوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين ، وأذل الكافرين وكسر شوكتهم ؛ فالحمدلله علىٰ فضله العظيم وإنعامه الجزيل ، وكان من فضل الله سبحانه في هذه الغزوة علىٰ عباده المؤمنين أن أيدهم بالملائكة ، وألقىٰ عليهم النعاس أمنة منه ورحمة ، وأنزل عليهم من السماء ماء تطهيرا لهم ، وشدا لقلوبهم ، وتثبيتا لأقدامهم ، كما قذف في قلوب الكافرين الرعب والهلع.

قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الأنفال:٩-١٤].

١٩٢- إِذْ بَـاتَ فِيهَـا سَـيِّدُ الْبَرَايَـا ** يَـدْعُو السَّـمِيعَ وَاهِـبَ الْعَطَايَـا

١٩٣- وَخَرَجُوا وَالنَّقْصُ فِي الظُّهُورِ ** كُـلُّ ثَلَاثَـةٍ عَلَـىٰ بَعِيـرِ

١٩٤- فَـأَكْرَمَ اللهُ تَعَـالَىٰ عَبْـدَهُ ** أَمَـدَّ بِـالْأَمْلَاكِ كَـانُوا جُنْـدَهُ

الشَّرْحُ

(إذ بات فيها سيد البرايا... يدعو السميع واهب العطايا) : كما في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم عند مسلم وفيه : (فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : (اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ. فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّىٰ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَىٰ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ : يَا نَبِيَّ الله، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، فَأَمَدَّهُ الله بِالْمَلَائِكَةِ).

(وخرجوا والنقص في الظهور... كل ثلاثة علىٰ بعير) : ويدل علىٰ هذا ما جاء في مسند أحمد وهو في الصحيح المسند للشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ(٨٣١) عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :(كنَّا يومَ بَدْرٍ ثلاثةً علىٰ بعيرٍ - أي يَتعاقَبون -

وكان أبو لُبَابةَ وعليُّ بنُ أبي طالبٍ زميلَيْ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: وكانت عُقْبةُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فقالا: نحن نمشي عنك، فقال: ما أنتما بأقوىٰ منِّي، ولا أنا بأغنىٰ عن الأجرِ منكما) ، وهو حديث حسن.

(فأكرم الله تعالىٰ عبده... أمدّ بالأملاك كانوا جنده) : أكرم الله نبيه واستجاب دعوته وأمده بالملائكة فكان المسلم لا يطلب رجلا من المشركين إلا ويسقط قبل أن يصل إليه ؛ لأن الملائكة جند من جنود الله نزلوا في هذه الغزوة تأييدا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ، ونصرة لهذا الدين ، وأبدلهم الله عزة بعد ذلة قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٣-١٢٦].

وعند مسلم في الحديث المتقدم : بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ : أَقْدِمْ حَيْزُومُ . فَنَظَرَ إِلَىٰ الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ، فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ

أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: (صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ).

١٩٥- قَتْـلٌ لِسَـبْعِينَ مِـنَ الْكُفَّـارِ ** وَمِـثْلُهُمْ فِـي الْأَسْـرِ مِـنْ فُجَّـارِ

١٩٦- أَلْقَـاهُمُ الرَّسُـولُ فِـي الْقَلِيـبِ ** خَـاطَبَهُمْ كَالْحَاضِـرِ الْقَرِيـبِ

١٩٧- وَكَـانَ فِيهَـا حِـلُّ ذِي الْغَنَـائِمِ ** فَالشُّـكْرُ للهِ الْعَزِيـزِ الـرَّاحِمِ

الشَّرْحُ

(قتل لسبعين من الكفار... ومثلهم في الأسر من فجار) : فكان في هذه الغزوة هزيمة عظيمة للمشركين ، وأعمل فيهم المسلمون وأوجعوهم قتلا وأسرا ، فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين ، كما في حديث عمر المتقدم وفيه : (فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَىٰ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ : (مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَىٰ ؟) ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا نَبِيَّ الله، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةُ، أَرَىٰ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَىٰ الْكُفَّارِ، فَعَسَىٰ الله أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : (مَا تَرَىٰ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟) ، قُلْتُ : لَا وَالله يَا رَسُولَ الله، مَا أَرَىٰ الَّذِي رَأَىٰ أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَىٰ أَنْ تُمَكِّنَّا، فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ، فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ، وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ

وَصَاحِبُكَ ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ؛ لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَىٰ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ). شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِيِّ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَنْزَلَ الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧-٦٩]. فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.

وكان اختيار الفداء رحمة بهم ورغبة في حصول الخير لهم ؛ فإنهم قد يسلمون وينصرون هذا الدين ، فأنزل الله بعد ذلك عتابا ؛ لأنه أراد أن يثخنوهم بالقتل فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وكان من جملة من فدىٰ نفسه العباس بن عبدالمطلب فإنه كان من الأسارىٰ كما في البخاري(٣٠٤٨) عن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ فَلْنَتْرُكْ لِابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ. فَقَالَ : (لَا تَدَعُونَ مِنْهَا دِرْهَمًا).

وقوله (لَا تَدَعُونَ مِنْهَا دِرْهَمًا): أي لا تتركون من الفداء شيئا للعباس.

قيل: والحكمة في ذلك أنه خشي أن يكون في ذلك محاباة له لكونه عمه. [١]

ففدىٰ العباس نفسه وفدىٰ عقيل بن أبي طالب كما في البخاري(٤٢١) معلقا : أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَجَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله، أَعْطِنِي ؛ فَإِنِّي فَادَيْتُ نَفْسِي وَفَادَيْتُ عَقِيلًا. فَقَالَ : (خُذْ). فَأَعْطَاهُ فِي ثَوْبِهِ.

ووصله أبو نعيم في المستخرج والحاكم في المستدرك كما في فتح الباري.

وجاء جماعة من المشركين يطلبون فداء الأسارىٰ منهم جبير بن مطعم وحديثه في البخاري(٣٠٥٠) ، وقد تقدم معنا كيف أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لم ينس الجميل للمطعم بن عدي والد جبير لأنه أجاره لما رجع من الطائف ، فقال في أسارىٰ بدر كما في البخاري(٣١٣٩) عن جبير بن مطعم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : (لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَىٰ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ).

(ألقاهم الرسول في القَلِيب... خاطبهم كالحاضر القريب) : ويدل علىٰ هذا ما رواه البخاري(٣٩٧٦) ، ومسلم(٢٨٧٤) من حديث أنس عن أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ نَبِيَّ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا

---

(١) الفتح للحافظ(٧/ ٢٢١)

فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَىٰ قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَىٰ، وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا : مَا نُرَىٰ يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ. حَتَّىٰ قَامَ عَلَىٰ شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ : يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ الله وَرَسُولَهُ ؟ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ الله، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا. فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ". قَالَ قَتَادَةُ : أَحْيَاهُمُ الله حَتَّىٰ أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا، وَتَصْغِيرًا، وَنَقِيمَةً، وَحَسْرَةً، وَنَدَمًا).

وفي رواية للنسائي من حديث أنس بن مالك قال: سمع المسلمون من الليل ببئر بدر، ورسول الله -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قائم ينادي: (يا أبا جهل بن هشام، ويا شيبة بن ربيعة..)الحديث.

والحديث صححه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في صحيح سنن النسائي(١٩٦٢).

والقليب : البئر.

(وكان فيها حِلّ ذي الغنائم... فالشكر لله العزيز الراحم) : أي وأحل الله فيها الغنائم للمسلمين كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:١].

والأنفال : هي الغنائم.

وكما في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المتقدم وفيه : (فَأَحَلَّ اللهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ).

١٩٨- وَبَعْـدَ ذَا قَـدْ ظَهَـرَ النِّفَـاقُ ** أَتْعِـسْ بِقَـوْمٍ إِنَّهُـمْ فُسَّـاقُ

١٩٩- مِنْ شَأْنِهِمْ قَدْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَا ** وَأَبْطَنُـوا ذَا الْكُفْـرَ وَالْإِجْرَامَـا

٢٠٠- أَوْعَـدَهُمْ رَبِّـي جَمِيعًـا بِسَـقَرْ ** فِـي دَرَكِ النَّـارِ لَهُـمْ فِيهَـا مَقَـرْ

الشَّرْحُ

(وبعد ذا قد ظهر النفاق... أتعس بقوم إنهم فساق) : أي : وبعد غزوة بدر ظهر النفاق في المدينة.

وقيل : إن أول ظهور النفاق كان في مكة في فئة من قريش.

والراجح : الأول ؛ وهو أن النفاق ظهر في المدينة بعد غزوة بدر حين قويت شوكة المسلمين ؛ أما مكة فلم يكن النفاق معروفًا ؛ لأن المسلمين كانوا قلَّة، وكانوا مضطهدين ، فلم يكن هنالك ما يدعو إلىٰ اندساس فريق المنافقين بين صفوف المؤمنين.

(من شأنهم قد أظهروا الإسلاما... وأبطنوا ذا الكفر والإجراما) : فدخل المنافقون في الإسلام متظاهرين به ، مُبطِنين الكفر والشرك ، وعلىٰ رأسهم عبد الله بن أُبي بن سلول.

قال تعالىٰ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ٨٨ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ٨٨-٨٩].

وفي البخاري(٤٠٥٠)، ومسلم(٢٧٧٦) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ أُحُدٍ رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةً تَقُولُ: لاَ نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾، وَقَالَ: (إِنَّهَا طَيْبَةٌ، تَنْفِي الذُّنُوبَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ).

ولم يكن النفاق قاصرًا علىٰ المدينة فقط ، بل كان هنالك منافقون خارج المدينة؛ كالأعراب حولها، وكذا وجد في بعض البلاد التي دانت للإسلام، كما حدث في اليمامة مع مسيلمة الكذاب ومن معه.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

ومن ذلك -أيضا- ضعاف القلوب ممن كان يعبد الله علىٰ حرف كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ [الحج: ١١-١٣].

وفي البخاري(٤٧٤٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾. قَالَ: (كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ المَدِينَةَ، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلاَمًا، وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ، وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سُوءٍ).

أما المهاجرون فلم يكن فيهم أحد نافق ؛ لأنه لم يكن أحد يهاجر مكرهـًا، بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبة فيما عند الله في الدار الآخرة. (١)

(أوعدهم ربي جميعا بسقر... في درك النار لهم فيها مقر) : فقال تعالىٰ : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ

(١) تفسير ابن كثير(٤/ ٦٧)

ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [التوبة:٦٨] ، وقال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

الأحداث والغزوات بين غزوة بدرٍ الكبرى وغزوة أُحُد

٢٠١- وَقَـدْ تَجَلَّـىٰ مَكْـرُ ذِي الْيَهُـودِ ** فِـي قَيْنُقَـاعَ نَقْـضُ ذِي الْعُهُـودِ

٢٠٢- أَجْلَاهُـمُ الرَّسُـولُ أَرْضَ الشَّـامِ ** قُبْحًـا لَهُـمْ فِـي جُمْلَـةِ الْأَعْـوَامِ

٢٠٣- وَبَعْـدَ ذَا قَتْـلٌ لِكَعْـبِ الْأَشْـرَفِ ** إِذْ كَـانَ طَعَّانًـا بِأَهْـلِ الشَّـرَفِ

الشَّرْحُ

(الأحداث والغزوات بين غزوة بدرٍ الكبرىٰ وغزوة أُحُد) : شرع الناظم حفظه الله في ذكر بعض الأحداث والغزوات التي كانت بين غزوة بدر وغزوة أحد ؛ كغزوة بني قينقاع ، ومقتل كعب بن الأشرف ، ونحو ذلك مما سيأتي إن شاء الله.

(وقد تجلىٰ مكر ذي اليهود... في قينقاع نقض ذي العهود) : اشتد مكر اليهود بالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ومن ذلك نقض بني قينقاع- أحد طوائف اليهود بالمدينة- للعهد ، وكانوا تجارا وصاغة ، وكانوا نحو السبعمائة مقاتل ، فخرج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لحصارهم ، واستخلف علىٰ المدينة بشير بن عبد المنذر، فحاصرهم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ خمس عشرة ليلة، ونزلوا علىٰ حكمه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فشفع فيهم عبد الله بن أبي بن سلول، لأنهم كانوا حلفاء

الخزرج، وهو سيد الخزرج، فشفعه فيهم بعد ما ألح علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وكانوا في طرف المدينة.

فكان بنو قينقاع هم أول من نقض العهد من الطوائف الثلاثة ، قال الحافظ في الفتح(٤٠٣٢) : (فكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم في شوال بعد وقعة بدر فنزلوا علىٰ حكمه وأراد قتلهم فاستوهبهم منه عبد الله بن أُبي وكانوا حلفاءه فوهبهم له وأخرجهم من المدينة إلىٰ أذرعات ، ثم نقض العهد بنو النضير وكان رئيسهم حُيي بن أخطب ، ثم نقضت قريظة..)اهـ

وذكر ابن هشام في سيرته(٢/ ٤٧) أن سبب نقض العهد اعتداؤهم علىٰ امرأة من نساء العرب في سوقهم ؛ فقال: (وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة ، عن أبي عون ، قال : كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلىٰ صائغ بها ، فجعلوا يريدونها علىٰ كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلىٰ طرف ثوبها فعقده إلىٰ ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا بها ، فصاحت . فوثب رجل من المسلمين علىٰ الصائغ فقتله ، وكان يهوديا ، وشدت اليهود علىٰ المسلم فقتلوه ،

فاستصرخ أهل المسلم المسلمين علىٰ اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع).

وهذا لا يثبت ؛ فإن أباعون مولىٰ المسور بن مخرمة نازل لاصحبة له ، كما في تهذيب الكمال للحافظ المزي.

وجاء عند أبي داود(٣٠٠١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : لما أصاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قريشا يوم بدر ، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال : (يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا) ، قالوا : يا محمد ، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أَغْمَارًا ، لا يعرفون القتال ، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ في ذلك : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ﴾ [آل عمران:١٢] قرأ مصرف إلىٰ قوله ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٣] ببدر ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران:١٣] .

وهذا الحديث إسناده ضعيف ، فيه شيخ ابن إسحاق وهو محمد بن أبي محمد، مولىٰ زيد بن ثابت مجهول .

ولو صح شيء مما سبق ؛ لكان في ذلك بيان نوع نقض بني قينقاع للعهد والصلح الذي كان بينهم وبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وذكر الحافظ في الفتح أن غزوة بني قينقاع كانت في شوال بعد غزوة بدر ؛ فعلىٰ هذا فهي في السنة الثانية من الهجرة.

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنها كانت أوائل السنة الثالثة من الهجرة ، والله أعلم. (١)

(أجلاهم الرسول أرض الشام... قبحًا لهم في جملة الأعوام) : أي: فأجلاهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ من المدينة إلىٰ أذرعات من أرض الشام.

(وبعد ذا قتل لكعب الأشرف... إذ كان طعانا بأهل الشرف) : أشار الناظم حفظه الله هنا إلىٰ قصة مقتل كعب بن الأشرف اليهودي ؛ وكان رجلاً من طيء، وكانت أمه من بني النضير، وكان يؤذي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والمؤمنين، ويشبب -يتغزل- في أشعاره بنساء المؤمنين، وذهب بعد وقعة بدر إلىٰ مكة وألب علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِۦوَسَلَّمَ وعلىٰ المؤمنين، فندب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ المسلمين إلىٰ قتله. (٢)

---

(١) البداية والنهاية(٤/ ٤) ، الفصول(١٤٢)

(٢) الفصول(١٤٣)

وقصة مقتله في البخاري(٤٠٣٧) ومسلم(١٨٠١) عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ آذَىٰ الله وَرَسُولَهُ ؟) فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ : (نَعَمْ). قَالَ : فَائْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا. قَالَ : (قُلْ). فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا، وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ. قَالَ : وَأَيْضًا وَالله لَتَمَلُّنَّهُ. قَالَ : إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ، حَتَّىٰ نَنْظُرَ إِلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا، أَوْ وَسْقَيْنِ. وَحَدَّثَنَا عَمْرٌو غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَذْكُرْ : وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ. فَقُلْتُ لَهُ : فِيهِ : وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ ؟ فَقَالَ : أُرَىٰ فِيهِ : وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ. فَقَالَ : نَعَمِ، ارْهَنُونِي. قَالُوا : أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ ؟ قَالَ : ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ. قَالُوا : كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا، وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ. قَالُوا : كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا، فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ ؟ فَيُقَالُ : رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ، هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ. قَالَ سُفْيَانُ : يَعْنِي السِّلَاحَ. فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ - وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرَّضَاعَةِ - فَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الْحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ. وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو : قَالَتْ : أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ. قَالَ : إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ،

وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَىٰ طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ. قَالَ : وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ. قِيلَ لِسُفْيَانَ : سَمَّاهُمْ عَمْرٌو ؟ قَالَ : سَمَّىٰ بَعْضَهُمْ. قَالَ عَمْرٌو : جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو : أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ. قَالَ عَمْرٌو : جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ، فَقَالَ : إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ. وَقَالَ مَرَّةً : ثُمَّ أُشِمُّكُمْ. فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا، أَيْ : أَطْيَبَ. وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو : قَالَ : عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ، وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ. قَالَ عَمْرٌو : فَقَالَ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ؟ قَالَ : نَعَمْ. فَشَمَّهُ، ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ : أَتَأْذَنُ لِي ؟ قَالَ : نَعَمْ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ، قَالَ : دُونَكُمْ. فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرُوهُ.

٢٠٤- وَتَـاجِرُ الْحِجَـازِ قَتلُـهُ وَقَـعْ ** أَبٌ لِرَافِـعٍ يَهُـودِيٌّ قُطِـعْ

٢٠٥- ثُـمَّ غَـزَا الْكُفَّـارُ أَرْضَ طَيْبَـهْ ** وَيَطْلُبُـونَ ثَـأْرَهُمْ مِـنْ حَوْبَـهْ

٢٠٦- فِـي السَّـنَةِ الثَّالِثَـةِ الْهِجْرِيَّـهْ ** شَـوَّالِهَا مِـنْ غَيْـرِ مَـا مَرِيَّـهْ

الشَّرْحُ

(وتاجر الحجاز قتله وقع... أب لرافع يهودي قُطِع) : أشار الناظم حفظه الله إلىٰ مقتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ، ويقال: سلام بن أبي الحقيق اليهودي ، وكان في قصر له في أرض خيبر، وكان تاجراً مشهوراً بأرض الحجاز.

وهو من أكابر مجرمي اليهود الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة ، وكان يؤذي رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ فلما فرغ المسلمون من أمر بني قريظة وكانت الأوس قد قتلت علىٰ أيدي رجالها كعب بن الأشرف، استأذنت الخزرج رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ في قتل أبي رافع رغبةً منها في إحراز فضيلةٍ مثل فضيلتهم، فلذلك أسرعوا إلىٰ هذا الاستئذان.

فأذن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في قتله، ونهىٰ عن قتل النساء والصبيان، فخرجت جماعةٌ قوامها خمسة رجال كلهم من بني سلمة من الخزرج، وقائدهم عبد الله بن عتيك. (١)

وقصة مقتله في البخاري(٤٠٣٩) عَنِ الْبَرَاءِ ، قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الله بْنَ عَتِيكٍ وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرْحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ الله لِأَصْحَابِهِ : اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ ؛ فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ، وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ لَعَلِّي أَنْ أَدْخُلَ. فَأَقْبَلَ حَتَّىٰ دَنَا مِنَ الْبَابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ : يَا عَبْدَ الله، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ فَادْخُلْ ؛ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ. فَدَخَلْتُ، فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِيقَ عَلَىٰ وَتِدٍ. قَالَ : فَقُمْتُ إِلَىٰ الْأَقَالِيدِ ، فَأَخَذْتُهَا، فَفَتَحْتُ الْبَابَ وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسْمَرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلَالِيَّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ. قُلْتُ : إِنِ الْقَوْمُ

(١) البداية والنهاية(٦/ ١٢٧) ، فتح الباري(٧/ ٣٤٣)

نَذِرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّىٰ أَقْتُلَهُ. فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسْطَ عِيَالِهِ لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا رَافِعٍ.

قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دَهِشٌ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ، فَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ ؟ فَقَالَ : لِأُمِّكَ الْوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلُ بِالسَّيْفِ. قَالَ : فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ، وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ ظُبَةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ، حَتَّىٰ أَخَذَ فِي ظَهْرِهِ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بَابًا حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي وَأَنَا أُرَىٰ أَنِّي قَدِ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، فَانْكَسَرَتْ سَاقِي، فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّىٰ جَلَسْتُ عَلَىٰ الْبَابِ، فَقُلْتُ : لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَعْلَمَ أَقَتَلْتُهُ ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيكُ قَامَ النَّاعِي عَلَىٰ السُّورِ، فَقَالَ : أَنْعَىٰ أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ. فَانْطَلَقْتُ إِلَىٰ أَصْحَابِي، فَقُلْتُ : النَّجَاءَ ؛ فَقَدْ قَتَلَ اللهُ أَبَا رَافِعٍ. فَانْتَهَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ : (ابْسُطْ رِجْلَكَ). فَبَسَطْتُ رِجْلِي، فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ.

(ثم غزا الكفار أرض طيبة... ويطلبون ثأرهم من حَوبه) : بعد هزيمة المشركين في غزوة بدر التي قتل فيها صناديدهم وأشرافهم ؛ ازداد غيظ المشركين وحنقهم علىٰ الإسلام والمسلمين ؛ فاجتمعوا لغزو المسلمين في المدينة وأخذ الثأر منهم ، ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب لعدم وجود أكابرهم، وكان قد جاء إلىٰ أطراف المدينة في غزوة السويق، ولم ينل ما في نفسه بل رجع هاربا منهزما ؛ فشرع يجمع قريشًا ويؤلب علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعلىٰ المسلمين، فجمع قريبًا من ثلاثة آلاف من قريش ، والحلفاء، والأحابيش: وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة ، وجاؤوا بنسائهم لئلا يفروا، ثم أقبل بهم نحو المدينة غازيا. [١] **ومعنىٰ قوله(من حوبه)** : من مصيبة وضيقة قد لحقتهم في بدر.

(في السنة الثالثة الهجرية... شوالها من غير ما مرية) : أي : فنزل أبو سفيان ومن معه من الجيش قريبًا من جبل أحد بمكان يقال له: (عينين) ، وكان ذلك في شوال من السنة الثالثة للهجرة. [٢]

وقوله (من غير ما مرية): أي: من غير شك.

---

(١) السيرة لابن هشام(٢/ ٢٣٦) ، الفصول(١٤٤)

(٢) البداية والنهاية(٤/ ١١) ، الفصول(١٤٤)

٢٠٧- أَهْـلُ النِّفَـاقِ جَـانَبُوا السَّـبِيلَا ** وَقَـدْ أَرَادُوا الشَّـرَّ وَالتَّخْـذِيلَا

٢٠٨- فِـي أُحُـدٍ قَـدِ الْتَقَىٰ الْجَمْعَـانِ ** وَكَـانَ نَصْـرٌ لِـذَوِي الْإِيمَـانِ

٢٠٩- ثُـمَّ تَـلَاهُ قَتْـلُ ذِي الْإِيمَـانِ ** سَبْعِينَ إِذْ هُـمْ مِـنْ ذَوِي الْإِحْسَانِ

٢١٠- سَـبَبُهُ خُلْـفٌ لِأَمْـرِ الْمُرْسَـلِ ** وَقَبْلَـهُ التَّقْـدِيرُ مِـنْ رَبٍّ عَلِـي

الشَّرْحُ

(أهل النفاق جانبوا السبيلا... وقد أرادوا الشر والتخذيلا) : وذلك أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ خرج إلىٰ أحد في ألف مقاتل ، فلما كان ببعض الطريق رجع عبد الله بن أبي بنحو ثلاثمائة إلىٰ المدينة، فلم يبق مع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ إلا سبعمائة ؛ فأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يوبخهم ويحضهم علىٰ الرجوع، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

فكذبهم الله ؛ لأن أمر القتال ظاهر بين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ في البداية والنهاية(٥/ ٣٥٠) عقب هذه الآية :

(قلت: يعني أنهم كاذبون في قولهم ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ ؛ وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بين واضح لا خفاء ولاشك فيه)اهـ

وكان السبب الأكبر لرجوعهم هو الحقد والضغينة علىٰ المسلمين وكذا الذنوب والعياذ بالله ، وهذا من شؤم الذنب كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ [النساء: ٨٨].

ومن الأسباب أيضا أن عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ورئيسهم غضب؛ لأن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ لم يأخذ بمشورته ، وذلك عندما شاور النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أصحابه لمّا علم بقدوم قريش لغزو المدينة هل يبقىٰ في المدينة أم يخرج إليهم ؟

فانقسموا في المشورة إلىٰ قسمين : فبادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر إلىٰ الإشارة بالخروج إليهم ، وألحوا عليه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ذلك، وأشار عبد الله بن أبي بن سلول بالمقام بالمدينة، وتابعه علىٰ ذلك بعض الصحابة، فألح أولئك علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فنهض ودخل بيته ولبس لأمته وخرج عليهم، وقد انثنىٰ عزم أولئك ؛ فقالوا: يا رسول الله، إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل.

فقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ : (إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّىٰ يُقَاتِلَ) ، والحديث في مسند أحمد(١٤٧٨٧) من طريق أبي الزبير عن جابر، وأبو الزبير مدلس وقد عنعن ولكن للحديث شواهد تقويه ، والله أعلم.

(في أحد قد التقىٰ الجمعان... وكان نصر لذوي الإيمان) : مضىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ بمن بقي معه من المقاتلين حتىٰ نزلوا شعب أحد في جانب الوادي ، ونهاهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ عن القتال حتىٰ يأمرهم بذلك ، ثم لما أصبح تهيأ للقتال في أصحابه، وأمر الرماة -وكانوا خمسين رجلا استعمل عليهم عبد الله بن جبير رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- أن لا ينزلوا من الجبل ولايغيروا أماكنهم ، وأن يحفظوا ظهور المسلمين.

فالتقىٰ الجمعان وكان النصر أول النهار للمسلمين علىٰ الكفار، فانهزموا راجعين حتىٰ وصلوا إلىٰ نسائهم.

(ثم تلاه قتل ذي الإيمان... سبعين إذ هم من ذوي الإحسان) : وذلك أنه لما رأىٰ الرماة أن المشركين قد هزموا وفروا هاربين غادروا أماكنهم وقالوا: يا قوم، الغنيمة الغنيمة.

فنهاهم عبد الله بن جبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ذلك ، وذكرهم بأمر النبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكنهم ظنوا أن ليس للمشركين رجعة، وأنهم لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك، فذهبوا في طلب الغنيمة، وكر الفرسان من المشركين فوجدوا تلك الفرجة قد خلت من الرماة فجاوزوها وتمكنوا، وأقبل آخرهم، فكان ما قدره الله تعالىٰ ؛ فاستُشهد من المسلمين سبعون مقاتلًا من المهاجرين والأنصار.

وفي البخاري(٤٠٤٣) عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الله، وَقَالَ: (لَا تَبْرَحُوا ؛ إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا).

فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّىٰ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ : الْغَنِيمَةَ، الْغَنِيمَةَ. فَقَالَ عَبْدُ الله : عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا).

وممن استشهد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حمزة بن عبد المطلب، وعبد الله بن جحش، ومصعب بن عمير ، وشماس بن عثمان المخزومي، فهؤلاء أربعة من

المهاجرين، والباقون من الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا ، فدفنهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في دمائهم وكلومهم، ولم يصلِّ عليهم يومئذ.

وفر يومئذ من المسلمين جماعة من أعيان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وقد نص الله سبحانه علىٰ العفو عنهم، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

(سببه خلف لأمر المرسل) : وكان سبب ذلك مخالفة الرماة لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كما تقدم.

(وقبله التقدير من رب علي) : وما حصل فهو تقدير من الله جَلَّ جَلَالُهُ ؛ فكان ما أراد الله تعالىٰ كونه.

٢١١- وَاحْتَدَمَ الصَّفَّانِ فِي الْقِتَالِ ** وَقُصِدَ الرَّسُولُ فِي ذَا الْحَالِ

٢١٢- وَكَسَرُوا الْبَيْضَةَ فَوْقَ رَأْسِهِ ** وَضَرْبَةٌ كَانَتْ بِقُرْبِ ضِرْسِهِ

٢١٣- وَصَاحَ أَيْضًا فِي الْوَرَىٰ الشَّيْطَانُ ** أَنْ قُتِلَ الرَّسُولُ يَا وَسْنَانُ

٢١٤- وَدَعْوَةُ الرَّسُولِ فِي أُخْرَاهُمُ ** أَثَابَهُمْ غَمًّا فَيَا بُشْرَاهُمُ

الشَّرْحُ

(واحتدم الصفان في القتال... وقُصد الرسول في ذا الحالِ) : بعد أن اشتد القتال بين الفريقين وكان النصر في بادئ الأمر للمسلمين ، ثم خالف الرماة أمر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وذهبوا في طلب الغنيمة ؛ كر الفرسان من المشركين فوجدوا تلك الفرجة قد خلت من الرماة فجاوزوها وتمكنوا، وأقبل آخرهم، فكان ما أراد الله تعالىٰ كونه، فاستشهد من أكرمهم الله بالشهادة من المؤمنين ، فقتل جماعة من أفاضل الصحابة، وتولىٰ أكثرهم.

وخلص المشركون إلىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وأدركوه بأبي هو وأمي ؛ فحال دونه نفر من المسلمين فقتلوا.

ففي مسلم(١٧٨٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهِقُوهُ قَالَ : (مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟) أَوْ : (هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟) ؛ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّىٰ

قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا، فَقَالَ : (مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟) أَوْ : (هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ ؟)؛ فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِصَاحِبَيْهِ : (مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا).

ثم جالدهم طلحة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حتىٰ أبعدهم عنه.

فعن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، قال : لما كان يوم أحد ، وولىٰ الناس ، كان رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في ناحية في إثني عشر رجلا منهم طلحة ، فأدركهم المشركون ، فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : (من للقوم ؟) ، قال طلحة : أنا ، قال : (كما أنت) ، فقال رجل : أنا ، قال : (أنت) ، فقاتل حتىٰ قتل ، ثم التفت فإذا المشركون ، فقال : (من لهم ؟) ، قال طلحة : أنا، قال : (كما أنت) ، فقال رجل من الأنصار : أنا ، قال : (أنت) ؛ فقاتل حتىٰ قتل، فلم يزل كذلك حتىٰ بقي مع نبي الله : طلحة ، فقال : (من للقوم ؟) ، قال طلحة : أنا ، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتىٰ قطعت أصابعه ؛ فقال : حسس ، فقال : رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ : (لو قلت : باسم الله ؛ لرفعتك الملائكة والناس ينظرون) ، ثم رد الله المشركين.

والحديث صحيح، أخرجه النسائي في المجتبىٰ(٦/ ٢٩-٣٠) ، والسنن الكبرىٰ(٤٣٤٢).

(وكسروا البيضة فوق رأسه... وضربة كانت بقرب ضرسه) : لما خلص المشركون إلىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ جرح في وجهه الكريم وكسرت رباعيته اليمنىٰ السفلىٰ بحجر، وهشمت البيضة علىٰ رأسه الشريف.

روىٰ البخاري(٢٩١١) ، ومسلم(١٧٩٠) عَنْ سَهْلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ جُرْحِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ : (جُرِحَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَغْسِلُ الدَّمَ، وَعَلِيٌّ يُمْسِكُ، فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ الدَّمَ لَا يَزِيدُ إِلَّا كَثْرَةً أَخَذَتْ حَصِيرًا فَأَحْرَقَتْهُ، حَتَّىٰ صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْزَقَتْهُ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ).

والرباعية : السن الذي يلي الثنية.

والبيضة : الخوذة ، وهي ما يلبس في الرأس من آلات السلاح. [١]

---

(١) الفتح(٦/ ٩٧)

(وصاح أيضا في الورىٰ الشيطان... أن قتل الرسول ياوسنانُ): وصرخ الشيطان ـ لعنه الله ـ بأعلىٰ صوته: إن محمداً قد قتل، ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين، وتولىٰ أكثرهم.

ففي مسند أحمد(٢٦٠٩) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وفيه : (وصاحَ الشَّيطانُ: قُتِلَ مُحمدٌ. فلم يُشَكَّ فيه أنَّه حَقٌّ، فما زِلنا كذلك ما نَشُكُّ أنَّه حَقٌّ، حتىٰ طَلَعَ رَسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَينَ السَّعدَيْنِ، نَعرِفُه بتَكَفُّئِه إذا مَشىٰ، قال: ففَرِحْنا حتىٰ كأنَّه لم يُصِبْنا ما أصابَنا، قال: فرَقِيَ نَحوَنا وهو يَقولُ: اشتَدَّ غَضَبُ اللهِ علىٰ قَومٍ دَمَّوْا وَجهَ رَسولِ اللهِ. ويَقولُ مَرَّةً أُخرىٰ: اللَّهمَّ إنَّه ليس لهم أنْ يَعلونا. حتىٰ انتَهىٰ إلينا..)الحديث.

والحديث إسناده حسن ، والله أعلم.

(ودعوة الرسول في أخراهم... أثابهم غمّا فيا بشراهم) : أشار الناظم حفظه الله إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

فكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يدعوهم وقد خلفوه وراء ظهورهم إلىٰ ترك الفرار من الأعداء وإلىٰ الرجعة والعودة والكرة.

فأصابهم غم الهزيمة ، وغم ما نزل من القتال والجراحات وقتل جماعة كبيرة من أعيانهم، فهما مصيبتان ولكنها تكفير وتمحيص.

وقيل : الغم الأول: بسبب الهزيمة، والثاني: حين أشيع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قتل ، وكان ذلك عندهم أشد وأعظم من الهزيمة.

وانتهت هذه المعركة وقد استشهد من المسلمين يومئذ نحو السبعين ، وقتل من المشركين اثنان وعشرون.

وبعد انتهاء المعركة مال المشركون إلىٰ رحالهم ، ثم استقبلوا طريق مكة منصرفين إليها.

وقد ذكر الله سبحانه هذه الوقعة في سورة آل عمران حيث يقول: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

وقوله (يا بشراهم) : أي : يا بشراهم بحياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢١٥- وَبَعْدَ ذَا فَضْلٌ مِنَ الرَّبِّ الصَّمَدْ ** غَـزَاةُ مَتْبُـوعٌ بِحَمْـرَاءِ الْأَسَـدْ

٢١٦- وَصَـاهَرَ الرَّسُـولُ فِيهَـا عُمَـرَا ** إِذْ قَـدْ بَنَـىٰ بِحَفْصَـةٍ وَاشْـتَهَرَا

الشَّرْحُ

(وبعد ذا فضل من الرب الصمد... غزاة متبوع بحمراء الأسد) : أي : وتبعت غزوة أحد غزوة حمراء الأسد فكانت غزوة أحد في يوم السبت وغزوة حمراء الأسد في يوم الأحد من شوال من السنة الثالثة للهجرة ، وكان سببها أن قريشا بعد انتهاء غزوة أحد قفلوا راجعين إلىٰ مكة ، فلما كانوا في الطريق تلاوم بعضهم علىٰ بعض وقالوا : قاتلتم محمداً وأصحابه ولكن بقي فيهم رؤوس سيجمعون لكم ثم يقاتلونكم. فأرادوا الرجوع إلىٰ المدينة لاستئصال المسلمين في مدينتهم ؛ فبلغ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ذلك ؛ فندب أصحابه للخروج لتعقب قريش وإرهابهم، وإظهار الشدة لهم فيعلمون من خروجهم مع كثرة جراحاتهم أنهم علىٰ غاية من القوة والثبات ورسوخ الإيمان ، وأمر ألا يخرج معه إلا من حضر أحداً، فلم يخرج إلا من شهد أحداً، سوىٰ جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا ، فإنه كان أبوه استخلفه في مهماته، فقتل أبوه يوم أحد، فاستأذن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الخروج إلىٰ حمراء الأسد؛ فأذن له.

فاستجاب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ونهضوا كما أمرهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم مثقلون بالجراح، وقد مدحهم الله بقوله : ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢].

وفي البخاري(٤٠٧٧) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. قَالَتْ لِعُرْوَةَ : يَا ابْنَ أُخْتِي، كَانَ أَبُوكَ مِنْهُمْ ؛ الزُّبَيْرُ، وَأَبُو بَكْرٍ لَمَّا أَصَابَ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَصَابَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ الْمُشْرِكُونَ خَافَ أَنْ يَرْجِعُوا، قَالَ : (مَنْ يَذْهَبُ فِي إِثْرِهِمْ). فَانْتَدَبَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلًا. قَالَ : كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَالزُّبَيْرُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عقب ذكر هذا الحديث : (وهذا السياق غريب جداً؛ فإن المشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ حمراء الأسد كل من شهد أحد، وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون وبقي الباقون)اهـ[١]

(١) البداية والنهاية(٤/ ٥٢)

وقال محمد بن يوسف الصالحي : (والظاهر أنه لاتخالف بين قول عائشة وما ذكره أصحاب المغازي ؛ لأن معنىٰ قولها: "فانتدب منهم سبعون" أنهم سبقوا غيرهم، ثم تلاحق الباقون)اهـ [١]

فخرج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه حتىٰ بلغوا حمراء الأسد وهي علىٰ ثمانية أميال من المدينة. ومر معبد بن أبي معبد الخزاعي علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه فأجاره حتىٰ بلغ أبا سفيان والمشركين بالروحاء، فأخبرهم أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه قد خرجوا في طلبهم، فثبطهم وكسر شوكتهم ، ففت ذلك في أعداد قريش، وكانوا أرادوا الرجوع إلىٰ المدينة فثناها ذلك واستمروا راجعين إلىٰ مكة.

وظفر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص فأمر بضرب عنقه، وهو والد عائشة أم عبد الملك بن مران، فلم يقتل في غزوة حمراء الأسد سواه.[٢]

---

(١) سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد(٤/ ٢١٢)

(٢) زاد المعاد(٣/ ٢٤٣) ، سيرة ابن هشام(٢/ ١٠٥) ، الفصول(١٥١-١٥٢)

(وصاهر الرسول فيها عمرا... إذ قد بنىٰ بحفصة واشتُهرا) : ثم تزوج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بحفصة في السنة الثالثة من الهجرة بعد أن تأيمت من خنيس بن حذافة السهمي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ، وفي البخاري(٥١٢٢) أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ : سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ لَقِيَنِي فَقَالَ : قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. قَالَ عُمَرُ : فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقُلْتُ : إِنْ شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِّي عَلَىٰ عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ، فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا ؟ قَالَ عُمَرُ : قُلْتُ : نَعَمْ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَبِلْتُهَا.

وقد طلقها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ثم راجعها كما عند أبي داود(٢٢٨٣) عَنْ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ:(أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ طَلَّقَ حَفْصَةَ ثُمَّ رَاجَعَهَا)، والحديث صحيح.

وجاء أنه راجعها بأمر جبريل له كما عند أبي نعيم في الحلية(٢/ ٥٠) والحاكم في المستدرك(٦٧٥٣) أنه قال له : (رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ). والحديث في السلسلة الصحيحة للألباني رَحِمَهُٱللَّهُ(٥/ ١٧).

وفي هذا دليل علىٰ فضلها وعبادتها وأنها زوج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الجنة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

وتوفيت سنة إحدىٰ وأربعين ، وقيل: خمس وأربعين ، بالمدينة. [١]

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي(٢/ ٢٢٩) ، الفصول(٢٤٤)

٢١٧- فِـي السَّـنَةِ الرَّابِعَـةِ الْهِجْرِيَّـهْ ** بَعْـثُ الرَّجِيـعِ ثُلَّـةٌ زَكِيَّـهْ

٢١٨- إِذْ قَتَـلَ الْكُفَّـارُ مِـنْهُمْ مَرْثَـدَا ** وَأَدْخَلُـوا خُبَيْـبَ أَيْضًـا مَرْقَـدَا

الشَّرْحُ

(في السنة الرابعة الهجرية... بعث الرجيع ثُلَّة زكية) : بعد غزوة أحد بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث الرجيع ، وذلك في صفر من السنة الرابعة للهجرة ، وذكر بعضهم أنها كانت في أواخر السنة الثالثة للهجرة منهم ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام ، ونقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح.

والرَّجِيع : بفتح الراء وكسر الجيم هو في الأصل اسم للروث سمي بذلك لاستحالته ، والمراد هنا اسم موضع من بلاد هُذَيل كانت الوقعة بالقرب منه فسميت به. ذكره الحافظ في الفتح.

وسبب غزوة الرجيع أن عَضل والقارة وهما قبيلتان قدموا إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسألوه أن يبعث من يعلمهم ويقرؤهم القرآن فبعث ستة نفر من أصحابه في قول ابن إسحاق ، وعند البخاري في صحيحه أنهم كانوا عشرة وهو الصحيح.

وفي البخاري أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثهم عينا أي يستطلعون أخبار العدو ، والله أعلم بالصواب.

وجاء في السير أنه أمَّر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وفي البخاري أنه أمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري ، قال الحافظ في الفتح : (وأمر عليهم عاصم بن ثابت كذا في الصحيح وفي السيرة أن الأمير عليهم كان مرثد بن أبي مرثد ، وما في الصحيح أصح)اهـ

وكان منهم خُبيب بن عدي، فذهبوا معهم، فلما كانوا بالرجيع غدروا بهم، واستصرخوا عليهم هذيلاً، فجاؤوا فأحاطوا بهم فقتلوا عامتهم، واستأسروا منهم خُبيب بن عدي وزيد بن الدَّثِنَة فذهبوا بهما فباعوهما بمكة، وذلك بسبب ما كانا قتلا من كفار قريش في يوم بدر.

فأما خبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فمكث عندهم مسجونـًا ثم أجمعوا لقتله فخرجوا به إلىٰ التنعيم ليصلبوه فاستأذنهم أن يصلي ركعتين فأذنوا له ؛ فصلاهما ، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من سَنّ الركعتين عند القتل ، ثم قال : والله لولا أن تقولوا أن ما بي جزع لزدت، ثم قال :

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَل مُسْلِمًا ** عَلَىٰ أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلّه مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ** يُبَارِكْ عَلَىٰ أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فقام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله.

وأما زيد بن الدَّثِنَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فابتاعه صفوان بن أمية فقتله بأبيه.

وفي البخاري(٤٠٨٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ - وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - فَانْطَلَقُوا حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ، وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو لِحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّىٰ أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَىٰ تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا : هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ. فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّىٰ لَحِقُوهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَىٰ عَاصِمٌ، وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَىٰ فَدْفَدٍ ، وَجَاءَ الْقَوْمُ، فَأَحَاطُوا بِهِمْ، فَقَالُوا : لَكُمُ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا ؛ أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا. فَقَالَ عَاصِمٌ : أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ. فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ، وَبَقِيَ خُبَيْبٌ، وَزَيْدٌ، وَرَجُلٌ آخَرُ، فَأَعْطَوْهُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِي مَعَهُمَا : هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ. فَأَبَىٰ أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَجَرَّرُوهُ، وَعَالَجُوهُ عَلَىٰ أَنْ

يَصْحَبَهُمْ، فَلَمْ يَفْعَلْ، فَقَتَلُوهُ، وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَزَيْدٍ حَتَّىٰ بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَىٰ خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّىٰ إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ اسْتَعَارَ مُوسًىٰ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ أَسْتَحِدُّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ، قَالَتْ : فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي، فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّىٰ أَتَاهُ، فَوَضَعَهُ عَلَىٰ فَخِذِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذَاكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ الْمُوسَىٰ، فَقَالَ : أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَاكِ إِنْ شَاءَ الله. وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ ؛ لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقٌ رَزَقَهُ الله، فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ : دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ : لَوْلَا أَنْ تَرَوْا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَزِدْتُ. فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا. ثُمَّ قَالَ :

مَـا أُبَـالِي حِـينَ أُقْتَـلُ مُسْـلِمًا ** عَلَـىٰ أَيِّ شِـقٍّ كَـانَ لِلـه مَصْـرَعِي
وَذَلِـكَ فِـي ذَاتِ الْإِلَـهِ وَإِنْ يَشَـأْ ** يُبَـارِكْ عَلَـىٰ أَوْصَـالِ شِـلْوٍ مُمَـزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ، فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ عَاصِمٍ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ الله عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَىٰ شَيْءٍ).

قوله : (**فَبَعَثَ الله عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ**) : الدَّبْر : ذكور النحل.

والمراد : أن الله حمىٰ جسد عاصم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كفار قريش بتظليل ذكور النحل لجسده ؛ فلم يقدروا علىٰ أن يقطعوا من لحمه شيئًا.

(إذ قتل الكفار منهم مرثدا) : الغنوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وتقدم أن أصحاب السير ذكروا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمره ، وفي البخاري أنه أمر عاصم بن ثابت وهو الأصح ، والله أعلم.

(وأدخلوا خُبيب أيضا مرقدا) : وقُتل خبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كما تقدم. (١)

(١) سيرة ابن هشام(٢/ ١٦٩) ، الفصول(١٥٤) ، الفتح للحافظ(٣٩٠٥) ، زاد المعاد(٣/ ٢١٨)

٢١٩- وَبَعْـدَ ذَا بَعْـثٌ إِلَـىٰ مَعُونَـهْ ** بِئْـرٌ غَـدَا بِالْفِعْلَـةِ الْمَلْعُونَـهْ

٢٢٠- سَـبْعُونَ مِـنْ قُرَّائِنَـا قَـدْ قَتَلُـوا ** غَـدْرًا فَيَـا وَيْحَهُـمُ مَـا فَعَلُـوا

٢٢١- شَـهْرٌ عَلَـيْهِمُ الرَّسُـولُ يَقْنُـتُ ** رِعْـلٌ وَذَكْـوَانٌ بَغَـوْا تَعَنَّتُـوا

الشَّرْحُ

(وبعد ذا بعث إلىٰ معونة) : أشار الناظم حفظه الله إلىٰ وقعة بئر معونة وكانت بعد بعث الرجيع في شهر واحد في صفر في السنة الرابعة للهجرة.

وذلك أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أرسل بعثا من الصحابة إلىٰ نجد يدعونهم إلىٰ الإسلام ، وكان أبو البراء عامر بن مالك المدعو ملاعب الأسنة - ويقال ملاعب الرماح لشجاعته - قدم علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المدينة فدعاه إلىٰ الإسلام فلم يسلم، ثم طلب من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يبعث من أصحابه إلىٰ أهل نجد يدعونهم إلىٰ الإسلام ، وتعهد أنهم سيكونون في جواره .

فبعث رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إليهم سبعين رجلا من الصحابة ، وأمر عليهم المنذر بن عمرو أحد بني ساعدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ جميعا ، وكانوا من فضلاء الصحابة وقرائهم ، فنهضوا فنزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم ، ثم بعثوا منها حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ

عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر به فقتله رجل ضربه بحربة، ثم استنفر عدو الله عامر: بني عامر إلىٰ قتال الباقين، فلم يجيبوه، لأجل جوار ملاعب الأسنة ، فاستنفر بني سليم فأجابته عُصية ورعل وذكوان، فأحاطوا بأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقاتلوا حتىٰ قتلوا عن آخرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إلا كعب بن زيد من بني النجار ، فعاش حتىٰ قتل يوم الخندق ، وجاء أنه نجا معه عمرو بن أمية الضمري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا ، فأنزل الله تعالىٰ في شأنهم قرآنا يتلىٰ : (إنَّا قَد لَقِينا ربَّنا فرَضِيَ عنَّا وأرْضانا)، ثم نسخت تلاوته.

و مماجاء في ذلك : مارواه البخاري(٢٨٠١) ، ومسلم(٦٧٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ نَاسٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمُ : الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالْمَاءِ، فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ، فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ، وَلِلْفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضُوا لَهُمْ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ، فَقَالُوا : اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا. قَالَ : وَأَتَىٰ رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ،

حَتَّىٰ أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ : فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : (إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا : اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا).

وفي رواية أخرىٰ في البخاري(٤٠٩٠) : (أَنَّ رِعْلًا، وذَكْوَانَ، وعُصَيَّةَ، وبَنِي لَحْيَانَ، اسْتَمَدُّوا رَسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علَىٰ عَدُوٍّ، فأمَدَّهُمْ بسَبْعِينَ مِنَ الأنْصَارِ، كُنَّا نُسَمِّيهِمُ القُرَّاءَ في زَمَانِهِمْ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بالنَّهَارِ، ويُصَلُّونَ باللَّيْلِ، حتَّىٰ كَانُوا ببِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُمْ وغَدَرُوا بهِمْ، فَبَلَغَ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو في الصُّبْحِ علَىٰ أحْيَاءٍ مِن أحْيَاءِ العَرَبِ، علَىٰ رِعْلٍ، وذَكْوَانَ، وعُصَيَّةَ، وبَنِي لَحْيَانَ قَالَ أَنَسٌ: فَقَرَأْنَا فيهم قُرْآنًا، ثُمَّ إنَّ ذلكَ رُفِعَ: بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أنَّا لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وأَرْضَانَا).

وفي مصنف عبدالرزاق(٩٧٤١) من حديث كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (جاء ملاعب الأسنة إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بهدية، فعرض عليه الإسلام فأبىٰ أن يسلم، فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فإني لا أقبل هدية من مشرك، قال: فابعث إلىٰ أهل نجد من شئت فأنا لهم جار، فبعث إليهم بقوم فيهم المنذر بن عمرو، وهو الذي يقال له – المعتق ليموت – أو – أعتق عند الموت – ، فاستجاش عليهم

عامر بن الطفيل بني عامر فأبوا أن يطيعوه، وأبوا أن يخفروا ملاعب الأسنة، فاستجاش عليهم بني سليم، فأطاعوه، فاتبعهم بقريب من مائة رجل رام فأدركهم ببئر معونة، فقتلوهم إلا عمرو بن أمية).

(بئر غدا بالفعلة الملعونة) : وهي غدر بني سليم بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقتلهم عند هذه البئر.

(سبعون من قرائنا قد قتلوا): هذا الذين ورد في الصحيحين أنهم كانوا سبعين رجلا ، وذكر ابن اسحاق أنهم كانوا أربعين رجلا ، والصواب ماجاء في الصحيحين.

(غدرا فيا ويحهم ما فعلوا) : أي: فيا ويح رعل وذكوان وعُصية مما فعلوه بصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(شهر عليهم الرسول يقنت... رعل وذكوان بغوا تعنتوا) : لما بلغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرهم حزن لذلك حزنًا شديدًا ؛ فقنت شهرا يدعو في الصبح علىٰ رعل وذكوان وعُصية كما تقدم ، وعند أبي داود(١٤٤٣) بسند حسن من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : (قَنَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهْرًا مُتَتَابِعًا فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَصَلَاةِ الصُّبْحِ، فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، إِذَا قَالَ

: (سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ) مِنَ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ يَدْعُو عَلَىٰ أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ : عَلَىٰ رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَيُؤَمِّنُ مَنْ خَلْفَهُ).

ثم ترك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء عليهم لما نزل قول الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

٢٢٢- ثُـمَّ تَلَاهَـا غَـزْوَةُ النَّضِـيرِ ** إِذْ مَكَـرَ الْيَهُـودُ بِالنَّـذِيرِ

٢٢٣- قَـدْ كَـانَ فَـيْءٌ لِلرَّسُـولِ يُـذْكَرُ ** أَحْمَـدُ رَبِّـي دَائِمًـا وَأَشْـكُرُ

٢٢٤- أَحْدَاثُهَا قَدْ ذُكِرَتْ فِي الْحَشْـرِ ** فِـي سُـورَةٍ مُحْكَمَـةٍ فِـي الـذِّكْرِ

الشَّرْحُ

(ثم تلاها غزوة النضيرِ) : أي: ثم تلا وقعة بئر معونة غزوة بني النضير وكانت في شهر ربيع الأول في السنة الرابعة للهجرة علىٰ الصحيح.

وقال الزهري عن عروة : (كانت علىٰ رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد) ، علقه البخاري في المغازي باب حديث بني النضير ، ووصله عبدالرزاق في مصنفه(٩٧٣٢).

والصحيح ما ذكره ابن إسحاق ووافقه جل أهل المغازي أنها كانت بعد بئر معونة وأحد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد (٣/ ٢٤٩): (وزعم محمد بن شهاب الزهري أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه بل الذي لا شك فيه أنها كانت بعد أحد، والتي كانت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية، وكان له مع اليهود أربع

غزوات، أولها: غزوة بني قينقاع بعد بدر، والثانية: بني النضير بعد أحد، والثالثة: قريظة بعد الخندق والرابعة: خيبر بعد الحديبية)اهـ

(إذ مكر اليهود بالنذيرِ) : أي : إذ مكر اليهود بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأرادوا قتله ، وذلك أن عمرو بن أمية الضمري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أرسله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وقعة بعث الرجيع لأخذ جثة خبيب بن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مر ومعه المنذر بن محمد بن عقبة ، فرأيا الطير تحوم علىٰ موضع عند بئر معونة التي قتل عندها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غدرا ، فنزل المنذر بن محمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقاتل المشركين حتىٰ قتل مع أصحابه، وأُسر عمرو بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فلما أخبرهم أنه من مضر جزَّ عامر بن الطفيل مقدمة شعر رأسه وأعتقه فيما زعم عن رقبة كانت علىٰ أمه.

ورجع عمرو بن أمية ، فلما كان بموضع يقال له القَرْقَرَة نزل في ظل، فجاء رجلان من بني كلاب، وقيل من بني سليم فنزلا معه فيه، فلما ناما قتلهما عمرو وهو يرىٰ أنه قد أصاب ثأراً من أصحابه، وكان معهما عهد من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعلم به ، فلما قدم أخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما فعل ؛ فأراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يؤدي ديتهما ، وقد ثبت في سنن أبي داود(٤٥٨٣)

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (دِيَةُ الْمُعَاهَدِ نِصْفُ دِيَةِ الْحُرِّ).

ونهض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه الكريمة إلىٰ بني النضير ليستعين بهم في دفع الدية لما بينه وبينهم من الحلف، فقالوا: نعم نعينك.

وجلس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وأبو بكر وعمر وعلي وطائفة من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تحت جدار لهم، فاجتمعوا فيما بينهم وقالوا: من يلقي بهذه الرحا علىٰ محمد فيقتله؟ فانتدب لذلك عمرو بن جِحَاش.

فأوحىٰ الله إلىٰ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما هموا به ؛ فنهض صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وقته من بين أصحابه، فلم يتناه دون المدينة، وجاء من أخبر أنه رآه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ داخلاً في حيطان المدينة، فقام أبو بكر ومن معه فاتبعوه، فأخبرهم بما أعلمه الله من أمر اليهود ؛ فندب الناس إلىٰ قتالهم، فخرج واستعمل علىٰ المدينة ابن أم مكتوم وذلك في ربيع الأول فحاصرهم ست ليال منه.

ودس عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه من المنافقين إلىٰ بني النضير: أنّا معكم نقاتل معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم.

فاغتر أولئك بهذا، فتحصنوا في حصونهم ، منتظرين لنصرتهم ، ولكنهم خذلوهم ولم ينصروهم ، وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر:١١-١٢].

وحاصرهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ستة أيام ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ؛ فسألوا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يجليهم ويحقن دماءهم علىٰ أن لهم ما حملت إبلهم غير السلاح فأجابهم إلىٰ ذلك ، وأجلاهم إلىٰ الشام .

وزيادة في خزيهم وإهانتهم وإذلالهم أمر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقطع نخيلهم وإحراقها ، ففي البخاري(٤٠٣١) ، ومسلم(١٧٤٦) عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ : حَرَّقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَقَطَعَ وَهِيَ الْبُوَيْرَةُ، فَنَزَلَتْ : ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر:٥].

(قد كان في يء للرسول يذكر... أحمد ربي دائما وأشكرُ) : أي: قد كانت أموال بني النضير مما أفاء الله علىٰ رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فلم يوجف المسلمون بخيل ولا ركاب ، وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ

أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦].

والفيء : ما أُخذ من أموال الكفار بغير قتال.

(أحداثها قد ذكرت في الحشرِ... في سورة محكمة في الذكرِ) : أي : أن سورة الحشر بتمامها في شأن بني النضير حتىٰ كان عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يسميها سورة بني النضير ، ففي البخاري(٤٠٢٩) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : سُورَةُ الْحَشْرِ. قَالَ، قُلْ : سُورَةُ النَّضِيرِ. (١)

(١) الفتح للحافظ(٧/ ٣٣٠) ، زاد المعاد(٣/ ٢٤٩) ، جوامع السير لابن حزم(١٨١) ، البداية والنهاية(٤/ ٧٨) ، الفصول(١٥٨)

٢٢٥- وَبَعْـدَهَا غَـزْوَةُ ذِي الرِّقَـاعِ ** إِلَـىٰ ذُرَىٰ نَجْـدٍ مِـنَ الْبِقَـاعِ

٢٢٦- وَكَـانَ فَـرْضٌ لِصَلَاةِ الْخَـوْفِ ** فَجَنَّـبَ اللهُ شُـرُورَ الْحَيْـفِ

٢٢٧- وَكَـانَ فِيهَـا آيَـةُ التَّـيَمُّمِ ** تَخْفِيـفُ رَبِّنَـا الْكَـرِيمِ الْمُـنْعِمِ

٢٢٨- ثُـمَّ تَلَاهَـا غَـزْوُ بَـدْرٍ صُـغْرَىٰ ** وَدَوْمَـةُ الْجَنْـدَلِ كَانَـتْ ذِكْـرَىٰ

الشَّرْحُ

(وبعدها غزوة ذي الرقاعِ) : أي : وبعد غزوة بني النضير، غزوة ذات الرِّقاع، ويقال لها : غزوة نجد، ويقال: غزوة مُحارِب.

وسميت هذه الغزوة بذات الرقاع؛ لأن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ لفوا علىٰ أرجلهم الخرق بعد أن تَنَقَّبت خفافهم.

ففي البخاري(٤١٢٨) ، ومسلم(١٨١٦) عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا ، وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَىٰ أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ ؛ فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرَقِ عَلَىٰ أَرْجُلِنَا).

وقيل : سميت ذات الرقاع باسم شجرة كانت في ذلك المحل يقال لها ذات الرقاع.

وقيل : إنما قيل لها ذات الرِّقاع ؛ لأنهم نزلوا بجبل يقال له ذات الرِّقاع.

وقيل : غير ذلك.

والصواب ماتقدم في حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد اختلف أهل العلم متىٰ كانت غزوة ذات الرقاع ؛ فذهب بعضهم إلىٰ أنها كانت في السنة الرابعة، وبهذا جزم الحافظ ابن كثير فقال في الفصول(١٥٨) : (ثم غزا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزوة ذات الرقاع، وهي غزوة نجد ؛ فخرج في جمادىٰ الأولىٰ من هذه السنة الرابعة..)اهـ

وجزم بهذا أيضا الحافظ ابن حجر في الفتح(٢٧١٨).

وذهب آخرون إلىٰ أنها كانت بعد غزوة خيبر في السنة السابعة ، وهذا قول الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ ، واستدل علىٰ ذلك بأن أبا موسىٰ وأبا هريرة قدما أيام خيبر، وقد شهدا غزوة ذات الرقاع ؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ : (باب غزوة ذات الرقاع ، وهي غزوة مُحَارِب خَصَفة من بني ثعلبة من غَطَفان فنزل نَخْلَا، وهي بعد خيبر ؛ لأن أبا موسىٰ جاء بعد خيبر).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تحت حديث رقم (٤١٣٧) : (وإنما جاء أبو هريرة إلىٰ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيام خيبر).

قال الحافظ في الفتح : (يريد بذلك تأكيد ما ذهب إليه من أن غزوة ذات الرقاع كانت بعد خيبر)اهـ

ونصر هذا القول ابن القيم في زاد المعاد(٣/ ٢٢٦) ؛ فقال بعد أن ذكر أن أبا موسىٰ وأبا هريرة شهدا غزوة ذات الرقاع :(وهذا يدل علىٰ أن غزوة ذات الرقاع بعد خيبر، وأن من جعلها قبل الخندق فقد وهم وهما ظاهرًا)اهـ

وادعىٰ البعض أن غزوة ذات الرقاع كانت مرتين مرة قبل الخندق، ومرة بعدها، وهو قول بعيد .

والراجح ما قاله البخاري ونصره ابن القيم أن غزوة ذات الرقاع كانت بعد غزوة خيبر في السنة السابعة.

وفي البخاري(٤١٢٥) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّىٰ بِأَصْحَابِهِ فِي الْخَوْفِ فِي غَزْوَةِ السَّابِعَةِ ؛ غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ).

وسبب غزوة ذات الرقاع ؛ هو أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد بلغه أن جمعا من غطفان قد أجمعوا علىٰ حربه ومحالهم بنخلة قرب مكة ، فخرج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتىٰ بلغ نخلا فلم يجد في محالهم أحدا غير النسوة ، ثم لقي جمعا فتقارب الجمعان ، ولم يكن بينهما حرب ، ففي البخاري(٤١٢٧) عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : (خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ فَلَقِيَ جَمْعًا مِنْ غَطَفَانَ فَلَمْ يَكُنْ قِتَالٌ، وَأَخَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَصَلَّىٰ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَكْعَتَيِ الْخَوْفِ).

قوله(وَأَخَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا) : أي: خاف المسلمون أن يغير المشركون عليهم وهم غافلون حتىٰ صلىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالناس صلاة الخوف، وكانت أول صلاة للخوف صلاها.

(إلىٰ ذرىٰ نجد من البقاع) : لأن نَخْلا موضع بنجد من أرض غطفان.

(وكان فرض لصلاة الخوف... فجنب الله شرور الحيف) : أي: وشرعت صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع ، التي كانت في السنة السابعة علىٰ الصحيح ، ويدل علىٰ هذا حديث جابر المتقدم ، وكذلك ما جاء عند أبي داود(١٢٤٠) من طريق أبي الأسود ، أَنَّهُ سَمِعَ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ يُحَدِّثُ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، أَنَّهُ

سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ : هَلْ صَلَّيْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلاَةَ الْخَوْفِ ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : نَعَمْ.

قَالَ مَرْوَانُ : مَتَىٰ ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : عَامَ غَزْوَةِ نَجْدٍ، قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ صَلاَةِ الْعَصْرِ، فَقَامَتْ مَعَهُ طَائِفَةٌ، وَطَائِفَةٌ أُخْرَىٰ مُقَابِلَ الْعَدُوِّ، وَظُهُورُهُمْ إِلَىٰ الْقِبْلَةِ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَبَّرُوا جَمِيعًا..)الحديث.

فالصحيح أن صلاة الخوف شرعت بعد الخندق ، ويدل علىٰ ذلك مارواه أبوداود في سننه(١٢٣٦) عَنْ أَبِي عَيَّاشٍ الزُّرَقِيِّ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعُسْفَانَ، وَعَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَصَلَّيْنَا الظُّهْرَ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ : لَقَدْ أَصَبْنَا غِرَّةً، لَقَدْ أَصَبْنَا غَفْلَةً، لَوْ كُنَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِي الصَّلاَةِ. فَنَزَلَتْ آيَةُ الْقَصْرِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، فَلَمَّا حَضَرَتِ الْعَصْرُ قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَالْمُشْرِكُونَ أَمَامَهُ، فَصَفَّ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفٌّ، وَصَفَّ بَعْدَ ذَلِكَ الصَّفِّ صَفٌّ آخَرُ، فَرَكَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكَعُوا جَمِيعًا، ثُمَّ سَجَدَ وَسَجَدَ الصَّفُّ الَّذِينَ يَلُونَهُ، وَقَامَ الْآخَرُونَ يَحْرُسُونَهُمْ، فَلَمَّا صَلَّىٰ هَؤُلَاءِ السَّجْدَتَيْنِ وَقَامُوا ؛ سَجَدَ الْآخَرُونَ الَّذِينَ كَانُوا خَلْفَهُمْ، ثُمَّ تَأَخَّرَ الصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ إِلَىٰ مَقَامِ الْآخَرِينَ، وَتَقَدَّمَ الصَّفُّ

الْأَخِيرُ إِلَىٰ مَقَامِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَكَعُوا جَمِيعًا، ثُمَّ سَجَدَ وَسَجَدَ الصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ، وَقَامَ الْآخَرُونَ يَحْرُسُونَهُمْ، فَلَمَّا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّفُّ الَّذِي يَلِيهِ سَجَدَ الْآخَرُونَ، ثُمَّ جَلَسُوا جَمِيعًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، فَصَلَّاهَا بِعُسْفَانَ، وَصَلَّاهَا يَوْمَ بَنِي سُلَيْمٍ.

والحديث صحيح .

وعُسْفان كانت بعد الخندق.

وعُسْفان : بضم العين وسكون السين موضع بين مكة والمدينة.

(وكان فيها آية التيمم... تخفيف ربنا الكريم المنعم) : أي: وكان في غزوة ذات الرقاع نزول آية التيمم وهذا قول لبعض أهل العلم ، وذهب آخرون وهو المشهور إلىٰ أنها كانت في غزوة بني المصطلق وجزم بهذا ابن عبد البر في التمهيد ، وسبقه إلىٰ ذلك ابن سعد وابن حبان.

واختلف أهل العلم في تحديد آية التيمم ، هل هي آية النساء أو آية المائدة ، قال ابن العربي : (هذه مُعضلة ما وجدت لدائها من دواء، لأنا لا نعلم أي الآيتين عنت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا).

والصحيح أنها آية المائدة وقد جاء التصريح بذلك في رواية عمرو بن الحارث رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند البخاري حيث قال: فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ..﴾ الآية [المائدة: الآية ٦].

وكان سبب نزول آية التيمم ما رواه البخاري(٣٣٦) ، ومسلم(٣٦٧) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أَنَّهَا اسْتَعَارَتْ مِنْ أَسْمَاءَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قِلَادَةً، فَهَلَكَتْ فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَجُلًا فَوَجَدَهَا، فَأَدْرَكَتْهُمُ الصَّلَاةُ وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَصَلَّوْا، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ لِعَائِشَةَ : جَزَاكِ اللهُ خَيْرًا، فَوَاللهِ مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ تَكْرَهِينَهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ ذَلِكِ لَكِ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ خَيْرًا.

(ثم تلاها غزو بدر صغرىٰ) : تمييزا لها عن غزوة بدر الكبرىٰ ، وتسمىٰ أيضا غزوة بدر الثالثة ، حيث والأولىٰ التي أغار فيها كُرْز بن جابر الفِهْري علىٰ سرح المدينة ؛ فخرج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في طلبه، ففاته كُرز فلم يلحقه ؛ فرجع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ المدينة.

والثانية غزوة بدر الكبرىٰ التي كان سببها خروج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للتعرض لقافلة أبي سفيان.

وهذه كانت الثالثة، وتسمىٰ أيضا غزوة بدر الموعد ؛ لأن أبا سفيان عند انصرافهم يوم أحد نادىٰ : موعدكم وإيانا بدر العام المقبل ، فأمر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعض أصحابه أن يجيبه بنعم ، فلما كان شعبان في هذه السنة نهض رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حتىٰ أتىٰ بدراً للموعد ، واستخلف علىٰ المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي، فأقام هناك ثماني ليال، ثم رجع ولم يلق كيداً، وذلك أن أبا سفيان خرج بقريش، فلما كان ببعض الطريق قال لهم : نحن في زمن جدب فننتظر إلىٰ عام خصب ؛ فأكلوا السويق ، ثم رجعوا إلىٰ مكة ؛ ولذلك سميت أيضا بغزوة جيش السويق.

قوله (ثم تلاها) : الصحيح أن غزوة بدر الصغرىٰ قبل غزوة ذات الرقاع التي كانت في السنة السابعة علىٰ الصحيح، كما تقدم.

(ودومة الجندل كانت ذكرىٰ) : ودُومة الجَنْدل بضم الدال، موضع ما بين برك الغماد ومكة، وقيل: هي ما بين الحجاز والشام، والمعنىٰ واحد.

وغزوة دُومَة الجَنْدَل كانت في ربيع الأول من سنة خمس.

وسببها أنه بلغ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن جمعا من الكفار تجمعوا عند دُومة الجَنْدل ؛ للإغارة علىٰ القوافل التي تمر بهم، ثم الاعتداء علىٰ المدينة ومقاتلة

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طلبهم ، وفي أثناء الطريق بلغه أنهم قد فروا وتفرقوا ؛ فرجع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يلق حربا ، وكان قد استعمل علىٰ المدينة سِبَاع بن عُرْفُطَة الغفاري.(١)

(١) السيرة لابن هشام(٢/ ٢٠٤)، الفصول(١٥٨-١٦٣)، الفتح للحافظ(٢/ ٧)، زاد المعاد(٣/ ٢٢٦)، السيرة الحلبية(٢/ ٢٩٠) ، معجم البلدان(٢/ ٤٨٧)

أحداث السنة الخامسة من الهجرة وما تلاها إلى حجة الوداع

٢٢٩- وَغَـزْوَةٌ يَـدْعُونَهَا بِالْمُصْـطَلِقْ ** فِـي عَـامِ خَمْـسٍ وَبِهَـذَا يَتَّفِـقْ

٢٣٠- تَـرْجِيحُ أَقْـوَالٍ لِأَهْـلِ الْعِلْـمِ ** وَسَـرْدُهَا لَا يَنْطَـوِي فِـي الـنَّظْمِ

٢٣١- فِيهَـا تَـزَوَّجَ النَّبِـيْ جُوَيْرِيَـهْ ** مِـنْ بَعْـدِ عِتْقِهَـا وَكَانَـتْ حُورِيَـهْ

الشَّرْحُ

(أحداث السنة الخامسة من الهجرة وما تلاها إلىٰ حجة الوداع): شرع الناظم حفظه الله في سرد جملة من الأحداث والوقائع التي كانت في السنة الخامسة للهجرة وما بعدها إلىٰ حجة الوداع.

(وغزوة يدعونها بالمصطلق) : ويقال لها أيضا غزوة المريسيع ، وبنوا المصطلق: هم بطن من قبيلة خزاعة الأزديَّة اليمانيّة ، وكانوا يسكنون قُدَيْدًا وَعُسْفَان علىٰ الطريق من المدينة إلىٰ مكة.

وكانوا يعتبرون في حرب مع المسلمين، منذ اشتراكهم مع قريش في غزوة أحد.

وسبب هذه الغزوة أنه بلغ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق قد جمع الجموع وخرج لقتال المسلمين، فغار عليهم النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم غَارُون (أي: وهم غافلون) ؛ فانهزموا، وقتل بعضهم، وأخذ المسلمون أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فتمت قسمة ذلك بينهم ، وفيهم جويرية بنت الحارث ؛ ففي البخاري(٢٥٤١) ، ومسلم(١٧٣٠) من طريق ابْن عَوْنٍ ، قَالَ : كَتَبْتُ إِلَىٰ نَافِعٍ فَكَتَبَ إِلَيَّ : (إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَغَارَ عَلَىٰ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَهُمْ غَارُّونَ ، وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَىٰ عَلَىٰ الْمَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَىٰ ذَرَارِيَّهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ). حَدَّثَنِي بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْجَيْشِ.

(في عام خمس وبهذا يتفق) : أي: وكانت غزوة بني المصطلق في شعبان في السنة الخامسة للهجرة ، وهذا الذي اتفق عليه جماعة من أهل العلم، ورجحه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد فقال: (وكانت في شعبان سنة خمس)اهـ

(ترجيح أقوال لأهل العلم) : أي: والراجح أنها في السنة الخامسة، ويدل علىٰ ذلك أدلة منها ما رواه البيهقي عن عروة وموسىٰ بن عقبة عن ابن شهاب الزهري أنه قال: (ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس).

(وسردها لاينطوي في النظم) : أي وسرد الأقوال في سنة وقوع غزوة بني المصطلق لايتسع له النظم ؛ فقد اختلف العلماء في ذلك وانحصرت أقوالهم فيها في ثلاثة أقوال :

الأول : أنها كانت في شعبان من السنة الرابعة، وذهب إلىٰ هذا ابن حزم و البخاري والنووي وغيرهم.

الثاني : أنها كانت في شعبان من السنة الخامسة، وذهب إلىٰ هذا ابن قتيبة والذهبي وابن القيم وابن حجر العسقلاني وغيرهم.

الثالث : أنها كانت في شعبان من السنة السادسة، وهذا الذي قاله ابن إسحاق وتبعه علىٰ ذلك ابن جرير الطبري وابن عبدالبر وابن العربي وغيرهم.

والراجح أنها كانت في شعبان في السنة الخامسة كما تقدم ، والله أعلم.

(فيها تزوج النبي جويرية... من بعد عتقها وكانت حورية) : أي : وفي غزوة بني المصطلق تزوج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جويرية بنت الحارث رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا بعد أن أعتقها ، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس وأسلمت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا ، وكاتبها ثابت فاستعانت بالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في كتابتها.

وفي مسند أحمد (٢٦٣٦٥) ، وعند أبي داود(٣٩٣١) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ - أَوْ : لِابْنِ عَمٍّ لَهُ - وَكَاتَبَتْهُ عَلَىٰ نَفْسِهَا، وَكَانَتِ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا . قَالَتْ : فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَىٰ بَابِ حُجْرَتِي، فَكَرِهْتُهَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَىٰ مِنْهَا مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ - أَوْ : لِابْنِ عَمٍّ لَهُ - فَكَاتَبْتُهُ عَلَىٰ نَفْسِي، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَىٰ كِتَابَتِي. قَالَ : (فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكِ؟) قَالَتْ : وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : (أَقْضِي كِتَابَتَكِ، وَأَتَزَوَّجُكِ).

قَالَتْ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ : (قَدْ فَعَلْتُ). قَالَتْ : وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَىٰ النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ : أَصْهَارُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ. قَالَتْ : فَلَقَدْ أُعْتِقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا

مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَىٰ قَوْمِهَا مِنْهَا.

والحديث في الصحيح المسند للشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١٦٢٠).

ومعنىٰ قولها(مُلَاحَة) : أي ذات ملاحة وحسن ، وهو من أبنية المبالغة أي أنها كانت شديدة الملاحة.

وكانت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بركة علىٰ قومها؛ لأنه أعتق مائة أهل بيت من قومها بسببها. [١]

(١) البداية والنهاية لابن كثير(٤/ ٩٣-٩٤)، شرح مسلم للنووي(٤/ ٥٣٢)، فتح الباري لابن حجر(٧/ ٤٢٨)، المعارف لابن قتيبة(٧٠)، جوامع السير لابن حزم(٢٠٦) ، الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر(٢٠٠-٢٠٢)، عارضة الأحوذي لابن العربي(١٢/ ٤٩)، زاد المعاد لابن القيم(٣/ ٢٢٩)

٢٣٢- وَفِيهِ مَذْكُورٌ حَدِيثُ الْإِفْكِ ** يَا رَبِّ سَلِّمْنَا طَرِيقَ الشَّكِّ

٢٣٣- قَدْ خَاضَ أَقْوَامٌ بِعِرْضِ عَائِشَهْ ** فَاتْرُكْ هُدِيتَ ذِي السَّبِيلَ الطَّائِشَهْ

٢٣٤- صِدِّيقَةٌ بَرِيئَةٌ وَرَبِّي ** مَذْكُورَةٌ فِي النُّورِ قُلْ لِي حَسْبِي

الشَّرْحُ

(وفيه مذكور حديث الإفك... يارب سلمنا طريق الشك) : أي: وفي هذا العام ، وعند رجوعهم من غزوة بني المصطلق كانت حادثة الإفك الذي افتراه عبدالله بن أبي بن سلول علىٰ أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

والإفك : هو الكذب، كما في النهاية لابن الأثير.

وقصة الإفك وردت في البخاري(٢٦٦١)، ومسلم(٢٧٧٠) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّىٰ جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَىٰ الرَّحْلِ ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ

جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَىٰ بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ فَاحْتَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَىٰ سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ يَدَهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّىٰ الْإِفْكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا، يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَرَىٰ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَىٰ مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ : " كَيْفَ تِيكُمْ ؟ ". لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّىٰ نَقَهْتُ فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ ، مُتَبَرَّزُنَا، لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَىٰ لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ

الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي، فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ : تَعِسَ مِسْطَحٌ. فَقُلْتُ لَهَا : بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا ؟ فَقَالَتْ : يَا هَنْتَاهْ ، أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَىٰ مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَىٰ بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَسَلَّمَ فَقَالَ : " كَيْفَ تِيكُمْ ؟ " فَقُلْتُ : ائْذَنْ لِي إِلَىٰ أَبَوَيَّ.

قَالَتْ : وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ ؟ فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّةُ، هَوِّنِي عَلَىٰ نَفْسِكِ الشَّأْنَ ؛ فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا. فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللهِ، وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا ؟ قَالَتْ : فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ : أَهْلُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلَا نَعْلَمُ وَاللهِ إِلَّا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ

سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ فَقَالَ : " يَا بَرِيرَةُ، هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ ؟ ". فَقَالَتْ بَرِيرَةُ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنِ الْعَجِينِ فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ. فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي ؟ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا مَعِي ". فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا وَاللهِ أَعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ : كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ ، لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَىٰ ذَلِكَ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ، وَاللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ. فَثَارَ الْحَيَّانِ ؛ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، حَتَّىٰ هَمُّوا وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّىٰ سَكَتُوا وَسَكَتَ، وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ قَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا، حَتَّىٰ أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي. قَالَتْ : فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذِ اسْتَأْذَنَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ

لَهَا، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَتْ : فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ : " يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ ". فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي، حَتَّىٰ مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي : أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ : وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقُلْتُ لِأُمِّي : أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ. قَالَتْ : وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَتْ : وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ : إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ، وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ : إِنِّي بَرِيئَةٌ – وَاللهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ – لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ – وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ – لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَىٰ فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِيَ اللهُ، وَلَكِنْ وَاللهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا، وَلَأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ

أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ، فَوَاللهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّىٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: " يَا عَائِشَةُ، احْمَدِي اللهَ ؛ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللهُ ". فَقَالَتْ لِي أُمِّي : قُومِي إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقُلْتُ : لَا وَاللهِ، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [النور: ١١] الْآيَاتِ. فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ : وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَمَا قَالَ لِعَائِشَةَ. فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ : ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَلَىٰ وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي. فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ : " يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتِ ؟ مَا رَأَيْتِ ؟ " فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي ، وَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ : وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي ، فَعَصَمَهَا اللهُ بِالْوَرَعِ.

(قد خاض أقوام بعرض عائشة) : فخاض في ذلك جماعة من المنافقين وعلىٰ رأسهم عبدالله بن أُبي بن سلول الذي تولىٰ كبره ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ

ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور:١١].

وكان سبب ذلك شدة حقده وعداوته للنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ، قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في زاد المعاد(٣/ ٢٣٣) :(ووجد الخبيث عدو الله ابن أبي متنفسا؛ فتنفس من كرب النفاق والحسد الذي بين ضلوعه؛ فجعل يستحكي الإفك ويستوشيه، ويشيعه ويذيعه، ويجمعه ويفرقه، وكان أصحابه يتقربون به إليه. فلما قدموا المدينة أفاض أهل الإفك في الحديث، ورسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ساكت لا يتكلم)اهـ

وكان من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ من تأثر بما يشيعه ابن أبي ومن معه من المنافقين ؛ فعاتبهم الله سبحانه فقال: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [النور:١٢].

وقوله (بِأَنفُسِهِمْ) أي : بإخوانهم.

و قال : ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [النور:١٣] .

وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٤-١٥].

وقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٦-١٧].

(فاترك هديت ذي السبيل الطائشة) : التي تولىٰ كبرها عبدالله بن أبي ، وتبعه الرافضة إلىٰ زماننا هذا كذبا وافتراءً علىٰ أم المؤمنين عائشة العفيفة الصديقة بنت الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩] .

(صديقة بريئة وربي... مذكورة في النور قل لي حسبي) : فأنزل الله براءتها في سورة النور آيات تتلىٰ، وتولىٰ الله الدفاع عنها.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زاد المعاد(٣/ ٢٣٥) : (إن الله سبحانه أحب أن يظهر منزلة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته عنده وكرامتهم عليه، وأن يخرج رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه القضية ويتولىٰ هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه، والرد

علىٰ أعدائه وذمهم وعيبهم بأمر لا يكون له فيه عمل ولا ينسب إليه؛ بل يكون هو وحده المتولي لذلك الثائر لرسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأهل بيته. وأيضا فإن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان هو المقصود بالأذىٰ، والتي رميت زوجته، فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه أو ظنه الظن المقارب للعلم ببراءتها، ولم يظن بها سوءا قط وحاشاه وحاشاها ، ولذلك لما استعذر من أهل الإفك قال: (من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي، والله ما علمت علىٰ أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل علىٰ أهلي إلا معي)، فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثر مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه وحسن ظنه بربه وثقته به، وفَّىٰ مقام الصبر والثبات وحسن الظن بالله حقه حتىٰ جاءه الوحي بما أقر عينه، وسر قلبه وعظم قدره وظهر لأمته احتفال ربه به واعتناؤه بشأنه)اهـ

٢٣٥- فِي عَامِ خَمْسٍ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِي ** شَـوَّالِهَا أَيْضًـا فَخُـذْهَا وَاحْسِـبِ
٢٣٦- قَـدْ قَـامَ أَحْـزَابٌ بِغَـزْوِ يَثْـرِبِ ** يَبْغُونَهَـا كُفْـرًا وَمَـا مِـنْ مَهْـرَبِ
٢٣٧- فَكَـانَ خَنْـدَقٌ عَلَـىٰ الْمَدِينَـهْ ** مَكِيـدَةُ الْكُفْـرِ غَـدَتْ مَهِينَـهْ
٢٣٨- بَعْـدَ بُلُـوغِ الْقَلْـبِ لِلْحَنَـاجِرِ ** سَـلَّمَهُمْ رَبِّـي بِنَصْـرٍ حَاضِـرِ
٢٣٩- فَقَـدْ كَفَـاهُمْ رَبُّنَـا الْقِتَـالَا ** وَأَرْسَـلَ الـرِّيحَ بِهَـذَا قَـالَا

الشَّرْحُ

(في عام خمس بعد هجرة النبي... شوالها أيضا فخذها واحسبِ): شرع الناظم حفظه الله في ذكر غزوة الخندق، وتسمىٰ أيضا غزوة الأحزاب، قال الحافظ في الفتح(٧/ ٣٩٣): (أما تسميتها الخندق؛ فلأجل الخندق الذي حُفِرَ حول المدينة بأمر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأما تسميتها الأحزاب؛ فلاجتماع طوائف من المشركين علىٰ حرب المسلمين وهم قريش وغَطَفَانُ واليهود ومن تبعهم)اهـ

واختار الناظم أنها كانت في شوال في سنة خمس من الهجرة، وهذا الذي عليه جمهور أهل السير والمغازي، وهو الصواب.

قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ في زاد المعاد(٣/ ٢٦٩) : (وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال علىٰ أصح القولين؛ إذ لا خلاف أن أُحدًا كانت في شوال سنة

ثلاث، وواعد المشركون رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في العام المقبل وهو سنة أربع ثم أخلفوه؛ لأجل جدب تلك السنة؛ فرجعوا، فلما كانت سنة خمس جاءوا لحربه، هذا قول أهل السير والمغازي)اهـ

وهذا القول هو الذي اعتمده الحافظ ابن حجر في الفتح.

والقول الثاني: أنها كانت في شوال سنة أربع للهجرة، وهذا قول موسىٰ بن عقبة في مغازيه ، وقال به ابن حزم في جوامع السير ، ومال إليه البخاري، وقد رد الحافظ ابن حجر علىٰ القائلين بهذا القول، وبين ضعفه، وأنه غير معتمد، في الفتح(٧/ ٣٩٣).

(قد قام أحزاب بغزو يثربِ... يبغونها كفرا وما من مهربِ) : حيث تجمع أحزاب الكفر من اليهود والمشركين الذين تحزبوا وتجمعوا؛ لغزو المدينة؛ محاربة لدين الله كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وكان سبب غزوة الخندق أن نفراً من يهود بني النضير الذين أجلاهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من المدينة إلىٰ خيبر خرجوا إلىٰ قريش بمكة؛ فألبوهم علىٰ غزو

المدينة، ومحاربة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ووعدوهم من أنفسهم النصر؛ فأجابوهم، ثم خرجوا إلىٰ غطفان فدعوهم؛ فأجابوهم أيضاً.

فخرجت قريش بقيادة أبي سفيان بن حرب، وغطفان بقيادة عيينة بن حصن.

وكان عدد جيش الأحزاب الذين تجمعوا علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه نحو عشرة آلاف رجل ، أي يزيد علىٰ عدد سكان المدينة رجالا ونساء، صغارا وكبارا، في جوعٍ شديدٍ، وبردٍ قارسٍ؛ فكان في ذلك ابتلاءٌ شديدٌ.

ولذلك انقسم الناس تجاه الأحزاب إلىٰ قسمين :

القسم الأول: وهم المؤمنون الذين آمنوا بوعد الله، وصدقوا بنصر رسالته، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

القسم الثاني: وهم أهل النفاق الذين تتجلَّىٰ حقائقهم في هذه المواطن؛ فقد تزعزعت قلوبهم، وانخلعت صدورهم لرؤية الجموع والعدد والعدة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢].

وكان عدد جيش المسلمين في هذه الغزوة ثلاثة آلاف مقاتل علىٰ الصحيح.

وقوله (يَثْرب) : هذا هو الاسم السابق للمدينة قبل هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسميت بذلك نسبة إلىٰ يثرب بن قاينة بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح.

وبعد هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صارت تسمىٰ المدينة وطيبة وطابة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مسلم(١٥/ ٣١): (وأما " يثرب " فهو اسمها في الجاهلية؛ فسماها الله تعالىٰ المدينة، وسماها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طيبة وطابة)اهـ

وقد استدل بعض أهل العلم بما أخرجه البخاري(١٨٧١)، ومسلم(١٣٨٢) من حديث أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَىٰ ، يَقُولُونَ يَثْرِبُ ، وَهِيَ المَدِينَةُ)، علىٰ كراهية تسميتها بيثرب؛ فقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في التمهيد(٢٣/ ١٧١) : (وفي هذا الحديث دليل علىٰ كراهية تسمية المدينة بيثرب علىٰ ما كانت تسمىٰ في الجاهلية)اهـ ، والله أعلم.

(فكان خندق علىٰ المدينة) : حيث أمر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بحفر خندق لحماية المدينة، ولم يكن ذلك معروفا عند العرب، وإنما أشار بهذا سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ؛ لأن ذلك كان معروفا عند الفرس في حروبهم.

قال السهيلي في الروض الأنف(٦/ ٣٠٦): (حَفْرُ الخندق لم يكن من عادة العرب، ولكنه من مكايد الفرس وحروبها، ولذلك أشار به سلمان الفارسي)اهـ

وفي البخاري(٤٠٩٩)(٤١٠٠)، ومسلم(١٨٠٥) عن أَنَس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَال : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ الْخَنْدَقِ فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ، وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَىٰ مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ ، وَالْجُوعِ قَالَ : (اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ). فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ :

نَحْــنُ الَّــذِينَ بَــايَعُوا مُحَمَّــدَا ** عَلَــىٰ الْجِهَــادِ مَــا بَقِينَــا أَبَــدَا

وفي لفظ :(جَعَلَ الْمُهَاجِرُونَ، وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ الْخَنْدَقَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَىٰ مُتُونِهِمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ:

نَحْــنُ الَّــذِينَ بَــايَعُوا مُحَمَّــدَا ** عَلَــىٰ الْإِسْــلَامِ مَــا بَقِينَــا أَبَــدَا

قَالَ : يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وَهُوَ يُجِيبُهُمْ :

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَهْ ** فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ

قَالَ: يُؤْتَوْنَ بِمِلْءِ كَفِّي مِنَ الشَّعِيرِ فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ تُوضَعُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَوْمِ، وَالْقَوْمُ جِيَاعٌ وَهِيَ بَشِعَةٌ فِي الْحَلْقِ، وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ).

وفي البخاري(٤١٠٦)، ومسلم(١٨٠٣) من حديث الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الْخَنْدَقِ حَتَّىٰ وَارَىٰ عَنِّي الْغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ، يَقُولُ :

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ** وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ** وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الْأُلَىٰ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ** وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا).

فقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه بحفر الخندق حتىٰ لايتمكن المشركون من دخول المدينة، وأمر برفع النساء والصبيان والذراري إلىٰ الآطام وهي الحصون؛ لئلا يصل إليهم المشركون.

(مكيدة الكفر غدت مهينة) : فأهانهم الله ورد كيدهم وبالا عليهم؛ فعادوا خائبين.

(بعد بلوغ القلب للحناجرِ) : حيث كان البلاء شديدا في هذه الغزوة، وفي ذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٩-١١].

(سلمهم ربي بنصرٍ حاضرِ) : فكان من فضل الله عليهم أن سلمهم من القتال؛ فلم يكن في غزوة الخندق قتال؛ لأن الخندق كان يحجبهم عن الكفار بإرادة الله وتيسيره وحفظه لأوليائه، وإنما كان هنالك ترامي بينهم بالنبال وبالحجارة ، وتسلل بعض فوارسهم كعمرو بن ود فبارزه علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فقتله، وكان عمرو مشهورا بالشجاعة والفروسية؛ فلما علم أصحابه بقتله؛ رجعوا إلىٰ أصحابهم خائبين، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

(فقد كفاهم ربنا القتالا... وأرسل الريح بهذا قالا) : فكفىٰ الله المؤمنين القتال، وأرسل علىٰ المشركين الريح وهي جند من جنود الله، وأنزل عليهم الملائكة، وكانت الريح شديدة لا تقر لهم قرارا؛ فولوا هاربين، وكان هذا من أعظم النصر للمؤمنين؛ فلذلك قال الله سبحانه ممتنا عليهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ

نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:٢٥].

وفي البخاري(١٠٣٥)، ومسلم(٩٠٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ). (١)

(١) السيرة لابن هشام(٢/ ٢١٤)، السيرة لابن كثير(٣/ ١٨٠)، الفصول(١٦٤)، جوامع السيرة لابن حزم(١٤٧)، العسل المصفىٰ(٢٥٠)

٢٤٠- وَوَضَعَ الرَّسُولُ لَامَ الْحَرْبِ ** وَجَاءَ جِبْرِيلُ بِهَذَا الْعُتْبِ

٢٤١- فَانْطَلَقَ النَّاسُ إِلَىٰ قُرَيْظَهْ ** مُمْتَثِلًا لِهَذِهِ الْفَرِيضَهْ

٢٤٢- وَابْنُ مُعَاذٍ كَانَ فِيهِمْ حَكَمَا ** قَتْلُ الْكِبَارِ وَالذَّرَارِي خَدَمَا

الشَّرْحُ

(ووضع الرسول لام الحرب... وجاء جبريل بهذا العتب): لما هزم الله الأحزاب وردهم خاسرين؛ رجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخندق إلىٰ بيته، ووضع السلاح، واغتسل، فأتاه جبريل وأمره بالخروج إلىٰ بني قريظة كما في البخاري(٢٨١٣)، ومسلم(١٧٦٩) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الْغُبَارُ، فَقَالَ : وَضَعْتَ السِّلَاحَ ؟ فَوَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَأَيْنَ ؟). قَالَ : هَاهُنَا. وَأَوْمَأَ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ. قَالَتْ : فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

وبنو قريظة هم قبيلة من اليهود كانوا بالمدينة قبل هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها، وعقد معهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلحًا، ولكنهم خانوا العهد في أشد الأوقات وغدروا بالمسلمين؛ بأن تحالفوا مع الأحزاب، وكانت ديارهم في

العوالي في الجنوب الشرقي للمدينة علىٰ وادي مهزوز؛ فكان موقعهم يمكنهم من إلحاق الضرر الشديد بالمسلمين من الخلف، حيث كاد جيش المشركين أن يدخل من ناحيتهم إلىٰ المدينة إلا أن الله أدرك المسلمين بعنايته ورحمته، فكان غدرهم ونكثهم للعهد سببا لغزوهم.

(فانطلق الناس إلىٰ قريظه... ممتثلًا لهذه الفريضه): أي: انطلق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلىٰ بني قريظة امتثالا لأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث أمرهم ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة كما في البخاري(٩٤٦)، ومسلم(١٧٧٠) عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْأَحْزَابِ : (لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ). فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ الْعَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا نُصَلِّي حَتَّىٰ نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ نُصَلِّي ؛ لَمْ يُرَدْ مِنَّا. ذَلِكَ فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ).

فكانت غزوة بني قريظة بعد غزوة الخندق مباشرة، كما في غزوة بني قينقاع، وغزوة بني النضير ؛ فكل غزوة من هذه الغزوات كانت بعد غزوة من الغزوات الكبار قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد(٣/ ١٢٣): (وكانت غزوة كل طائفة

منهم عقب كل غزوة من الغزوات الكبار؛ فغزوة بني قينقاع عقب بدر، وغزوة بني النضير عقب غزوة أحد، وغزوة بني قريظة عقب الخندق)اهـ

ولما توجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه للخروج ؛ تقدم جبريل ومعه جمع من الملائكة عليهم الصلاة والسلام للمشاركة في غزو بني قريظة كما في البخاري(٤١١٨) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ).

وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح(٧/ ٤٠٨) أن غزوة بني قريظة كانت لسبع بقين من ذي القعدة في السنة الخامسة من الهجرة.

وكان عدد جيش المسلمين فيها ثلاثة آلاف رجل ، وذكر ابن سعد : أنه كان مع المسلمين ستة وثلاثون فرسا.

وتحصن بنو قريظة في حصونهم ؛ فحاصرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خمسًا وعشرين ليلة، وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد ثلاث خصال : إما أن يسلموا ويدخلوا مع محمد في دينه، وإما أن يقتلوا ذراريهم ويخرجوا جرائد فيقاتلوا حتىٰ يقتلوا عن آخرهم أو يخلصوا فيصيبوا بعد الأولاد والنساء، وإما

أن يهجموا علىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه يوم سبت حين يأمن المسلمون شرهم؛ فأبوا عليه واحدة منهن.

ثم استشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر الأوسي، كما عند أحمد في المسند(٢٥٠٩٧) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا وفيه:(فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَحَاصَرَهُمْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، فَلَمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهُمْ، وَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ، قِيلَ لَهُمُ : انْزِلُوا عَلَىٰ حُكْمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَاسْتَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ الذَّبْحُ)، والحديث حسن، وله شواهد، وقال الحافظ في الفتح(١١/ ٥٣) وإسناده حسن، وحسنه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في الصحيحة(٦٧).

ثم إن بني قريظة نزلوا علىٰ حكم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثم حكَّم فيهم سعد بن معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ كما سيأتي.

(وابن معاذ كان فيهم حكما... قتل الكبار والذراري خدما): حيث رد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الحكم في بني قريظة إلىٰ سعد بن معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وكان من الأوس ، وكانوا حلفاء الأوس، وكان سعد إذ ذاك قد أصابه في غزوة الأحزاب جرح في أكحله، وقد ضرب له رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خيمةً في المسجد، ليعوده من قريب، فبعث إليه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فجيء به وقد وطؤوا له علىٰ حمار،

وإخوته من الأوس حوله محيطون به، وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فلما أكثروا عليه، قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، كما في حديث عائشة السابق عند أحمد وفيه : (قَالُوا : نَنْزِلُ عَلَىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :(انْزِلُوا عَلَىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ). فَنَزَلُوا، وَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأُتِيَ بِهِ عَلَىٰ حِمَارٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ مِنْ لِيفٍ، قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ، وَحَفَّ بِهِ قَوْمُهُ، فَقَالُوا : يَا أَبَا عَمْرٍو، حُلَفَاؤُكَ، وَمَوَالِيكَ، وَأَهْلُ النِّكَايَةِ، وَمَنْ قَدْ عَلِمْتَ. قَالَتْ : لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، حَتَّىٰ إِذَا دَنَا مِنْ دُورِهِمُ الْتَفَتَ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ : قَدْ أَنَىٰ لِي أَنْ لَا أُبَالِيَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ..)الحديث.

فحكم فيهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن تقتل المقاتلة منهم ، وتسبىٰ النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم.

والحديث في البخاري(٤١٢١) ، ومسلم(١٧٦٨) عن أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال : (نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَىٰ حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ سَعْدٍ، فَأَتَىٰ عَلَىٰ حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ : (قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ). أَوْ : (خَيْرِكُمْ). فَقَالَ : (هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِكَ). فَقَالَ :

تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ. قَالَ : (قَضَيْتَ بِحُكْمِ الله). وَرُبَّمَا قَالَ :(بِحُكْمِ الْمَلِك).

وفي البخاري(٤١٢٢)، ومسلم(١٧٦٩) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ ؛ رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ : حِبَّانُ ابْنُ الْعَرِقَةِ رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ، فَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلَاحَ، وَاغْتَسَلَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ، فَقَالَ : قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللهِ مَا وَضَعْتُهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَأَيْنَ ؟)، فَأَشَارَ إِلَىٰ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِهِ، فَرَدَّ الْحُكْمَ إِلَىٰ سَعْدٍ. قَالَ : فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ، وَأَنْ تُسْبَىٰ النِّسَاءُ وَالذُّرِّيَّةُ، وَأَنْ تُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ).

وقد ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غزوة بني قريظة في سورة الأحزاب فقال: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧].

٢٤٣- وَبَعْـدَ ذَا زَوَاجُـهُ مِـنْ زَيْنَـبِ ** زَوَّجَهَـــا اللهُ بِقَـــوْلٍ طَيِّـــبِ

٢٤٤- فِي عَامِ سِتٍّ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِي ** غَـــزْوٌ لِلِحْيَـــانَ بِـــلَادِ الْعَـــرَبِ

الشَّرْحُ

(وبعد ذا زواجه من زينب): بنت جحش أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وهي بنت عمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُميمة بنت عبدالمطلب.

كانت أولًا عند زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم طلقها وتزوجها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنة خمسٍ من ذي القعدة.

وكان اسمها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَرَّة فغيَّره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ زينب.

(زوجها الله بقول طيب) : كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧] ؛ فكان وليُّها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دون الناس، وهذا من فضائل زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ فكانت تفخر علىٰ أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في البخاري(٧٤٢٠) عن أنس وتقول: (زَوَّجَكُنَّ أَهلُوكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللهُ مِن فَوقِ سَبعِ سَمَوَاتٍ).

وهذه من خصائص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يُباح له التَّزَوُّج بغير وليٍّ ولا شهود.

ودخل عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرة من غير إذنها، كما في مسلم(١٤٢٨) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح مسلم(٩/ ٢٢٨): (فدخل عليها بغير إذن؛ لأن الله تعالىٰ زوَّجه إيَّاها بهذه الآية)اهـ

ونزلت آية الحجاب صبيحة عرسها ، كما في البخاري(٧٤٢١) عن أنس قال: (نَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَأَطْعَمَ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَىٰ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ).

وأثنت عليها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كما في صحيح مسلم(٢٤٤٢) فقالت: (..وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ. وَأَتْقَىٰ لِلَّهِ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا، تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ).

ومعنىٰ قولها :(مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا، تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ) : أي : حدة الغضب وثورانه ولكن سرعان ما ترجع للهدوء والسكون.

وهي أول أزواجه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لحاقًا به ففي مسلم(٢٤٥٢) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : (أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا) قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ.

توفيت سنة عشرين، وصلىٰ عليها عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(في عام ست بعد هجرة النبي... غزو للحيان بلاد العرب) : أشار الناظم حفظه الله إلىٰ غزوة بني لحيان، وكانت هذه الغزوة بعد قريظة بستة أشهر، وذلك في جمادىٰ الأولىٰ من السنة السادسة للهجرة علىٰ الصحيح كما قاله ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ في الفصول(١٧٧).

وقال ابن حزم رَحِمَهُٱللَّهُ في جوامع السيرة(١٥٩) : (والصحيح: أنها السنة الخامسة).

وسبب هذه الغزوة ؛ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يأخذ بثأر أصحاب الرجيع، الذي قُتِل فيه خبيب بن عدي وعاصم بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فنزل بلاد بني لحيان في واد يقال له غران، وهو بين أمج وعسفان، وكان قد بلغهم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج لقتالهم؛ فتفرَّقُوا وتحصَّنُوا في رؤوس الجبال ؛ فتركهم ثم رجع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ المدينة.

٢٤٥- ثُـمَّ تَلَاهَـا غَـزْوَةُ الْحُدَيْبِيَـهْ ** فَـتْحٌ عَظِـيمٌ وَطَرِيـقٌ مُرْضِـيَهْ

٢٤٦- وَصُلْحُهَا اشْتَدَّ عَلَىٰ الصَّحَابَهْ ** لِظُلْـمِ كُفَّـارٍ ذَوِي الْقَرَابَـهْ

٢٤٧- قَـدْ رَضِـيَ اللهُ عَـنِ الصَّـحَابَهْ ** فِـي بَيْعَـةٍ قَـدْ حَقَّقُـوا الْإِصَـابَهْ

الشَّرْحُ

(ثم تلاها غزوة الحديبية... فتح عظيم وطريق مرضية) : أي: ثم تلا غزوة بني لحيان ؛ غزوة الحديبية ويقال صلح الحديبية.

والحديبية بئر بقرب مكة، ثم أطلق علىٰ الموضع. (١)

وكانت غزوة الحديبية في ذي القعدة سنة ست علىٰ الصحيح ، وهذا الذي عليه الجمهور.

وقد خرج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من المدينة معتمرًا، وكان يقول كما في البخاري(٢٧٣١) عن المسور : (إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ).

وأحرم هو وأصحابه من ذي الحليفة ميقات أهل المدينة، وقلَّد هديه ، وأشعر البُدن وكان عددها سبعين.

---

(١) النهاية لابن الأثير(١/ ٣٤٩) ، ولسان العرب لابن منظور مادة(حدب)

كما في البخاري(١٦٩٤) من حديث المسور : (خَرَجَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ مِنَ المَدِينَةِ في بضْعَ عَشْرَةَ مِئَةً مِن أصْحَابِهِ، حتَّىٰ إذَا كَانُوا بذِي الحُلَيْفَةِ قَلَّدَ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الهَدْيَ، وأَشْعَرَ وأَحْرَمَ بالعُمْرَةِ).

وكان عدد الصحابة ألفًا وأربعمائة كما في البخاري(٤١٥٥) ومسلم(١٨٥٦) من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: (قالَ لَنَا رَسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَومَ الحُدَيْبِيَةِ: أنتُمْ خَيْرُ أهْلِ الأرْضِ. وكُنَّا ألْفًا وأَرْبَعَ مِئَةٍ، ولو كُنْتُ أُبْصِرُ اليومَ لَأَرَيْتُكُمْ مَكانَ الشَّجَرَةِ).

وجاء من حديث عبدالله بن أبي أوفى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عند البخاري(٤١٥٥) ، ومسلم(١٨٥٧) أنهم كانوا ألفا وثلاثمائة.

وجاء من حديث جابر أيضا عند البخاري(٤١٥٢) ، ومسلم(١٨٥٦) أنهم كانوا ألفا وخمسمائة.

وجمع الحافظ ابن حجر بين هذه الروايات في الفتح فقال:(والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال ألفا وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال ألفا وأربعمائة ألغاه، ويؤيده قوله في الرواية الثالثة من حديث البراء وألفا وأربعمائة أو أكثر)اهـ

ومال البيهقي للترجيح وقال إن رواية من قال ألف وأربعمائة أصح.

قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات(٣/ ٨١): (وكان الصحابة الذين بايعوا تحت الشجرة -وهي شجرة سمرة - بيعة الرضوان يوم الحديبية ألفا وأربعمائة، وقيل: ألفا وخمسمائة، وقيل: ألفا وثلاثمائة. وقد روىٰ البخاري ومسلم في صحيحيهما هذه الروايات الثلاث في باب غزوة الحديبية، والأشهر ألف وأربعمائة.

ثم قال بعد ذكره لحديث جابر : وكذا قال البيهقي، وأكثر الروايات: أن أهل الحديبية كانوا ألفا وأربعمائة رضي الله تعالىٰ عنهم)اهـ

فالأقرب أنهم كانوا ألفا وأربعمائة، وهو المشهور ، والله أعلم.

ولما بلغ قريشًا قدوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه؛ أرسلوا خالد بن الوليد في آخرين إلىٰ كراع الغميم لصدِّهم عن القدوم وقتالهم؛ فعلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بذلك ؛ فاستشار أصحابه أن يميل علىٰ ذراري من ناصر قريشًا ؛ فقال أبو بَكرٍ : يا رَسولَ اللهِ خَرجتَ عامِدًا لهذَا البَيتِ لا تُريدُ قَتلَ أَحَدٍ ولا حَربَ أحَدٍ فتوجَّهَ لهُ فَمن صدَّنا عَنهُ قاتَلناهُ. قالَ: (امضوا علَىٰ اسمِ اللهِ).

وسار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ إذا كان بالثَّنِيَّة برَكت به راحلته ، فقال الناس : حَلْ ، حَلْ خلأَت القصواء مرتين ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (ما خَلأَتْ ، وما ذلِكَ لَها بِخُلُقٍ ، ولَكِن حَبسَها حابِسُ الفيلِ).

ثم زجرها فوثَبَتْ ؛ فعدل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عنهم حتىٰ نزل أقصىٰ الحديبية، وأقام فيها نحو عشرين ليلة.

والحديث في البخاري(٤١٧٨) عن المسور بن مخرمة.

وجاء بعض المشركين إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وهو بالحديبية ؛ فبيَّن لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استعداده للصلح شرط أن يكون فيه تعظيم حرمات الله وقال كما في حديث المسور السابق عند البخاري: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ الله إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا) ؛ فجاء رجل من قريش يقال له: بُديل، وجاء عروة بن مسعود -وقد أسلم بعد ذلك- ، ثم جاء رجل من بني كنانة ورجل آخر يقال له مكرَز، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (هذا رجلٌ فاجر). ثم أقبل رجل يقال له: سهيل بن عمرو -وقد أسلم بعد ذلك- ؛ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: (لقد سهُل لكم أمركم).

ثم اتفق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ معه علىٰ شروط الصلح.

وقد جاءت هذه الشروط مستوفاة تقريبا في حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم عند أحمد ، وجاءت بعضها في حديث البراء بن عازب عند البخاري ومسلم، وفي حديث ابن عمر عند البخاري ، وفي حديث أنس عند مسلم ، وهي:

١- أن تضع الحرب أوزارها عشر سنين.

٢- أن يرجع المسلمون ولا يدخلوا مكة هذا العام.

٣- أن يأذنوا للمسلمين بالاعتمار في العام القابل.

٤- أن لا يدخل مكة إلا في جُلُبَّان السلاح ، وجاء عند أحمد عن المسور: (لا تدخلها بغير السيوف في القرب).

٥- ألا يقيم عندهم في العام القابل أكثر من ثلاثة أيام.

٦- أن من أتىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ منهم وإن كان مسلماً ؛ فإنه يرده إليهم، ومن أتىٰ قريشا من المسلمين ؛ فإنهم لا يردونه إليه.

ثم استثنىٰ الله المؤمنات المهاجرات؛ فنهاهم عن ردِّهن إلىٰ الكفار ، وحرمهن عليهم؛ فقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ [الممتحنة:١٠].

٧- أن من أحب أن يدخل في عِقْد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عِقْد قريش وعهدهم دخل فيه.(١)

(وصلحها اشتد علىٰ الصحابة... لظلم كفار ذوي القرابة) : أي : أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حزنوا من بنود صلح الحديبية، وقبول شروط الكفار، واغتمَّوا لذلك غمًّا شديدًا ، حتىٰ كاد يقتل بعضهم بعضًا ؛ لأنهم ظنوا أن في ذلك ذلَّة ودنيَّة للمسلمين وانقيادا لشروط الكفار، وقد راجع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بإلحاح كما في البخاري(٣١٨٢) ، ومسلم(١٧٨٥) من حديث سهل بن حُنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من طريق أبي وائل عنه قال: (كُنَّا بِصِفِّينَ، فَقَامَ سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ، فَقالَ: أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فإنَّا كُنَّا مع رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَومَ الحُدَيْبِيَةِ، ولو نَرَىٰ قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، أَلَسْنَا علَىٰ الحَقِّ وهُمْ علَىٰ البَاطِلِ؟ فَقالَ: بَلَىٰ. فَقالَ: أَليسَ قَتْلَانَا في الجَنَّةِ وقَتْلَاهُمْ في النَّارِ؟ قالَ: بَلَىٰ، قالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنَا، أَنَرْجِعُ ولَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بيْنَنَا وبيْنَهُمْ؟ فَقالَ: يا ابْنَ الخَطَّابِ، إنِّي رَسولُ اللهِ، ولَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا، فَانْطَلَقَ عُمَرُ إلىٰ أَبِي بَكْرٍ فَقالَ له مِثْلَ ما قالَ

---

(١) الفصول(١٨٥)

للنبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقالَ: إنَّه رَسولُ اللهِ، ولَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا، فَنَزَلَتْ سُورَةُ الفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علَىٰ عُمَرَ إلىٰ آخِرِهَا، فَقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ؟ قالَ: نَعَمْ. فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ).

ولما فرغ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من مصالحة المشركين ؛ قال لأصحابه: (قوموا فانحروا هديكم ثم احلقوا رؤوسكم) ؛ فما قام منهم أحد حتىٰ قالها ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل علىٰ أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وأخبرها، فقالت: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتىٰ تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلق رأسك. فخرج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وتحلل فلما رأىٰ الصحابة ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا ، حتىٰ كاد بعضهم يقتل بعضا غمّا).

وإنما توقف الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ رجاء نسخ الحكم وتغييره.[1]

(١) الفصول(١٨٧)

ولما رجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الحديبية ؛ أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليه سورة الفتح ، وفيها تسلية للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، وبشارة لهم ، وأن صلح الحديبية فتح مبين ، حيث سمّىٰ الله صلح الحديبية فتحًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير سورة الفتح: (جعل ذلك الصلح فتحا باعتبار مافيه من المصلحة، وما آل الأمر إليه)اهـ

ثم نقض المشركون العهد قبل انتهاء المدة ؛ فغزاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غزوة الفتح ؛ فكان فتح مكة في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة.

(قد رضي الله عن الصحابة) : كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

وهذه الآية في فضل أصحاب بيعة الرضوان.

وفي مسلم(٢٤٩٦) عن أم مبشر الأنصارية أنها سَمِعَت النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ عندَ حَفْصةَ: (لا يَدْخُلُ النَّارَ -إنْ شاءَ اللهُ- مِن أصْحابِ الشَّجَرَةِ أحَدٌ، الَّذِينَ بايَعُوا تَحْتَها).

(في بيعة قد حققوا الإصابة) : أي: في بيعة الرضوان، قد حقّق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ صدق المبايعة والاتباع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، ونالوا رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وكان سبب هذه البيعة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان قبل الصلح قد بعث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ قريش ليخبرهم أنه إنما جاء للعمرة ولم يأت لقتال.

ثم أشيع أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِل، فلما بلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دعا أصحابه إلىٰ مبايعته علىٰ الموت، وجاء في رواية: (بَايَعْنَاهُ عَلَىٰ أَنْ لَا نَفِرَّ).

وكلا الروايتين في الصحيحين.

وكانت البيعة تحت الشجرة ، وهي سمُرة.

كما في مسلم(١٨٥٦) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والسمرة: شجرة الطلح.

وكان بعض أغصانها متدليًا علىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ فكان معقل بن يسار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يرفع الأغصان لئلا تؤذي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ كما في مسلم(١٨٥٨) ، وهذا من مناقبه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وشدة محبته للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وبايع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ نفسه عن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ؛ فضرب صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ يده علىٰ يده الأخرىٰ لعثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كما في البخاري(٤٠٦٦) من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وفيه: (وكانت بَيْعَةُ الرِّضوانِ بعد ما ذهب عثمانُ إلىٰ مكةَ قال: فقال رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بيدِهِ اليُمْنَىٰ هذه يدُ عثمانَ وضرب بها علىٰ يدِهِ قال: هذه لعثمانَ).

وهذه من أعظم مناقب عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأجلّها.

٢٤٨- وَبَعْدَهَا غَزْوٌ وَيُدْعَىٰ ذَا قَرَدْ ** وَابْنٌ لِأَكْوَعٍ فَتًى فِيهَا طَرَدْ

٢٤٩- فِي عَامِ سَبْعٍ تَمَّ غَزْوُ خَيْبَرَا ** إِذْ دَخَلَ الرَّسُولُ حِينَ كَبَّرَا

٢٥٠- وَلَبِثَ الصَّحْبُ لِيَالٍ فِي الْعَدَدْ ** مُحَاصِرِينَ لِشِرَارِ ذِي الْبَلَدْ

٢٥١- فَكَانَ دَفْعُ رَايَةِ الْأَصْحَابِ ** لِابْنِ أَبِي طَالِبٍ الضَّرَّابِ

٢٥٢- فَفَتَحَ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ** وَالْتَزَمَ الْعَهْدَ الَّذِي لَدَيْهِ

الشَّرْحُ

(وبعدها غزو ويدعىٰ ذا قرد): أي: وبعد غزوة الحديبية غزوة ذي قَرَد، وتسمىٰ أيضا غزوة الغابة.

و(ذي قرد): ماء علىٰ نحو يوم من المدينة مما يلي غطفان.

واختلف أهل العلم في وقتها علىٰ قولين:

الأول: أنها كانت في السنة السادسة بعد غزوة بني لحيان وقبل الحديبية، وهذا الذي عليه أصحاب المغازي والسير.

والثاني: أنها كانت في السنة السابعة قبل غزوة خيبر بثلاث ليال أي بعد الحديبية، وهذا قول البخاري ورجحه ابن حجر في الفتح والبيهقي في الدلائل وابن القيم في الزاد، وهو ظاهر اختيار الناظم حفظه الله.

وهو الصحيح ويدل علىٰ هذا ما في صحيح مسلم(١٨٠٧) عن سلمة بن الأكوع: (...قَالَ: فَوَاللهِ، مَا لَبِثْنَا إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّىٰ خَرَجْنَا إِلَىٰ خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : (وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية، وقد وهم فيها جماعة من أهل المغازي والسير، فذكروا أنها كانت قبل الحديبية)اهـ

وسبب هذه الغزوة : أنه أغار عيينة بن حصن وأناس من غطفان علىٰ لقاح النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي بالغابة فاستاقوها وقتلوا راعيها، وهو رجل من غفار، وأخذوا امرأته.

و(**اللقاح**): جمع لقحة، واللقحة هي الناقة الحلوب، وهي ذات اللبن قريبة العهد بالولادة.

(وابن لأكوع فتىٰ فيها طرد) : أي: وسلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أول من عَلِم بأخذ غطفان للقاح النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فاستقبل المدينة وصرخ ثلاث صرخات: يا صباحاه!

فأسمع مابين لابتي المدينة؛ فغاروا، وخرج النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

ثم اندفع سلمة بن الأكوع في السعي إليهم حتىٰ أدركهم ؛ فجعل يرميهم بالنبل، ويقول:

خـذها أنـا ابـن الْأَكْـوَع ** واليـوم يـوم الرُّضَّـع

(يعني اللئام)

فهزموا واسترجع عامة ما كان في أيديهم، وقتل من قتل منهم.

والقصة بتمامها في البخاري(٤١٩٤) ومسلم(١٨٠٦) عن سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالْأُولَىٰ وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرْعَىٰ بِذِي قَرَدٍ، قَالَ : فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ : أُخِذَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قُلْتُ : مَنْ أَخَذَهَا ؟ قَالَ : غَطَفَانُ. قَالَ : فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ، يَا صَبَاحَاهْ . قَالَ : فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَىٰ وَجْهِي، حَتَّىٰ أَدْرَكْتُهُمْ وَقَدْ أَخَذُوا يَسْتَقُونَ مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي وَكُنْتُ رَامِيًا، وَأَقُولُ : أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعْ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعْ وَأَرْتَجِزُ حَتَّىٰ اسْتَنْقَذْتُ اللِّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، قَالَ : وَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ، قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ،

فَابْعَثْ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ. فَقَالَ : (يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ، مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ). قَالَ : ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَاقَتِهِ، حَتَّىٰ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ).

وكان من شهداء هذه الغزوة؛ مُحْرِز بن نَضْلَة الأخرم قتله عبد الرحمن بن عيينة؛ فحمل علىٰ عبد الرحمن أبو قتادة فقتله.

وقد أثنىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في هذه الغزوة علىٰ أبي قتادة وسلمة بن الأكوع، كما في صحيح مسلم(١٨٠٧) عن سلمة بن الأكوع وفيه : (..فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ..)الحديث.

وقوله(**رَجَّالَتِنَا**) : أي: الذين يمشون علىٰ أرجلهم.[١]

(في عام سبع تم غزو خيبرا): أي: في السنة السابعة للهجرة كانت غزوة خيبر، وقد اختلف أهل السير في وقتها علىٰ قولين:

---

(١) الفتح للحافظ(٧/ ٤٦٠)، الدلائل للبيهقي(٤/ ١٧٨)، زاد المعاد(٣/ ٢٧٩)، الفصول(١٧٨)

الأول: أنها كانت في آخر شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة، وهذا قول الجمهور، قال ابن القيم في زاد المعاد(٣/ ٣١٧): (والجمهور علىٰ أنها في السابعة)اهـ

ونصر هذا القول الحافظ ابن حجر في الفتح(٧/ ٤٦٤)، وهو الراجح.

الثاني: أنها كانت في السنة السادسة، وهذا قول مالك وأيده ابن حزم.

و(**خيبر**): بمعجمة وتحتانية وموحدة بوزن جعفر، وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع علىٰ ثمانية بُرُد من المدينة إلىٰ جهة الشام.[١]

(إذ دخل الرسول حين كبرا) : أي: أغار عليهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ مكبرا، وذلك أنه لما رجع صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ من الحديبية أقام شهر ذي الحجة بالمدينة، وفي آخر محرم خرج إلىٰ خيبر، وسار صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إليهم ليلًا، ولم يقاتلهم حتىٰ أصبح ولم يسمع أذانًا ، وكان من هدي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنه إذا أغار علىٰ قوم ينتظر حتىٰ يصبح ليتبيَّن له إسلامهم؛ فإن سمع أذانًا كفَّ عنهم وإلا قاتلهم.

---

(١) الفتح للحافظ(٧/ ٤٦٤)

فلما أصبح ولم يسمع أذانا؛ أغار عليهم، وكانوا قد انتشروا لأعمالهم في مزارعهم بفؤوسهم ومكاتلهم، ولم يشعروا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جاء لقتالهم؛ فلما رأوه قالوا: (مُحَمَّدٌ وَالله، مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ).

ثم هربوا إلىٰ حصونهم وتحصنوا فيها، فكبَّر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وقال: (اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧])، كما في البخاري(٤١٩٧)، ومسلم(١٣٦٥).

(ولبث الصحب ليال في العدد... محاصرين لشرار ذي البلد) : أي : وأقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه محاصرين ليهود خيبر مدة حتىٰ أصاب المسلمين جهد عظيم ومخمصة شديدة، كما في البخاري(٤١٩٦) ، ومسلم(١٨٠٢) عن سلمة بن الأكوع قال: (فَأَتَيْنَا خَيْبَرَ فَحَاصَرْنَاهُمْ، حَتَّىٰ أَصَابَتْنَا مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ، ثُمَّ إِنَّ اللهَ فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ).

(فكان دفع راية الأصحاب... لابن أبي طالب الضراب) : أي: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أعطىٰ الراية لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان قد تخلَّف عن خيبر؛ لأنه كان أرمدا، فأُتي به إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فبصق في عينيه ودعا له؛ فبرأ.

(ففتح الله علىٰ يديه... والتزم العهد الذي لديه): أي: وكان الفتح علىٰ يديه كما في البخاري(٤٢١٠)، ومسلم(٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ : (لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ). قَالَ : فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ : (أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟) فَقِيلَ : هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ : فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّىٰ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا. فَقَالَ : (انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ).

وقد فتح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حصون خيبر حصنًا حصنًا حتىٰ استكمل حصونهم وخمَّسَها، وقسَم نصفها بين المسلمين، وأرصد الآخر لمصالحه، ولما ينوبه من أمر المسلمين.

وكان الذين حضروا غزوة خيبر هم من شهد الحديبية ألفًا وأربعمائة على المشهور -كما تقدم- دون غيرهم، قال تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح:١٥].

وقوله: ﴿**كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ**﴾ : أي: كذلكم حكم الله من قبل أنه لا يحضر غزوة خيبر إلا من شهد الحديبية.

وقد أمضىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعده لنبيه والمؤمنين بغزوة خيبر، قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[الفتح: ١٨- ٢٠]. وقد استشهد يوم خيبر قرابة عشرين رجلا من صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ منهم عامر بن الأكوع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعا. (١)

(١) الفتح للحافظ(٧/ ٤٦٤)، دلائل النبوة للبيهقي(٤/ ١٩٧)، زاد المعاد لابن القيم(٣/ ٣١٧)، السيرة النبوية لابن كثير(٣/ ٢٤٤)، السيرة لابن هشام(٣/ ٤٥٥)، الفصول لابن كثير(١٨٩)

٢٥٣- تَحْرِيمُـهُ لِلْحُمُـرِ الْأَهْلِيَّـهْ ** قَـدْ كَـانَ فِيهَـا قِصَّـةٌ مَرْوِيَّـهْ

٢٥٤- وَكَـانَ مِنْـهُ فِعْـلُ ذِي الْمُخَـابَرَهْ ** شَـبِيهَةٌ فِـي الْحُكْـمِ بِالْمُخَاضَـرَهْ

٢٥٥- تَـزَوَّجَ النَّبِـيْ بِهَـا صَـفِيَّهْ ** عَفِيفَـةً مَلِيحَـةً وَفِيَّـهْ

الشَّرْحُ

(تحريمه للحمر الأهلية): وهذه من الأحكام التي كانت في يوم خيبر؛ تحريم لحوم الحمر الأهلية، كما في البخاري(٤٢١٧)، ومسلم(٥٦١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نَهَىٰ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ).

(قد كان فيها قصة مروية): أخرجها البخاري(٣١٥٥)، ومسلم(١٩٣٧) عن عبدِ اللهِ بنِ أبي أَوفىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أصابَتْنا مجاعةٌ ليالِيَ خَيبَرَ، فلمَّا كان يومُ خَيبَرَ وقَعْنا في الحُمُرِ الأهليَّةِ فانتَحَرْناها، فلمَّا غَلَت بها القُدورُ نادىٰ مُنادي رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أنْ أكفِئُوا القُدورَ- ورُبَّما قال- ولا تأكُلوا مِن لُحومِ الحُمُرِ شَيئًا).

(وكان منه فعل ذي المخابرة) : وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد هزيمة اليهود في خيبر حكم عليهم بالجلاء منها، ولكنهم سألوه أن يعاملهم عليها بنصف ما

يخرج منها، كما في البخاري(٢٣٢٩)، ومسلم(١٥٥١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : (عَامَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ).

فكان في هذه المعاملة دليل علىٰ جواز المخابرة.

والمخابرة : مأخوذة من (الخبار) وهي الأرض اللينة القابلة للزرع، أو من (الخبير) وهو من يحسن حرث الأرض.

وهي: العمل في أرض لمالكها مقابل جزء معين مما يخرج منها من الزرع إما النصف أو الثلث أو الربع أو نحو ذلك مما يتم التراضي عليه.

وهي علىٰ نوعين :

الأولىٰ : جائزة ؛ وهو ما تقدم ذكره.

والثانية: منهي عنها؛ وهو أن يكون علىٰ بعض ما يخرج من الأرض؛ كأن يحدد للعامل مكانا؛ فيقول له : هذه الأرض ازرعها وما في هذا المكان لك والباقي لي.

فهذا منهي عنه لما فيه من الغرر.

(شبيهة في الحكم بالمخاضرة) : أي: والنوع المنهي عنه من المخابرة شبيه في حكمه بالمخاضرة إذ أن كلا منهما منهي عنه.

والمخاضرة: مفاعلة من الخضرة، وهي بيع الثمار والحبوب قبل أن يبدو صلاحها.

وقد نهىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ عن ذلك كله كما في البخاري(٢٣٨١)، ومسلم(١٥٣٦) عن جابر بن عبدالله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: (نَهَىٰ النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَنِ المُخَابَرَةِ، والمُحَاقَلَةِ، وعَنِ المُزَابَنَةِ، وعَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ حتَّىٰ يَبْدُوَ صَلَاحُهَا..)الحديث.

وذكر بعض أهل العلم أن النهي عن المخابرة منسوخ بما عامل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عليه أهل خيبر، والصحيح أن النهي يختص بالنوع الثاني من المخابرة، والله أعلم بالصواب.

والمُحاقَلة: هي بيع الحنطة في سنبلها بكيل معلوم من الحنطة الخالصة. وهذا فيه جهالة ما في السنابل.

والمُزابَنة: هي بيع الثمر في رؤوس النخل قبل جنيه خرصًا -أي: تقديرًا- بالتمر علىٰ الأرض، وبيع العنب علىٰ الشجر بالزبيب. وهذا فيه جهالة بكيل ووزن الثمار.

- وبقي يهود خيبر علىٰ ذلك إلىٰ مدة خلافة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم أجلاهم منها كما في البخاري(٢٣٣٨)، ومسلم(١٥٥١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ عُمَرَ أَجْلَىٰ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا ظَهَرَ عَلَىٰ خَيْبَرَ أَرَادَ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، وَكَانَتِ الْأَرْضُ حِينَ ظَهَرَ عَلَيْهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُسْلِمِينَ، وَأَرَادَ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، فَسَأَلَتِ الْيَهُودُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُقِرَّهُمْ بِهَا أَنْ يَكْفُوا عَمَلَهَا وَلَهُمْ نِصْفُ الثَّمَرِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (نُقِرُّكُمْ بِهَا عَلَىٰ ذَلِكَ مَا شِئْنَا). فَقَرُّوا بِهَا حَتَّىٰ أَجْلَاهُمْ عُمَرُ إِلَىٰ تَيْمَاءَ وَأَرِيحَاءَ.

(تزوج النبي بها صفية) : بنت حيي بن أخطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت ضمن غنائم خيبر، وكان قد قتل زوجها كنانة ابن أبي الحُقيق في خيبر، وكانت عروسًا؛ فأعتقها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتزوجها بعد أن خرج من خيبر لما طهرت، وأصلحتها له أم سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثم أُدخلت إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعند

رجوعه إلىٰ المدينة حجبها؛ فعلم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنها من أمهات المؤمنين وليست ملك يمين كما في البخاري(٤٢١٣) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ خَيْبَرَ، وَالْمَدِينَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يُبْنَىٰ عَلَيْهِ بِصَفِيَّةَ، فَدَعَوْتُ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ وَلِيمَتِهِ وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خُبْزٍ وَلَا لَحْمٍ، وَمَا كَانَ فِيهَا إِلَّا أَنْ أَمَرَ بِلَالًا بِالْأَنْطَاعِ فَبُسِطَتْ، فَأَلْقَىٰ عَلَيْهَا التَّمْرَ، وَالْأَقِطَ، وَالسَّمْنَ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: إِحْدَىٰ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ؟ قَالُوا: إِنْ حَجَبَهَا فَهِيَ إِحْدَىٰ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهِيَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ. فَلَمَّا ارْتَحَلَ وَطَّأَ لَهَا خَلْفَهُ، وَمَدَّ الْحِجَابَ).

(عفيفة مليحة وفية) : عفيفة: أي متصفة بالعفاف، والعفاف : الامتناع عمّا لا يحلّ ولا يجْمُل قولاً أو فعلاً.

وقوله (مليحة) : من الملاحة والحسن، وكانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذات جمال، وقد ذكر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ جمالها؛ فاصطفاها لنفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت في مقسم دحية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأعطاه ما أراد ثم تزوجها.

كما في البخاري(٢٢٣٥) ومسلم(١٣٦٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ الْحِصْنَ ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ

بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، فَخَرَجَ بِهَا حَتَّىٰ بَلَغْنَا سَدَّ الرَّوْحَاءِ حَلَّتْ-أي طهرت من حيضها- ، فَبَنَىٰ بِهَا..)الحديث.

وفي مسلم(١٣٦٥) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (صَارَتْ صَفِيَّةُ لِدِحْيَةَ فِي مَقْسَمِهِ، وَجَعَلُوا يَمْدَحُونَهَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : وَيَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا فِي السَّبْيِ مِثْلَهَا، قَالَ : فَبَعَثَ إِلَىٰ دِحْيَةَ، فَأَعْطَاهُ بِهَا مَا أَرَادَ، ثُمَّ دَفَعَهَا إِلَىٰ أُمِّي، فَقَالَ: أَصْلِحِيهَا..)الحديث.

قوله (وفية) : من الوفاء والصدق لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ؛ حيث أسلمت وأصبحت من أمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٢٥٦- وَكَـانَ سُـمٌّ لِلْنَبِـيِّ وُضِـعَا ** فِـي لَحْـمِ شَـاةٍ صَـوْتُهَا قَـدْ سُـمِعَا

٢٥٧- وَاتَّجَـهَ النَّبِـيْ إِلَـىٰ وَادِي الْقُـرَىٰ ** وَكَـانَ فِيهَـا نَصْـرُهُ الَّـذِي تَـرَىٰ

٢٥٨- وَصَالَحَ الْيَهُـودَ فِي أَرْضِ فَدَكْ ** فَـيْءٌ عَظِـيمٌ لِلْعِبَـادِ قَـدْ تَـرَكْ

٢٥٩- وَحِينَ كَـانَ عَـوْدُهُمْ مِـنْ خَيْبَرَا ** تَـأَخَّرَ الْفَجْـرُ لِنَـوْمٍ قَـدَ جَـرَىٰ

٢٦٠- وَعَادَ مَنْ مَضَىٰ إِلَىٰ الْأَحْبَاشِ ** أَكْـرَمَهُمْ أَصْـحَمَةُ النَّجَاشِـي

الشَّرْحُ

(وكان سم للنبيِّ وضعا... في لحم شاة صوتها قد سمعا) : هذه من الأمور التي وقعت بعد غزوة خيبر حيث أهدىٰ اليهود إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ شاة مصلية مسمومة؛ فأكل منها، كما في البخاري(٢٦١٧)، ومسلم(٢١٩٠) من حديث أَنَسٍ بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ : أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ. قَالَ : (مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَىٰ ذَاكِ). قَالَ : أَوْ قَالَ : (عَلَيَّ).

وفي البخاري(٥٧٧٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ، أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : (اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنَ الْيَهُودِ). فَجُمِعُوا لَهُ... ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : (فَهَلْ أَنْتُمْ

صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟). قَالُوا : نَعَمْ. فَقَالَ : (هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا؟). فَقَالُوا : نَعَمْ. فَقَالَ : (مَا حَمَلَكُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ؟). فَقَالُوا : أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ.

وفي هذا دليل أن المرأة ما فعلت فعلتها إلا بأمر من رؤساء اليهود وزعمائهم وبإقرار منهم.

وقوله: (في لحم شاة صوتها قد سمعا): أي: أن الشاة المسمومة أخبرت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنها مسمومة، وهذه من معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويدل علىٰ هذا حديث عبدالرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود(٤٥١٢) كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبَلُ الهديَّةَ ولا يأكلُ الصَّدقةَ زادَ فأهدت لهُ يهوديَّةٌ بخيبرَ شاةً مَصليَّةً سمَّتْها فأكلَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها وأكلَ القومُ فقالَ ارفعوا أيديَكُم فإنَّها أخبرتني أنَّها مسمومةٌ..)الحديث.

واختُلِف هل أكل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها أم لم يأكل؟

والصحيح أنه أكل منها، وفي حديث عبدالرحمن بن عوف عند أبي داود : (...ثمَّ قالَ في وجعِهِ الَّذي ماتَ فيهِ مازلتُ أجدُ منَ الأُكْلَةِ الَّتي أكلتُ بخيبرَ فهذا أوانُ قطعَت أبْهَري).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زادالمعاد(٣/ ٢٩٨) : (وقد اختُلِف: هل أكل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها أو لم يأكل؟ وأكثر الروايات أنه أكل منها وبقي بعد ذلك ثلاث سنين حتىٰ قال في وجعه الذي مات فيه: «مَا زِلْتُ أَجِدُ مِنَ الْأُكْلَةِ الَّتِي أَكَلْتُ مِنَ الشَّاةِ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَهَذَا أَوَانُ انْقِطَاعِ الْأَبْهَرِ مِنِّي)اهـ

(واتجه النبي إلىٰ وادي القرىٰ... وكان فيها نصره الذي ترىٰ) : أي: بعد رجوع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من خيبر إلىٰ المدينة؛ اتجه إلىٰ وادي القرىٰ، وهيٰ مجموعة قرىٰ بين خيبر وتيماء.

وفي البخاري(٤٢٣٤)، ومسلم(١١٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ، وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً، إِنَّمَا غَنِمْنَا البَقَرَ وَالإِبِلَ وَالمَتَاعَ وَالحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ وَادِي القُرَىٰ، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضِّبَابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ، حَتَّىٰ أَصَابَ ذَلِكَ العَبْدَ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا» فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا

شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شِرَاكٌ - أَوْ شِرَاكَانِ - مِنْ نَارٍ».

واختلف أهل العلم هل كان فتح وادي القرىٰ صلحًا أم عنوة؟

علىٰ قولين، أقربهما أنه فتح عنوة، وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة، وقسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ ما أصاب منها علىٰ أصحابه، وترك الأرض والنخل بيد اليهود، وعاملهم عليها.

(وصالح اليهود في أرض فدك... فيء عظيم للعباد قد ترك) : أي صالح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ اليهود في أرض فدك، وفدك : هي قرية بالقرب من خيبر بينها وبين المدينة يومان، أو ثلاثة.

وذلك أنه لما بلغ أهل فدك ما حصل لأهل خيبر من الذل والصغار؛ أصابهم الرعب والهلع؛ فبعثوا إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يطلبون الصلح، وأن يعاملهم في الأموال علىٰ النصف؛ فأجابهم ؛ فكانت أموال فدك فيئا؛ لأنها كانت بدون قتال فلم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، وكانت خالصةً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فوضعها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث أراه الله عَزَّوَجَلَّ، ولم يقسمها. فكان يصرف ما يأتيه منها علىٰ ابن السبيل، وكان ينفق منها، ويعود منها

علىٰ صغير بني هاشم، ويزوج منها أيمهم، ولما مات رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ وولي أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الخلافة، سألته فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ميراثها من ذلك؛ فأخبرها أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: (إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة). والحديث في البخاري(٤٢٤٠) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(وحين كان عودهم من خيبرا... تأخر الفجر لنومٍ قد جرىٰ) : أي أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين رجع من غزوة خيبر مع أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، غلبهم النوم؛ فناموا عن صلاة الفجر ، والحديث أخرجه مسلم(٦٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِينَ قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ سَارَ لَيْلَهُ، حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْكَرَىٰ عَرَّسَ ، وَقَالَ لِبِلَالٍ : (اكْلَأْ لَنَا اللَّيْلَ). فَصَلَّىٰ بِلَالٌ مَا قُدِّرَ لَهُ، وَنَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، فَلَمَّا تَقَارَبَ الْفَجْرُ اسْتَنَدَ بِلَالٌ إِلَىٰ رَاحِلَتِهِ مُوَاجِهَ الْفَجْرِ، فَغَلَبَتْ بِلَالًا عَيْنَاهُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَىٰ رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَلَا بِلَالٌ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّىٰ ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَوَّلَهُمُ اسْتِيقَاظًا، فَفَزِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ : (أَيْ بِلَالُ). فَقَالَ بِلَالٌ : أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ - بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ - بِنَفْسِكَ. قَالَ : (اقْتَادُوا). فَاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّىٰ بِهِمُ الصُّبْحَ، فَلَمَّا قَضَىٰ

الصَّلَاةَ قَالَ : (مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا ؛ فَإِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]).

قوله: (قفل): رجع، والقفول: الرجوع.

وقوله: (الكَرىٰ): بفتح الكاف النعاس، وقيل: النوم.

وقوله: (عَرَّس): من التعريس، وهو نزول المسافرين آخر الليل؛ للنوم والاستراحة.

وقوله: (اكلأ لنا الليل): ارقبه واحفظه لنا؛ لنستيقظ لصلاة الفجر؛ فلا يغلبنا النوم.

(وعاد من مضىٰ إلىٰ الأحباش) : أي: عاد إلىٰ المدينة من بقي من مهاجري الحبشة وعلىٰ رأسهم جعفر بن أبي طالب، ومعه بضعة وخمسون رجلا من أهل اليمن وهم الأشعريون، منهم أبو موسىٰ الأشعري، وأخوه أبو بردة، وأبو رهم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا؛ فوافقوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ حين فتح خيبر؛ فأسهم لهم.

ففي البخاري(٣١٣٦)، ومسلم(٢٥٠٢) عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي

أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالْآخَرُ أَبُو رُهْمٍ. إِمَّا قَالَ : فِي بِضْعٍ، وَإِمَّا قَالَ : فِي ثَلَاثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَىٰ النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، وَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعَثَنَا هَاهُنَا وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا. فَأَقَمْنَا مَعَهُ، حَتَّىٰ قَدِمْنَا جَمِيعًا فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا - أَوْ قَالَ : فَأَعْطَانَا مِنْهَا - وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ.

وكان ممن قدم من الحبشة أسماء بنت عميس رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا،

وفي البخاري(٣٨٧٦)، ومسلم(٢٥٠٣) عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال لها: (سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْكُمْ. فَغَضِبَتْ، وَقَالَتْ كَلِمَةً : كَذَبْتَ يَا عُمَرُ، كَلَّا وَاللهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ - أَوْ فِي أَرْضِ - الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ فِي الْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ، وَايْمُ اللهِ لَا أَطْعَمُ طَعَامًا، وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا، حَتَّىٰ أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَنَحْنُ

كُنَّا نُؤْذَىٰ وَنُخَافُ، وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَأَسْأَلُهُ، وَوَاللهِ لَا أَكْذِبُ، وَلَا أَزِيغُ ، وَلَا أَزِيدُ عَلَىٰ ذَلِكَ.

قَالَ : فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَتْ : يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : (لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ).

قَالَتْ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَىٰ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالًا ؛ يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلَا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ ؛ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(أكرمهم أصْحَمة النجاشي) : أي: أن النجاشي أصْحَمة – بسكون الصاد وفتح الحاء– ، ملك الحبشة؛ أكرم جعفرا ومن معه من صحابة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عندما هاجروا إلىٰ الحبشة، وأحسن إليهم، وحماهم؛ حتىٰ رجع من رجع منهم إلىٰ مكة، ورجع من رجع إلىٰ المدينة.

وقد أسلم رَحِمَهُٱللَّهُ ومات مسلمًا، وصلىٰ عليه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ صلاة الغائب.

ففي البخاري(٣٨٧٧)، ومسلم(٩٥٢) عن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ : (مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَىٰ أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ).

وفي لفظ: (فَصَفَفْنَا فَصَلَّىٰ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَنَحْنُ صُفُوفٌ).

٢٦١- وَبَعْـدُ غَـزْوَةٌ إِلَـىٰ فَـزَارَهْ ** وَقَادَهَـا الصِّـدِّيقُ وَقْـتَ الْغَـارَهْ

٢٦٢- سَـرِيَّةٌ إِلَـىٰ جُهَيْنَـةٍ مَضَـتْ ** أُسَـامَةٌ رَوَىٰ لَنَـا وَثَبَتَـتْ

٢٦٣- فِـي عَـامِ سَـبْعٍ عُمْـرَةُ الْقَضِـيَّهْ ** أَكْـرَمَهُمْ رَبِّـي لَهُـمْ مَزِيَّـهْ

٢٦٤- وَقَـدْ بَنَـىٰ الرَّسُـولُ بِالْمَيْمُونَـهْ ** فِـي حَـالِ حِـلٍّ قَوْلَـةٌ مَضْـمُونَهْ

الشَّرْحُ

(وبعد غزوة إلىٰ فزارة... وقادها الصديق وقت الغارة) : أي: وبعد ذلك أرسل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومعه جمع من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ إلىٰ فزارة من بني كلاب؛ فأغاروا عليهم عند مائهم، وكانت في شعبان سنة سبع من الهجرة.

وكانت فزارة قد شاركت قريشا في معركة الأحزاب كجزء من غطفان، وسبق أن قامت بالإغارة علىٰ المدينة.

وفي مسلم(١٧٥٥) عن سلمة بن الأكوع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ : (غَزَوْنَا فَزَارَةَ وَعَلَيْنَا أَبُو بَكْرٍ، أَمَّرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَاءِ سَاعَةٌ أَمَرَنَا أَبُو بَكْرٍ فَعَرَّسْنَا، ثُمَّ شَنَّ الْغَارَةَ، فَوَرَدَ الْمَاءَ، فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ عَلَيْهِ وَسَبَىٰ، وَأَنْظُرُ إِلَىٰ عُنُقٍ مِنَ النَّاسِ فِيهِمُ الذَّرَارِيُّ، فَخَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي إِلَى الْجَبَلِ، فَرَمَيْتُ بِسَهْمٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا رَأَوُا السَّهْمَ وَقَفُوا فَجِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ وَفِيهِمُ امْرَأَةٌ مِنْ

بَنِي فَزَارَةَ عَلَيْهَا قَشْعٌ مِنْ أَدَمٍ - قَالَ : الْقَشْعُ : النِّطَعُ - مَعَهَا ابْنَةٌ لَهَا مِنْ أَحْسَنِ الْعَرَبِ، فَسُقْتُهُمْ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ، فَنَفَّلَنِي أَبُو بَكْرٍ ابْنَتَهَا، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا، فَلَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي السُّوقِ فَقَالَ : " يَا سَلَمَةُ هَبْ لِيَ الْمَرْأَةَ ". فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي وَمَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا. ثُمَّ لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنَ الْغَدِ فِي السُّوقِ فَقَالَ لِي : " يَا سَلَمَةُ، هَبْ لِيَ الْمَرْأَةَ لِلَّهِ أَبُوكَ". فَقُلْتُ : هِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَوَاللهِ مَا كَشَفْتُ لَهَا ثَوْبًا. فَبَعَثَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ فَفَدَىٰ بِهَا نَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا أُسِرُوا بِمَكَّةَ).

وقوله: (فعرسنا): التعريس : النزول آخر الليل .

وقوله : (عنق من الناس): أي : جماعة .

قوله : (فيهم الذراري) : النساء والصبيان .

قوله: (قشع من أدم) : ثوب من جلد.

وقوله: (ما كشفت لها ثوبا) : كناية عن الجماع.

وقوله: (ففدىٰ بها ناسا من المسلمين) : أي: بعث بها رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلىٰ أهل مكة ففدىٰ بها ناسا من المسلمين كانوا أسروا بمكة. وفي هذا جواز فداء الرجال بالنساء الكافرات.

وفي مسند أحمد(١٦٤٩٨) عَن سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ قَالَ : (كَانَ شِعَارُنَا لَيْلَةَ بَيَّتْنَا فِيهَا هَوَازِنَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَأَمَّرَهُ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : أَمِتْ أَمِتْ. وَقَتَلْتُ بِيَدَيَّ لَيْلَتَئِذٍ، سَبْعَةَ أَهْلِ أَبْيَاتٍ).

وقوله : (كان شعارنا تلك الليلة أمِت أمِت): أي: العلامة التي يعرف بها بعضنا بعضا في الظلام: "أمِتْ أمِتْ"، وهو أمر بالموت، والمراد به: التفاؤل بالنصر، والحث لهم علىٰ القتال.

وقيل: المراد به الدعاء علىٰ المشركين بالموت.

(سرية إلىٰ جهينة مضت... أسامة روىٰ لنا وثبتت) : أي: وكذلك أرسل النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سرية إلىٰ الحرقات من جهينة.

والحرقات موضع بجهينة.

وروىٰ ذلك أسامة بن زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما عند البخاري(٤٢٦٩)، ومسلم(٩٦) قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَطَعَنْتُهُ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟ " قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ.

قَالَ: "أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟" فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ : فَقَالَ سَعْدٌ: وَأَنَا وَالله لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّىٰ يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ-يَعْنِي أُسَامَةَ- قَالَ: قَالَ رَجُلٌ : أَلَمْ يَقُلِ الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ قَاتَلْنَا حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّىٰ تَكُونَ فِتْنَةٌ.

وقيل لأسامة: ذو البُطَين-بضم الباء تصغير بطن- ؛ لأنه كان له بطن عظيم.

(في عام سبع عمرة القضية) : أي: ثم كانت عمرة القضاء في عام سبع للهجرة، وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رجع إلىٰ المدينة أقام بها إلىٰ شهر ذي القعدة ثم خرج فيه معتمراً عمرة القضاء التي قاضىٰ قريشـًا عليها.

قال الحافظ في الفتح: (روىٰ يعقوب بن سفيان في تاريخه بسند حسن عن ابن عمر قال: (كانت عمرة القضية في ذي القعدة سنة سبع)، وفي مغازي سليمان التيمي قال: (لما رجع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من خيبر بث سراياه، وأقام بالمدينة حتىٰ استهل ذو القعدة، فنادىٰ في الناس أن تجهزوا إلىٰ العمرة)اهـ [١]

ويقال لها عمرة القضاء، أو عمرة القضية، أو عمرة القصاص، أو عمرة الصلح.

وذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ أن من أهل العلم من جعلها قضاء عن عمرة الحديبية حيث صُدّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

ومنهم من يقول عمرة القصاص. والكل صحيح. [٢]

قال ابن هشام: (ويقال لها عمرة القصاص؛ لأنهم صدوا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست؛ فاقتص رسول الله

---

(١) الفتح(٧/ ٥٠٠)، السيرة لابن كثير(٣/ ٤٢٦)

(٢) الفصول(١٩٢)

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم؛ فدخل مكة في ذي القعدة، في الشهر الحرام الذي صدوه فيه، من سنة سبع)اهـ [١]

فسار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حتىٰ بلغوا مكة؛ فاعتمروا وطافوا بالبيت.

وكانت حمىٰ يثرب قد أوهنتهم ؛ فقال كفار قريش: إن الحمىٰ في يثرب قد أوهنت قوىٰ المسلمين. وجعلوا ينظرون إليهم؛ فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه أن يرملوا؛ ليرىٰ المشركون قوتهم.

ففي البخاري(١٦٠٢)، ومسلم(١٢٦٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ، وَقَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّىٰ يَثْرِبَ، قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا قَوْمٌ قَدْ وَهَنَتْهُمُ الْحُمَّىٰ، وَلَقُوا مِنْهَا شِدَّةً، فَجَلَسُوا مِمَّا يَلِي الْحِجْرَ، وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَرْمُلُوا ثَلَاثَةَ أَشْوَاطٍ، وَيَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ؛ لِيَرَىٰ الْمُشْرِكُونَ جَلَدَهُمْ ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَؤُلَاءِ

---

(١) السيرة لابن هشام(٣/ ٣٧٢)

الَّذِينَ زَعَمْتُمْ، أَنَّ الْحُمَّىٰ قَدْ وَهَنَتْهُمْ، هَؤُلَاءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ.

(أكرمهم ربي لهم مزية) : أي: وكان ذلك من إكرام الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومزية لهم.

(وقد بنىٰ الرسول بالميمونة... في حال حل قولة مضمونة): أي: وبعد أن تحلل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العمرة تزوج بميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ففي مسلم(١٤١١) عن ميمونةَ بِنْتِ الْحَارِثِ (أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلَالٌ).

وعند أبي داود(١٨٤٣) عَنْ مَيْمُونَةَ قَالَتْ : (تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ حَلَالَانِ بِسَرِفَ).

وفي سنن الترمذي(٨٤١) عَنْ أَبِي رَافِعٍ قَالَ : تَزَوَّجَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ حَلَالٌ، وَبَنَىٰ بِهَا وَهُوَ حَلَالٌ، وَكُنْتُ أَنَا الرَّسُولَ فِيمَا بَيْنَهُمَا.

أما ما جاء في البخاري(٤٢٥٨)، ومسلم(١٤١٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَبَنَىٰ بِهَا وَهُوَ حَلاَلٌ، وَمَاتَتْ بِسَرِفَ).

فهذا عدَّه الجمهور وهمًا من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فالصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ تزوج بميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد إحلاله.

ولما تمت الثلاثة الأيام التي قاضىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قريشا أن يقيم بها؛ بعث إليه المشركون يقولون له: أخرج من بلدنا، فقد مضىٰ الأجل.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وما عليهم لو بنيت بميمونة عندهم؟)؛ فأبوا عليه ذلك؛ فخرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فبنىٰ بميمونة بسَرِف، ورجع إلىٰ المدينة مؤيداً منصوراً.

وميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هي آخر من تزوج بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان زواجها أوّلًا بمسعود بن عمرو الثقفي ففارقها، ثم تزوجها أبو رهم بن عبد العزىٰ فمات.

وقد شهد لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بالإيمان كما عند النسائي في الكبرىٰ(٨٣٨٧) من حديث ابن عباس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (الأخواتُ

المؤمناتُ ميمونةُ زوجُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمُّ الفضلِ امرأةُ العبَّاسِ، وأسماءُ بنتُ عُمَيسٍ امرأةُ جعفرٍ، وامرأةُ حمزةَ).

وماتت ودفنت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بسَرِف حيث بنىٰ بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

وفي البخاري(٥٠٦٧) من طريق عَطَاءٍ، قَالَ: حَضَرْنَا مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جِنَازَةَ مَيْمُونَةَ بِسَرِفَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (هَذِهِ زَوْجَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا رَفَعْتُمْ نَعْشَهَا فَلاَ تُزَعْزِعُوهَا، وَلاَ تُزَلْزِلُوهَا، وَارْفُقُوا فَإِنَّهُ كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِسْعٌ، كَانَ يَقْسِمُ لِثَمَانٍ، وَلاَ يَقْسِمُ لِوَاحِدَةٍ).

٢٦٥- وَكَتَبَ الرَّسُولُ لِلْمُلُوكِ ** يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ لِلْمَلِيكِ

٢٦٦- إِسْلَامُ خَالِدٍ وَإِبْنِ الْعَاصِ ** فَحَقِّقِ التَّوْحِيدَ مَعْ إِخْلَاصِ

الشَّرْحُ

(وكتب الرسول للملوك) : أي: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أرسل رسله لملوك الأرض وأباطرتها في عصره، وبعث إليهم كتبه، يدعوهم إلىٰ توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له.

وفي صحيح مسلم(١٧٧٤) من حديث أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَىٰ كِسْرَىٰ، وَإِلَىٰ قَيْصَرَ، وَإِلَىٰ النَّجَاشِيِّ، وَإِلَىٰ كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّىٰ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ).

فبعث صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دحية بن خليفة الكلبي إلىٰ هرقل عظيم الروم؛ فقارب وكاد، ولكنه لم يسلم.

وقيل: بل أسلم.

والصحيح أنه لم يسلم، وآثر الملك ودنياه علىٰ آخرته.

وفي البخاري(٧)، ومسلم(١٧٧٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَخْبَرَهُ مِنْ فِيهِ إِلَىٰ فِيهِ، قَالَ : انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّأْمِ إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ هِرَقْلَ - يَعْنِي عَظِيمَ الرُّومِ - قَالَ : وَكَانَ دَحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ عَظِيمِ بُصْرَىٰ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَىٰ إِلَىٰ هِرَقْلَ..)الحديث.

وفيه: (.. ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ : "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَىٰ هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ ؛ أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ، وَ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] ". فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُ، وَكَثُرَ اللَّغْطُ، وَأَمَرَ بِنَا فَأُخْرِجْنَا، قَالَ : فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ خَرَجْنَا : لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ. قَالَ : فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّىٰ أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ).

قوله: (**الْأَرِيسِيِّينَ**) : الأكارون، أي الفلاحون والزراعون، ومعناه: أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك.

وقيل: هم اليهود والنصارىٰ أتباع عبدالله أريس الذي تنسب إليه الأروسية من النصارىٰ.

وقيل غير ذلك.

والقول الأول أصح وأشهر، والله أعلم.

وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلىٰ كسرىٰ ملك الفرس، فتكبر ومزق كتاب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فمزقه الله ومماليكه كل ممزق بدعوة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عليه بذلك.

وفي البخاري(٤٤٢٤) من حديث ابن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَىٰ كِسْرَىٰ مَعَ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَىٰ عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَىٰ كِسْرَىٰ، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ، فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ : فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ).

وبعث عمرو بن أمية الضمري إلىٰ النجاشي؛ فأسلم، وليس هو النجاشي الذي صلىٰ عليه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد تقدم من حديث أنس، وفيه:(ولَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّىٰ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ).

وقد أوضح ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ أن النجاشي الذي صلىٰ عليه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، هو غير النجاشي الذي كتب إليه يدعوه إلىٰ الإسلام فهما اثنان.(١)

وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ المقوقس ملك الإسكندرية ومصر؛ فقارب ولم يذكر له إسلام، وبعث الهدايا إلىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والتحف.

وعمرو بن العاص إلىٰ ملكي عمان فأسلما، وخليا بين عمرو والصدقة والحكم بين الناس.

وسليط بن عمرو العامري إلىٰ هوذة بن علي الحنفي باليمامة.

وشجاع بن وهب الأسدي إلىٰ الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء من الشام.

والمهاجر بن أبي أمية المخزومي إلىٰ الحارث الحميري.

---

(١) زاد المعاد(٣/ ٦٩٠)

والعلاء بن الحضرمي إلىٰ المنذر بن ساوىٰ العبدي ملك البحرين؛ فأسلم.

وأرسل أبا موسىٰ الأشعري ومعاذ بن جبل كليهما إلىٰ أهل اليمن؛ فأسلم عامة ملوكهم وسوقتهم.

وقد ورد في بعضها أحاديث صحيحة، وبعضها مراسيل، وللتوسع انظر السيرة لابن هشام(٤/ ٢١٦)، والسيرة لابن كثير(٣/ ٥١٤)، والإصابة للحافظ(١/ ٣٠٠) في ترجمة حاطب رقم(١٥٣٨)، والطبقات لابن سعد(١/ ١٤٧)

(يدعو إلىٰ التوحيد للمليك) : أي: يدعو إلىٰ إفراد الله بالعبادة.

والمليك : اسم من أسماء الله تعالىٰ، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

والمليك: هو المالك المتصرف، النافذ أمره في ملكه عَزَّوَجَلَّ.

(إسلام خالد وإبن العاص) : أي: وكان إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص في هذه السنة في صفر؛ حيث قدم عمرو بن العاص مسلمًا علىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ، وقدم معه خالد بن الوليد .

وكان سبب إسلام عمرو أنه قال: (لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق، قلت لأصحابي: إني أرىٰ أمر محمد يعلو علوًا منكرًا، وإني قد رأيت أن نلحق بالنجاشي؛ فإن ظهر محمد علىٰ قومنا كنا عند النجاشي، وإن ظهر قومنا علىٰ محمد، فنحن من قد عرفوا.

قالوا: إن هذا الرأي.

قال: فجمعنا له أدمًا كثيرًا وخرجنا إلىٰ النجاشي فإنا لعنده؛ إذ وصل عمرو بن أمية الضمري رسولًا من النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في أمر جعفر وأصحابه.

قال: فدخلت علىٰ النجاشي، وطلبت منه أن يسلم إلي عمرو بن أمية الضمري؛ لأقتله تقربًا إلىٰ قريش بمكة.

فلما سمع كلامي غضب وضرب أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره -يعني النجاشي- ؛ فخفته، ثم قلت: والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه.

قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسىٰ لتقتله! قال: قلت: أيها الملك أكذلك هو؟!

قال: ويحك يا عمرو أعني واتبعه؛ فإنه والله لعلىٰ الحق، وليظهرن علىٰ من خالفه كما ظهر موسىٰ علىٰ فرعون وجنوده.

قال: فقلت: فبايعني له علىٰ الإسلام.

فبسط يده فبايعته، ثم خرجت إلىٰ أصحابي، وكتمتهم إسلامي، وخرجت عائدًا إلىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولقيني خالد بن الوليد، وذلك قبل الفتح، وهو مقبل من مكة؛ فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم؛ إن الرجل لنبي أذهب والله أسلم فحتىٰ متىٰ!

فقلت: ما جئت إلا للإسلام؛ فقدمنا علىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ فتقدم خالد بن الوليد؛ فأسلم، ثم دنوت؛ فأسلمت..).

والحديث أخرجه أحمد في المسند(٤/ ١٩٨)، والحاكم في المستدرك(٣/ ٤٥٤).

قوله: (لقد استقام المنسم) : أي: تبين الطريق ووضح.

وقول الناظم: (وإبن العاص) : الأصل أن الهمزة في(ابن) همزة وصل، وإنما قطعها الناظم لأجل الوزن، وقطع همزة الوصل جائز في ضرورة الشعر، ومن ذلك قول قيس بن الخطيم:

إذا جـــاوز الإثنـــين ســـرٌّ فإنـــه ** بِنَـــثٍّ وتكثيـــر الوشـــاة قمـــينُ

فقطع الألف من (الاثنين)، وهي ألف وصل.

(فحقق التوحيد مع إخلاص) : أي: فحقق التوحيد يا طالب العلم، وتحر الإخلاص في عبادتك؛ تفز بسعادة الدنيا والآخرة.

٢٦٧- عَـــامُ ثَمَـــانٍ غَـــزْوَةٌ لِمُوتَـــهْ ** يَـــا رَبِّ جَنِّبْنَـــا طَرِيـــقَ الْفَوْتَـــهْ

٢٦٨- قَـدْ لَحِـقَ الرَّسُـولَ فِيهَـا الْهَـمُّ ** ثَـــلَاثُ قُـــوَّادٍ شَـــذَاهُمْ يَسْـــمُو

٢٦٩- زَيْـدُ الْحَبِيـبُ وَيَلِيـهِ جَعْفَـرُ ** وَابْـــنُ رَوَاحَـــةَ الْفُـــؤَادُ يُفْطَـــرُ

٢٧٠- وَقَـــامَ خَالِـــدٌ بِأَخْـــذِ الرَّايَـــهْ ** سَـــيْفُ الْإِلَـــهِ إِنَّـــهُ لَآيَـــهْ

الشَّرْحُ

(عام ثمان غزوة لمؤتة... يارب جنبنا طريق الفوتة) : بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثة إلىٰ مؤتة في جمادىٰ الأولىٰ من سنة ثمان للهجرة.

ومؤتة: هي قرية من أرض الشام.

بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا البعث ؛ ليأخذوا بثأر من قتل هناك من المسلمين، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بعث بعض الصحابة برسالة؛ فتعرَّض له بعض المشركين وقتلوه.

وأمر علىٰ الناس زيد بن حارثة مولاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: (إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة)، رواه البخاري(٤٢٦١).

فخرجوا في نحو من ثلاثة آلاف، وخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معهم يودعهم إلىٰ بعض الطريق، وكان من هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا بعث بعثا خرج معهم يودعهم ويوصيهم.

فساروا حتىٰ إذا كانوا بمعان، بلغهم أن هرقل ملك الروم قد خرج إليهم في مائة ألف، ومعه مالك بن زافلة في مائة ألف أخرىٰ من نصارىٰ العرب؛ فاشتور المسلمون هناك وقالوا: نكتب إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا بأمره أو يمدنا.

ثم اتفقوا فيما بينهم علىٰ لقاء العدو؛ فلما كانوا بتخوم البلقاء؛ لقوا جموع الروم؛ فنزل المسلمون إلىٰ جنب قرية مؤتة، والروم علىٰ قرية يقال لها مشارف، ثم التقوا؛ فقاتلوا قتالا عظيمًا.

وقتل أمير المسلمين زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والراية في يده، فتناولها جعفر، ونزل عن فرس له شقراء فعقرها، وقاتل حتىٰ قطعت يده اليمنىٰ، فأخذ الراية بيده الأخرىٰ فقطعت أيضًا، فاحتضن الراية، ثم قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن ثلاث وثلاثين سنة علىٰ الصحيح.

فأخذ الراية عبد الله بن رواحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتردد بعض التردد ثم صمم وقاتل حتىٰ قتل.

ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان؛ فقال يا معشر المسلمين اصطلحوا علىٰ رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل؛ فاصطلح الناس علىٰ خالد بن الوليد، فأخذ الراية خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ فأبلىٰ بلاء حسنا ، وفي البخاري(٤٢٦٥) عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة سبعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية)، ففتح الله علىٰ يديه، وانتصر المسلمون علىٰ الصحيح، ويدل علىٰ ذلك حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري(٣٧٥٧): (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَىٰ زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ : (أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّىٰ أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ).

(قد لحق الرسول فيها الهم... ثلاث قواد شذاهم يسمو) : أي: لحق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حزن شديد؛ لاستشهادهم، وذرفت عيناه، كما تقدم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(زيد الحبيب ويليه جعفر... وابن رواحة الفؤاد يفطر) : حيث استشهد أولا زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبدالله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا، ونعاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما تقدم.

وفي هذا دليل علىٰ جواز النعي إن كان لحاجة؛ كالدعاء للميت، أو لإخبار أهله وقرابته، أو لتكثير المصلين عليه، ونحو ذلك.

(وقام خالد بأخذ الراية... سيف الإله إنه لآية) : أي: بعد استشهاد الثلاثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أخذ الراية خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان سيفا من سيوف الله فتح الله علىٰ يديه ، كما تقدم. (١)

(١) السيرة لابن هشام(٢/ ٣٧٣)، زاد المعاد(٣/ ٣٨١)، الفصول(١٩٣)

٢٧١- ثُـمَّ تَلَاهَـا غَـزْوُ ذِي السَّلَاسِـلِ ** قَائِـدُهُمْ عَمْـرٌو فَتَـىٰ النَّـوَازِلِ

٢٧٢- فِـي رَمَضَـانَ وَسْـطَ هَـذَا الْعَـامِ ** فَـتْحٌ لِبَيْـتِ اللهِ بِالْإِسْـلَامِ

٢٧٣- إِذْ دَخَـلَ النَّبِـيْ بِفَـتْحٍ عَنْـوَهْ ** عَلَـىٰ صَـحِيحِ الْقَـوْلِ دُونَ جَفْـوَهْ

٢٧٤- قَـدْ لَقِـيَ الرَّسُـولُ حَـالَ السَّـفَرِ ** صَـخْرَ بْـنَ حَـرْبٍ طَالِبًـا لِلظَّفَـرِ

٢٧٥- قَـالَ الرَّسُـولُ آمِـنٌ مَـنْ دَخَـلَا ** بَيْتًـا لِسُـفْيَانَ وَدَارًا نَـزَلَا

٢٧٦- أَوْ كَـانَ دَاخِـلًا بِـذَاكَ الْمَسْـجِدِ ** مَـا لَـمْ يَكُـنْ مُعَانِـدًا وَمُعْتَـدِي

٢٧٧- قَـدْ هَـدَمَ الشِّـرْكَ مَـعَ الْأَصْـنَامِ ** نَصْـرٌ عَزِيـزٌ كَـانَ فِـي ذَا الْعَـامِ

الشَّرْحُ

(ثم تلاها غزو ذي السلاسل) : أي: ثم تلت غزوة مؤتة غزوة ذات السلاسل؛ حيث كانت هذه الغزوة في جمادىٰ الثانية سنة ثمان للهجرة، كما قال ابن سعد والجمهور، ونقل ابن عساكر الاتفاق علىٰ أنها كانت بعد غزوة مؤتة، إلا أن ابن إسحاق قال: إنها قبلها.

وقيل: إنها سميت ذات السلاسل؛ لأن المشركين ارتبط بعضهم إلىٰ بعض مخافة أن يفروا.

وقيل: لأن بها ماء يقال له السلسل.

وقال ابن سعد: إنها وراء وادي ذي القرىٰ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام.

(قائدهم عمرو فتىٰ النوازل) : أي: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعث عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ علىٰ جيش غزوة ذات السلاسل، ففي مسند أحمد(١٧٧٦٤) عن عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال : بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ : (خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلَاحَكَ، ثُمَّ ائْتِنِي). فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ فِيَّ النَّظَرَ، ثُمَّ طَأْطَأَهُ، فَقَالَ : (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَىٰ جَيْشٍ، فَيُسَلِّمُكَ اللهُ وَيُغْنِمُكَ، وَأَزْعَبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ زَعْبَةً صَالِحَةً). قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ. فَقَالَ: (يَا عَمْرُو، نِعِمَّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ).

قوله: (وأزعب) : بزاي معجمة وعين مهملة، أي: أدفع.

وقوله: (زعبة) : بفتح الزاي وضمها، أي: أعطيك دفعة من المال.

وفي البخاري(٣٦٦٢)، ومسلم(٢٣٨٤) عن عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بَعَثَهُ عَلَىٰ جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: (عَائِشَةُ)، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ، فَقَالَ: (أَبُوهَا)، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: (ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ). فَعَدَّ رِجَالًا.

(في رمضان وسط هذا العام... فتح لبيت الله بالإسلام) : أي: أن فتح مكة كان في رمضان سنة ثمان للهجرة، والذي اتفق عليه أهل السير أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج في عاشر رمضان، ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه.

ومما يؤيد أن خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان لعشر خلون من رمضان سنة ثمان للهجرة، ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (ثم مضىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسفره، واستخلف علىٰ المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف الغفاري، وخرج لعشر مضين من رمضان..)فذكر الحديث.

والحديث أورده ابن إسحاق في المغازي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد(٦/ ١٦٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع؛ فالحديث صحيح.

وكان سبب ذلك: أنه لما دخلت خزاعة عام الحديبية في عقد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودخلت بنو بكر في عقد قريش، وضربت المدة إلىٰ عشر سنين، أمن الناس بعضهم بعضاً، ومضىٰ من المدة سنة ومن الثانية نحو تسعة أشهر، فلم تكمل حتىٰ غدا نوفل بن معاوية الديلي فيمن أطاعه من بني بكر بن عبد مناة؛ فبيتوا خزاعة علىٰ ماء لهم يقال له الوتير؛ فاقتتلوا هناك بثأر كان لبني بكر

علىٰ خزاعة من أيام الجاهلية، وأعانت قريش بني بكر علىٰ خزاعة بالسلاح، وساعدهم بعضهم بنفسه خفية، وفرت خزاعة إلىٰ الحرم؛ فأتبعهم بنو بكر إليه.

وقتلوا من خزاعة رجلاً يقال له منبه، وتحصنت خزاعة في دور مكة؛ فدخلوا دار بديل بن ورقاء، ودار مولىٰ لهم يقال له: رافع؛ فانتقض عهد قريش بذلك.

فخرج عمرو بن سالم الخزاعي، وبديل بن ورقاء الخزاعي، وقوم من خزاعة؛ حتىٰ أتوا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ فأعلموه بما كان من قريش، واستنصروه عليهم؛ فأجابهم صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وبشرهم بالنصر، وأنذرهم أن أبا سفيان سيقدم عليهم مؤكداً العقد، وأنه سيرده بغير حاجة.

فكان ذلك، وذلك أن قريشًا ندموا علىٰ ما كان منهم، فبعثوا أبا سفيان ليشد العقد الذي بينهم وبين محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ويزيد في الأجل؛ فأتىٰ النبيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في المدينة؛ فلم يجبه لذلك.

ثم شرع صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في الجهاز إلىٰ مكة، وسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يعمي علىٰ قريش الأخبار، فاستجاب له ربه تبارك وتعالىٰ، ولذلك لما كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابًا إلىٰ أهل مكة يعلمهم فيه بما هم به رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من القدوم علىٰ قتالهم، وبعث به مع امرأة، وقد تأول في ذلك مصلحةً تعود عليه، وقبل

ذلك منه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصدقه؛ لأنه كان من أهل بدر، وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً والزبير والمقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فردوا تلك المرأة من روضة خاخ، وأخذوا منها الكتاب، وكان هذا من إعلام الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، ومن أعلام نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقصة حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بتمامها في البخاري(٣٩٨٩)، ومسلم(٢٤٩٤).

وخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعشر خلون من رمضان في عشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب.

واستخلف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين.

ولقيه عمه العباس بذي الحليفة، وقيل: بالجحفة فأسلم.

ورجع معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعث ثقله إلىٰ المدينة.

وصام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ بلغ ماء يقال له: الكديد، بين عسفان وأمج من طريق مكة؛ فأفطر بعد العصر علىٰ راحلته ليراه الناس، وأرخص للناس في الفطر، ثم عزم عليهم في ذلك، فانتهىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتىٰ نزل بمر الظهران فبات به.

وفي البخاري(٤٢٧٦)، ومسلم(١١١٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج في رمضان من المدينة، ومعه عشرة آلاف، وذلك علىٰ رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلىٰ مكة، يصوم ويصومون، حتىٰ بلغ الكديد - وهو ماء بين عسفان وقديد - أفطر وأفطروا).

وفي مسلم(١١١٤) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : (أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج عام الفتح الىٰ مكة في رمضان، فصام حتىٰ بلغ كراع الغميم، فصام الناس، ثم دعا بقدح ماء فرفعه حتىٰ نظر الناس، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك أن بعض الناس قد صام فقال: أولئك العصاة، أولئك العصاة).

وكتم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجهته عن أصحابه، كما عند ابن إسحاق في المغازي بسند صحيح عن عروة عن عائشة: (أن أبا بكر دخل علىٰ عائشة وهي تغربل حنطة، فقال: ما هذا ؟ أمركم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجهاز ؟ قالت: نعم ،فتجهز، قال: وإلىٰ أين؟ قالت: ما سمىٰ لنا شيئًا غير أنه قد أمرنا بالجهاز).

وأما قريش فعمَّىٰ الله عليها الأخبار، فلا يأتيهم خبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يدرون ما هو صانع.

(إذ دخل النبي بفتح عنوه... علىٰ صحيح القول دون جفوه) : أي: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دخل مكة عنوة، وهذه من خصائصه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه أبيح له القتال بمكة ساعة من نهار، كما في البخاري(١٠٤)، ومسلم(١٣٥٤) عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الخزاعي أن النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال : (فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِيهَا، فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا اليَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ).

وقد اختلف أهل العلم هل فتحت مكة صلحا أو عنوة؟

والذي عليه الجمهور أن مكة فتحت عَنْوة، وهو الصحيح، ويدل علىٰ ذلك أدلة منها:

١- حديث أبي شريح المذكور؛ فإنه صريح في قتال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في مكة، وأنها فتحت عَنْوة.

٢- حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في البخاري(١٨٤٦)، ومسلم(١٣٥٧) أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، دَخَلَ عَامَ الفَتْحِ، وَعَلَىٰ رَأْسِهِ المِغْفَرُ، فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ؛ فَقَالَ: (اقْتُلُوهُ).

٣- ما جاء في البخاري(٣٥٧)، ومسلم(٣٣٦) عن أم هانئ أنها أجارت رجلا كافرا، وفيه: أنها قالت للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زَعَمَ ابْنُ أُمِّي أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلًا قَدْ أَجَرْتُهُ، فُلاَنَ ابْنَ هُبَيْرَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ).

فإجارتها له، وإمضاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإجارتها صريح في أنها فُتِحت عَنْوة.

وغير ذلك من الأدلة، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد (٣/ ١٠٩ وما بعدها) جملة من الأدلة علىٰ ذلك، فمن أراد الاستزادة فلينظر هنالك.

(قد لقي الرسول حال السفر... صخر بن حرب طالبا للظفر) : وذلك أنه لما نزل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمر الظهران وأوقدوا نارا كثيرة، وكان قد خرج في تلك الليلة أبو سفيان صخر بن حرب، وبديل بن ورقاء، وحكيم بن حزام يتجسسون الخبر، فلما رأوا النيران أنكروها، فقال بديل: هي نار خزاعة، فقال أبو سفيان: خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

وركب العباس بغلة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلتئذ، وخرج من الجيش لعله يلقىٰ أحداً، فلما سمع أصواتهم عرفهم، فقال: أبا حنظلة! فعرفه أبو سفيان، فقال: أبو الفضل؟ قال: نعم.

قال: ما وراءك؟ قال: ويحك.. هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الناس، واصباح قريش! ، إنه لهلاك قريش آخر الدهر.

قال: فما الحيلة؟ قال: والله لئن ظفر بك ليقتلنك، ولكن اركب ورائي وأسلم.

فركب وراءه، وانطلق به، فمر في الجيش كلما أتىٰ علىٰ قوم يقولون: هذا عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ بغلة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتىٰ مر بمنزل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلما رآه قال: عدو الله؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد.

ويركض العباس البغلة، ويشتد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جريه، وكان بطيئاً؛ فسبقه العباس، فأدخله علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء عمر في أثره، فاستأذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ضرب عنقه، فأجاره العباس مبادرة، فتقاول هو وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فأمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأتيه به غداً فقال له: (يا عباس اذهب به إلىٰ رحلك، فإذا أصبحت فائتنا به).

فلما أصبح أتىٰ به رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فعرض عليه الإسلام؛ فتلكأ قليلاً، ثم زجره العباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ؛ فأسلم، وحسن إسلامه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(قال الرسول آمن من دخلا.. بيتا لسفيان ودارا نزلا) : وذلك أنه لما جاء العباس بن عبد المطّلب بأبي سفيان بن حرب؛ فأسلم بمرِّ الظَّهران؛ فقال له العباس: يا رَسولَ اللهِ إنَّ أبا سفيانَ رجلٌ يُحبُّ هذا الفخرِ، فلو جعلتَ لَهُ شيئًا قالَ: (نعَم مَن دخلَ دارَ أبي سفيانَ فَهوَ آمنٌ، ومَن أغلقَ علَيهِ بابَهُ فَهوَ آمنٌ)، والحديث رواه أبو داود(٣٠٢١) ، وهو حديث حسن.

(أو كان داخلا بذاك المسجد) : وكذلك من دخل المسجد فهو آمن، كما في الرواية الأخرىٰ عند أبي داود برقم(٣٠٢٢) وفيه: (من دخلَ دارَ أبي سفيانَ فَهوَ آمِنٌ، ومن أغلقَ علَيهِ دارَهُ فَهوَ آمِنٌ، ومن دخلَ المسجدَ فَهوَ آمنٌ. قالَ: فتفرَّقَ النَّاسُ إلىٰ دورِهِم وإلىٰ المسجِدِ).

(ما لم يكن معاندًا ومعتدي) : فإنه يُقاتَل.

(قد هدم الشرك مع الأصنام) : أي: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد دخل مكة فاتحا، وهدم الشرك، وكسر الأصنام، وكان حول البيت ستون وثلاثمائة نصب؛ فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق ومايبدي

الباطل وما يعيد)، والحديث في البخاري(٤٢٨٧)، ومسلم(١٧٨١) عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكان دخول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كداء التي بأعلىٰ مكة، كما في البخاري(٤٢٩٠)، ومسلم(١٢٥٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ودخل وعليه عمامة سوداء، بغير إحرام، كما في مسلم(١٣٥٨) عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي حديث أنس المذكور سابقا : (أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل مكة يوم الفتح، وعلىٰ رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: (اقتله)، قال مالك: ولم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نرىٰ والله أعلم يومئذ محرمًا).

ودخل يوم فتح مكة علىٰ ناقته، وهو يقرأ سورة الفتح، كما في البخاري(٤٢٨١)، ومسلم(٧٩٤) عن عبدالله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونزل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة، واغتسل في بيت أم هانئ، وصلىٰ ثماني ركعات، يسلم من كل ركعتين. كما في البخاري(١١٧٦)، ومسلم(٣٣٦).

وقيل: إنها صلاة الضحىٰ.

وخرج صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلىٰ البيت؛ فطاف به طواف قدوم، ولم يسع، ولم يكن معتمراً.

ودعا بالمفتاح؛ فدخل البيت وأمر بإلقاء الصور ومحوها منه، وأذن بلال يومئذ علىٰ ظهر الكعبة، ثم رد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ المفتاح إلىٰ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وأقرهم علىٰ السدانة.

واستمر صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مفطراً بقية الشهر يصلي ركعتين، ويأمر أهل مكة أن يتموا، كما رواه النسائي بإسناد حسن عن عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

وفي البخاري(٤٢٩٨)، من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: (أقام النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بمكة تسعة عشر يوما يصلي ركعتين).

وخطب صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الغد من يوم الفتح؛ فبين حرمة مكة، وأنها لم تحل لأحد قبله، ولا تحل لأحد بعده، وإنما أحلت له ساعة من نهار، وهي غير ساعته تلك حرام.

(نصر عزيز كان في ذا العام) : فكان عام الفتح عام نصر وعز للإسلام والمسلمين، أكرم الله عَزَّوَجَلَّ فيه رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بهذا الفتح، وأقرَّ عينه به، وأعزَّ به دينه، وأعلىٰ كلمته. (١)

(١) الفتح للحافظ(٨/ ٧٤)، زاد المعاد لابن القيم(٣/ ١٠٩)، السيرة لابن هشام(٢/ ٤١١)، الفصول لابن كثير(١٩٥-٢٠٢)

٢٧٨- وَحَـرَّمَ الرَّسُـولُ فِيهَـا الْمُتْعَـهْ ** تَحْرِيمُهَـا فِـي الـدَّهْرِ دُونَ رَجْعَـهْ

٢٧٩- سَـرِيَّةٌ كَانَـتْ إِلَـىٰ جَذِيمَـهْ ** وَابْـنُ الْوَلِيـدِ قَائِـدُ الْعَزِيمَـهْ

٢٨٠- لَـمْ يُفْصِـحُوا بِقَوْلَـةِ الْإِسْـلَامِ ** فَقُتِلُـوا كَجُمْلَـةِ الْأَقْـوَامِ

٢٨١- وَدَاهُمُ الرَّسُولُ جَمْعًا وَاعْتَذَرْ ** بَـرَاءَةً للهِ مِمَّـا قَـدْ حَضَـرْ

الشَّرْحُ

(وحرم الرسول فيها المتعه... تحريمها في الدهر دون رجعه) : أي: وحرم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المتعة في فتح مكة تحريما مؤبدا ، وكانت قد حرمت في يوم خيبر ، ثم رخص فيها عام أوطاس ثلاثا ثم حرمت، ويدل علىٰ ذلك أدلة منها :

ما أخرجه البخاري(٣٩٧٩)، ومسلم(١٤٠٧) عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : (أن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نهىٰ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر) .

وفي رواية : (نهىٰ عن متعة النساء يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية).

وروىٰ عبدالرزاق في مصنفه(١٤٠٤٨) عن عبدالله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (كنا نغزو مع رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فتطول غربتنا، فقلنا: ألا نختصي يا رسول الله؟ فنهانا، ثم رخص أن نتزوَّج المرأة إلىٰ أجل بالشيء، ثم نهانا عنها يوم خيبر، وعن لحوم الحُمُر الإنسية).

وفي مسلم(١٤٠٦) عن الربيع بن سبرة الجهني أن أباه حدثه أنه كان مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : (يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلىٰ يوم القيامة؛ فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً).

وفي مسلم(١٤٠٥) عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (رخص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام أوطاس في المتعة ثلاثًا، ثم نهىٰ عنها).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (الروايات المستفيضة المتواترة متواطئة علىٰ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرَّم المتعة بعد إحلالها)اهـ [١]

ونكاح المتعة: هو نكاح المرأة لأجل محدود، ثم إخلاء سبيلها بانقضائه.

أي: أن يقول الرجل لامرأة: خذي هذا المال المعلوم -ولو درهمًا- وأتمتَّعُ بكِ مدةً معلومةً. [٢]

---

(١) منهاج السنة النبوية(٤/ ١٩٠)

(٢) النهاية لابن الأثير(٤/ ٢٩٢)، التعريفات للجرجاني(٢٤٦)

وقد أجمع السلف والخلف علىٰ تحريم المتعة، ولم يشذّ في ذلك إلا مَن لا يلتفت إليه من الروافض.

وقد ضَلَّ الشيعة الإمامية في إباحة نكاح المتعة ضلالا بعيدا، وافتروا علىٰ أئمتهم أقوالًا كثيرة في إباحتها، لا سيَّما جعفر الصادق وأبوه محمد الباقر، وجميعها روايات مكذوبة.

(سرية كانت إلىٰ جَذِيمه... وابن الوليد قائد العزيمه) : عقب فتح مكة بعث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ السرايا حول مكة يدعوهم إلىٰ الإسلام، ومنهم خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بعثه إلىٰ بني جَذِيمة، وهي قبيلة من قبائل العرب من عبد قيس، وكان ذلك في العام الثامن من الهجرة في شوال بعد فتح مكة، وقبل الخروج إلىٰ غزوة حنين.

(لم يفصحوا بقولة الإسلام... فقتلوا كجملة الأقوام) : وذلك أن خالدًا رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ دعاهم إلىٰ الإسلام فلم يحسنوا أن يعبروا عن إسلامهم فيقولوا: أسلمنا، بل قالوا : صبأنا صبأنا، أي: خرجنا من دين إلىٰ دين؛ فجعل خالد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يقتل بعضهم، ويأسر آخرين.

وإنما فعل خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك ظنا منه أنهم خرجوا من دينهم إلىٰ دين آخر غير الإسلام من يهودية، أو نصرانية، أو غيرهما، ولم يكن يعلم أنهم أرادوا الإسلام، وكان المشركون يقولون للمسلمين: صابئون؛ ذما وتعييرا لهم علىٰ ذلك.

(وداهم الرسول جمعا واعتذر... براءة لله مما قد حضر) : وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لما علم بما فعل خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفع يديه معتذرا إلىٰ الله من ذلك، وقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) ، قال ذلك مرتين ؛ لأن خالدا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استعجل ولم يتثبت في أمرهم، وإنما عذره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه كان متأولا، فلا عقوبة عليه، ولا إثم.

والحديث في البخاري(٤٣٣٩) عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إلىٰ بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إلىٰ الإسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أنْ يقولوا: أسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يقولونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ منهمْ ويَأْسِرُ، ودَفَعَ إلىٰ كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أسِيرَهُ، حتَّىٰ إذَا كانَ يَوْمٌ أمَرَ خَالِدٌ أنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أسِيرَهُ، فَقُلتُ: واللهِ لا أقْتُلُ أسِيرِي، ولَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِن أصْحَابِي أسِيرَهُ، حتَّىٰ قَدِمْنَا علَىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فَقالَ: "اللَّهُمَّ إنِّي أبْرَأُ إلَيْكَ ممَّا صَنَعَ خَالِدٌ"، مَرَّتَيْنِ).

وأخرج ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ(٢/ ٤٨٥) أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ بعث علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ فودىٰ لهم قتلاهم وما ذهب منهم، ثم انصرف إلىٰ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فأخبره.

٢٨٢- فِـي شَـهْرِ شَـوَّالٍ غَـزَا حُنَيْنَـا ** نَصْـرٌ مِـنَ اللهِ أَعَـزَّ الـدِّينَا

٢٨٣- هَزِيمَـةٌ فِـي أَوَّلِ اللِّقَـاءِ ** بِسَـبَبِ الْعُجْـبِ بِـلَا امْتِـرَاءِ

٢٨٤- مَغَـانِمٌ قَـدْ قُسِـمَتْ بَـيْنَ الْمَـلَا ** كَثِيـرَةٌ مِـنْ فَضْـلِ رَبِّـي ذِي الْعُـلَا

الشَّرْحُ

(في شهر شوال غزا حنينا... نصر من الله أعزّ الدينا) : شرع الناظم حفظه الله في ذكر غزوة حنين ، وكانت عقب فتح مكة في شوال سنة ثمان للهجرة.

وحنين: واد إلىٰ جنب ذي المجاز قريب من الطائف، وبينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات، قال أبوعبيد البكري: سمي باسم حنين بن قابثة بن مهلائيل.[١]

ويقال لها أيضا: غزوة هوازن، وغزوة أوطاس.

وكان سبب هذه الغزوة : أنه لما بلغ فتح مكة هوازن جمعهم مالك بن عوف النصري، لقتال المسلمين؛ فاجتمع إليه ثقيف وقومه بنو نصر بن معاوية، وبنو جشم، وبنو سعد بن بكر، وبشر من بني هلال بن عامر، وقد استصحبوا معهم أنعامهم ونساءهم لئلا يفروا، ويثبتوا عند اللقاء.

---

(١) الفتح للحافظ(٨/ ٢٧)

فلما تحقق ذلك دُريد بن الصِّمة شيخ بني جشم ـ وكانوا قد حملوه في هودج لكبره تيمنًا برأيه ـ أنكر ذلك علىٰ مالك بن عوف النصري وعابه وشنّع عليه، وقال: إنها إن كانت لك لم ينفعك ذلك، وإن كانت عليك فإن المنهزم لا يرده شيء.

وحرضهم علىٰ ألا يقاتلوا إلا في بلادهم، فأبوا عليه ذلك واتبعوا رأي مالك بن عوف.

وبعث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي؛ فاستعلم له خبر القوم وقصدهم، فتهيأ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ للقائهم، واستعار من صفوان بن أمية أدرعًا، وكان كافرا.

وسار النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلىٰ حنين، ومعه اثنا عشر ألفا من المسلمين، عشرة آلاف الذين كانوا معه في فتح مكة، وألفان من طلقاء مكة.

واستخلف علىٰ مكة عتاب بن أسيد.

وفي أثناء مسيره صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مرَّ بشجرة يعظمها المشركون يقال لها: ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم، فقال بعض الجهال : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ : (سُبحانَ اللهِ! هذا

كما قال قَومُ موسىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، والذي نَفْسي بيدِه، لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَن كان قَبلَكم)، رواه الترمذي(٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(هزيمة في أول اللقاء... بسبب العجب بلا امتراء) : وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما نهض فوافىٰ حنينًا، وكانت قد كمنت لهم هوازن فيه، وذلك في عماية الصبح، فحملوا علىٰ المسلمين حملة رجل واحد؛ ففرَّ بعض الصحابة، وكان هذا سبب هزيمة المسلمين في أول اللقاء أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا علىٰ غِرَّة، وأيضا عُجب بعضهم بكثرة العدد ، وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

وقد ثبت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم يفرَّ معه من أصحابه قريب من مائة.

وقيل : ثمانون.

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ راكبًا بغلة يركضها إلىٰ وجه العدو، والعباس آخذ بلجامها يكفُّها عن التقدم.

ففي مسلم(١٧٧٥) عنْ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ

الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ أَهْدَاهَا لَهُ فَرْوَةُ بْنُ نُفَاثَةَ الْجُذَامِيُّ، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ»، فَقَالَ عَبَّاسٌ: وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ»

قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى،

قَالَ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَىٰ حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح مسلم(١٢/ ١١٦): (هذا فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

إحداهما فعلية، والأخرىٰ خبرية؛ فإنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بهزيمتهم، ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين)اهـ

ولما هُزِم المشركون؛ انحازت طوائف من هوازن إلىٰ أوطاس؛ فبعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم أبا عامر الأشعري واسمه عبيد، ومعه ابن أخيه أبو موسىٰ الأشعري، وانحازت طوائف إلىٰ الطائف، وانحازت طوائف إلىٰ نخلة.

وكان عدد الذين قُتلوا من المسلمين في هذه الغزوة أربعة: وهم أبو عامر، وأيمن بن أم أيمن، ويزيد بن زمعة، وسراقة بن الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعا.

وأما المشركون فقد قُتل منهم خلق كثير نحو الأربعين.

(مغانم قد قسمت بين الملا... كثيرة من فضل ربي ذي العلا) : أي: لما انتهىٰ المسلمون من غزوة حنين غنم المسلمون غنائم كثيرة؛ فجمع النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الغنائم في الجعرانة، ثم توجه إلىٰ الطائف؛ لأن المشركين لما انهزموا هرب بعضهم إلىٰ أوطاس، وبعضهم إلىٰ نخلة، وبعضهم إلىٰ الطائف، فلحق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين هربوا إلىٰ الطائف -وهم ثقيف- وتحصَّنوا في حصن هنالك؛ فمكث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعين ليلة محاصرا لهم، وخرَّب الكثير من أموالهم وقطع أعنابهم، واستعصوا وقتلوا جماعة من المسلمين بنبالهم، وفي الترمذي(٣٩٤٢) عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْرَقْتَنَا نِبَالُ ثَقِيفٍ فَادْعُ اللهَ عَلَيْهِمْ. قَالَ : (اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا)، ثم رجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم ينل منهم كبير شيء.

وفي مسلم(١٧٧٨) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: حَاصَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ الطَّائِفِ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ: (إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ)، قَالَ أَصْحَابُهُ: نَرْجِعُ وَلَمْ نَفْتَتِحْهُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اغْدُوا عَلَىٰ الْقِتَالِ)، فَغَدَوْا عَلَيْهِ، فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا)، قَالَ: فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم رجع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ الجعرانة؛ فأتاه وفدُ هوازن مسلمين وطلبوا منه أن يردَّ لهم ذراريهم وأموالهم، كما في البخاري(٢٣٠٨) من حديث مَرْوَانَ بْنَ

الْحَكَمِ وَالْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَاهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَسَبْيَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ؛ إِمَّا السَّبْيَ وَإِمَّا الْمَالَ...)

فقَالُوا : (فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبْيَنَا).

وكان السبي ستة آلاف.

والمراد بالسبي: النساء والصبيان.

ثم قسم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغنائم ، وأعطىٰ جماعةً من سادات قريش والمؤلفة قلوبهم وغيرهم.

وأعطىٰ كل رجل منهم مائةً من الإبل، يتألفهم بذلك، ولم يعط الأنصار شيئا لما يرىٰ من ثباتهم وقوة إيمانهم.

وفي البخاري(٤٣٣٠)، ومسلم(١٠٦١)عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا ؛ قَسَمَ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَىٰ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ، فَبَلَغَهُ، أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

فَخَطَبَهُمْ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : (يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا؛ فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي ؟ وَعَالَةً ؛ فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي ؟ وَمُتَفَرِّقِينَ؛ فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي ؟). وَيَقُولُونَ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ : (أَلَا تُجِيبُونِي ؟). فَقَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ : (أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا). لِأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا، زَعَمَ عَمْرٌو أَنْ لَا يَحْفَظُهَا، فَقَالَ : (أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْإِبِلِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ إِلَىٰ رِحَالِكُمُ ؟ الْأَنْصَارُ شِعَارٌ ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ ؛ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا ؛ لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً ، فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الْحَوْضِ).

وفي هذه الغزوة قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه : (من قتل كافرا فله سَلَبه)؛ فقتل أبو طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومئذ عشرين رجلا، وأخذ أسلابهم. رواه أبوداود(٢٧١٨) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. **والسَّلَب** : ما يكون مع القتيل من المال والسلاح والمتاع ونحو ذلك. (١)

(١) السيرة لابن هشام(٢/ ٤٣٨)، السيرة لابن كثير(٣/ ٦١٠)، الفصول(٢٠٤)

٢٨٥- ثُـمَّ تَـلَاهُ عُمْـرَةُ الْجِعْرَانَـهْ ** مِـنْ بَعْـدِ قَسْـمِ الْعِيـرِ وِالْإِعَانَـهْ

٢٨٦- غَزْوُ تَبُوكَ كَانَ فِي شَهْرِ رَجَبْ ** مِنْ عَامِ تِسْعٍ كَمْ قَرَأْنَا مِنْ عَجَبْ

٢٨٧- قَـدْ أُسْـمِيَتْ لِشِـدَّةٍ بِالْعُسْـرَهْ ** فِـي سُـورَةِ التَّوْبَـةِ كَانَـتْ عِبْـرَهْ

٢٨٨- وَصَـالَحَ النَّبِـيْ أَمِيـرَ دُومَـهْ ** مَكَانُـهُ بِـالْقُرْبِ مِـنْ سَـدُومَهْ

الشَّرْحُ

(ثم تلاه عمرة الجعرانة... من بعد قسم العير والإعانة) : أي: أن عمرة الجعرانة كانت بعد غزوة حنين، وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن قسم الغنائم والإبل علىٰ سادات قريش والمؤلفة قلوبهم وغيرهم؛ اعتمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجعرانة، ودخل مكة.

ثم لما قضىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمرته؛ رجع إلىٰ المدينة.

وقد اعتمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع عمر وهي : الحديبية ، ثم عمرة القضاء ، ثم عمرة الجعرانة، ثم عمرته مع حجته.

ففي البخاري(١٧٨٠)، ومسلم(١٢٥٣) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ كُلُّهُنَّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، إِلَّا الَّتِي مَعَ حَجَّتِهِ عُمْرَةً مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ، أَوْ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي ذِي

الْقَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مِنْ جِعْرَانَةَ حَيْثُ قَسَمَ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ).

(غزو تبوك كان في شهر رجب... من عام تسع كم قرأنا من عجب) : ثم شرع الناظم حفظه الله في الكلام علىٰ غزوة تبوك وكانت في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع، وهي آخر غزوات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي الصحيحين من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لم أتخلف عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة غزاها حتىٰ كانت غزوة تبوك.. وهي آخر غزوة غزاها.

وتبوك: بالفتح ثم بالضم وواو ساكنة، موضع بين وادي القرىٰ والشام.

وقيل: بركة لأبناء سعد من بني عذرة.

وإنما كانت غزوة تبوك في شهر رجب وهو من الأشهر الحرم؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يغزُ فيها ابتداء، وإنما غزا عندما بلغه أن الروم قد جمعوا له جموعًا كثيرة من الروم والغساسنة وقبائل العرب الموالية لهم، وهذا هو سبب غزوة تبوك علىٰ الصحيح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ولا خلاف في جواز القتال في الشهر الحرام إذا بدأ العدو، إنما الخلاف أن يقاتل فيه ابتداء)اهـ

(قد أسميت لشدة بالعسرة) : أي: أن غزوة تبوك سميت أيضا: بغزوة العسرة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ الآية [التوبة: ١١٧].

وسبب تسميتها بذلك: لأنها كانت في وقت حر، وقحط، وضيق شديد في النفقة والظهر والماء.

فاجتمع عليهم عسرة الظهر، وعسرة الزاد، وعسرة الماء.

حتىٰ كان العشرة من المسلمين يخرجون علىٰ بعير يعتقبونه بينهم، وكان زادهم التمر المتسوس، والشعير المتغير، والإهالة المنتنة.

فدعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلمين لاسيما الأغنياء منهم إلىٰ التبرع لإعداد الجيش؛ فبادروا إلىٰ ذلك، وتتابع الناس بصدقاتهم قليلها وكثيرها.

وكان أعظمهم سخاء عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث جهز الجيش وأنفق لذلك مالا كثيرا، كما في مسند أحمد(٢٠٦٣٠)، والترمذي(٣٧٠١) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

بْنِ سَمُرَةَ ، قَالَ : جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي ثَوْبِهِ حِينَ جَهَّزَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ. قَالَ : فَصَبَّهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ، وَيَقُولُ : (مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ)، يُرَدِّدُهَا مِرَارًا.

فكان تجهيزه لجيش العسرة منقبة من مناقبه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ولم يبخل بماله إلا المنافقون وكانوا يؤذون المؤمنين، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

وندب رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ المسلمين للخروج؛ فتسارع المسلمون للخروج .

وكان من نهج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه إذا أراد غزوة ورىٰ بغيرها إلا هذه الغزوة؛ فقد صرح لهم بها ليتأهبوا؛ لشدة عدوهم وكثرته، وبعد المسافة، وشدة الحر.

ففي البخاري(٢٩٤٨) من حديث كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يَقُولُ : (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّىٰ بِغَيْرِهَا، حَتَّىٰ كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا

وَمَفَازًا ، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّىٰ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ).

فخرج المسلمون وكان عددهم : ثلاثون ألفًا علىٰ الأشهر، وكان هذا أكبر عدد غزا به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولم يتخلف عن غزوة تبوك سوىٰ أربعة أقسام :

الأول: مأمورون مأجورون : وهم الذين استخلفهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، وقيل: سباع بن عرفطة، وخلف علىٰ أهله علي بن أبي طالب وأمره بالإقامة فيهم.

الثاني: معذورون : وهم الضعفاء والمرضىٰ والذين لا يجدون ما يحملهم من النفقة، وهؤلاء معذرون ولهم الأجر.

قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

وفي الصحيحين أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال فيهم حين دنا من المدينة: (إِنَّ بِالمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ)، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: (وَهُمَ بِالمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ العُذْرُ).

الثالث: من زلَّ ثم تاب : وهم مُرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية.

الرابع: منافقون : تخلّفوا كفرًا ونفاقا، وهم بضعة وثمانون رجلًا علىٰ رأسهم عبد الله بن أُبي بن سلول.

(في سورة التوبة كانت عبرة) : أي: قد ورد ذكر غزوة تبوك وما اشتملت عليه من العبر في سورة التوبة، وورد فيها أقسام الذين تخلفوا عن هذه الغزوة ، كما فضح الله فيها المنافقين، وكان نزول أغلب هذه السورة في غزوة تبوك.

(وصالح النبي أمير دومه.. مكانه بالقرب من سدومه) : و ذلك أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لما انتهىٰ إلىٰ هناك لم يلق غزوًا، وكان الروم لما سمعوا بزحف النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أخذهم الرعب؛ فتفرقوا في البلاد داخل حدودهم ؛ فرأىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن دخولهم إلىٰ أرض الشام بهذه السنة يشق عليهم؛ فعزم علىٰ الرجوع.

وجاء يُحنة بن رؤبة صاحب أيلة، فصالح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعطاه الجزية.

وأتاه أهل جرباء وأهل أذرح فأعطوه الجزية.

وصالحه أهل ميناء علىٰ ربع ثمارها.

وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خالد بن الوليد إلىٰ أكيدر بن عبدالملك صاحب دومة الجندل؛ فجاء به إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحقن دمه، وصالحه، وأقر بإعطاء الجزية.

وفي مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ أُكَيْدِرَ دُومَةِ الْجَنْدَلِ أَهْدَىٰ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةً مِنْ سُنْدُسٍ ، وَكَانَ يَنْهَىٰ عَنِ الْحَرِيرِ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا، فَقَالَ : (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ مَنَادِيلَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا). [1]

(١) البداية والنهاية(٧/ ٢٠٠)، السيرة لابن هشام(٢/ ٥١٦)، زاد المعاد لابن القيم(٣/ ٣٠١)، الفصول(٢١٠)

٢٨٩- وَمَـرَّ بِـالْحِجْرِ بِـلَادٍ عُـذِّبَتْ ** لَا تَـدْخُلُوا إِلَّا بِعَـيْنٍ قَـدْ بَكَـتْ

٢٩٠- وَمَكْـرُ أَهْـلِ لِلنِّفَـاقِ حَاصِـلُ ** يُرِيـدُ قَـتْلًا وَالرَّسُـولُ مُقْبِـلُ

٢٩١- سَـلَّمَهُ اللهُ لَـهُ السَّـلَامَهْ ** وَرَجَعُـوا بِـالْخِزْيِ وَالسَّـآمَهْ

٢٩٢- حَالَ الرُّجُوعِ مَرَّ فِي وَادِي الْقُرَىٰ ** وَقَدْ أَصَابَ الْخَرْصَ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا

٢٩٣- فَحِينَ كَانَ فِي رُجُوعٍ مِنْ سَفَرْ ** أَرَادَ طَيْبَـةً بِهَـا نِعْـمَ الْمَقَـرْ

الشَّرْحُ

(ومرَّ بالحجر بلاد عذبت... لا تدخلوا إلا بعين قد بكت) : أي: مرَّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بالحِجْر ، وهي ديار ثمود ؛ فأمرهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن لا يدخلوها إلا باكين ، كما في البخاري(٤٤٢٠)، ومسلم(٢٩٨٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِأَصْحَابِ الْحِجْرِ : (للارَا تَدْخُلُوا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ ؛ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ).

وفي البخاري(٣٣٧٩)، ومسلم(٢٩٨١) عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَرْضَ ثَمُودَ الْحِجْرَ، فَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا

وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنَ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ).

(ومكر أهل للنفاق حاصل... يريد قتلا والرسول مقبل) : وذلك أن المنافقين تآمروا علىٰ قتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما أقبل من غزوة تبوك راجعا إلىٰ المدينة ؛ فحاولوا الفتك به في عقبة علىٰ طريق تبوك ، وذلك بأن يدفعوه عن راحلته إلىٰ الوادي، إذا تسنَّم العقبة بالليل، وكان بصحبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ فدافعا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دفاعاً شديداً.

(سلَّمه الله له السلامة... ورجعوا بالخزي والسآمة) : أي: سلَّم الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كيد المنافقين ومكرهم، وفروا هاربين ولم يتبين لعمار وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صورهم؛ لأن المنافقين كانوا ملثمين.

وقد أخرج هذا أحمد في مسنده (٢٣٧٩٢) عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَىٰ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ الْعَقَبَةَ فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ. فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُودُهُ حُذَيْفَةُ، وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ ؛ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَىٰ الرَّوَاحِلِ، غَشُوا

عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِحُذَيْفَةَ : (قُدْ، قُدْ). حَتَّىٰ هَبَطَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ، فَقَالَ : (يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ ؟). فَقَالَ : قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ، وَالْقَوْمُ مُتَلَثِّمُونَ. قَالَ : (هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا ؟). قَالَ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : (أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَيَطْرَحُوهُ)، قَالَ : فَسَأَلَ عَمَّارٌ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ : نَشَدْتُكَ بِاللهِ كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ ؟ فَقَالَ : أَرْبَعَةَ عَشَرَ. فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ فِيهِمْ فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ. فَعَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً، قَالُوا : وَاللهِ مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ. فَقَالَ عَمَّارٌ : أَشْهَدُ أَنَّ الِاثْنَيْ عَشَرَ الْبَاقِينَ حَرْبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ.

وقد علم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن طريق الوحي أسماء المنافقين الذين حاولوا قتله، ولكنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يقم عليهم الحد ، حتىٰ لا يتحدث الناس أن محمداً صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقتل أصحابه.

(حال الرجوع مر في وادي القرىٰ... وقد أصاب الخرص من غير امترا) : أي: أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عند رجوعه من غزوة تبوك مرَّ علىٰ وادي القرىٰ وهو: واد بين المدينة والشام، وهو قريب من المدينة، ويقع بين تيماء وخيبر؛ فرأىٰ المرأة التي كان قد خرص لها ثمار بستانها عند ذهابه لغزوة تبوك ؛ فكانت الثمرة كما قدَّر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وذلك أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عندما خرج لغزوة تبوك مرَّ علىٰ وادي القرىٰ؛ فرأىٰ امرأة في بستان لها؛ فطلب منهم النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يقدِّروا الثمار التي علىٰ النخل، وقدَّرها صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنها إذا جفَّت تبلغ عشرة أوسق، أي: ستمائة صاع من التمر ، وطلب من المرأة أن تكيلها إذا جفت، وتعرف كم صاعا بلغت، وتضبط عدد كيلها.

فلما رجع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من غزوة تبوك أتىٰ وادي القرىٰ عائدا إلىٰ المدينة، وسأل المرأة صاحبة الحديقة المذكورة: كم صاعا أثمرت حديقتك؟ فأجابته: أن ثمرتها بلغت عشرة أوسق، مثل ما قدَّر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تماما.

والحديث في البخاري(١٤٨٢)، ومسلم(١٣٩٢) عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِيَ الْقُرَىٰ إِذَا امْرَأَةٌ

فِي حَدِيقَةٍ لَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ : (اخْرُصُوا). وَخَرَصَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةَ أَوْسُقٍ ، فَقَالَ لَهَا : (أَحْصِي مَا يَخْرُجُ مِنْهَا). فَلَمَّا أَتَيْنَا تَبُوكَ قَالَ : (أَمَا إِنَّهَا سَتَهُبُّ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلَا يَقُومَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرٌ فَلْيَعْقِلْهُ). فَعَقَلْنَاهَا وَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَقَامَ رَجُلٌ فَأَلْقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ، وَأَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِبَحْرِهِمْ ، فَلَمَّا أَتَى وَادِيَ الْقُرَى قَالَ لِلْمَرْأَةِ : (كَمْ جَاءَ حَدِيقَتُكِ؟). قَالَتْ : عَشَرَةَ أَوْسُقٍ، خَرْصَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي الحديث من الفوائد : مشروعية الخرص، وهو تقدير ما على النخل من الرطب تمرا؛ ليحصى على مالكه، فيتوصل به إلى تحديد فريضة الزكاة فيها.

وفيه: علامة من علامات نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وذلك في إخباره عن الريح التي تهب.

وفيه: قبول هدية الكافر.

(فحين كان في رجوع من سفر... أراد طيبة بها نعم المقر) : أي: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند رجوعه من غزوة تبوك و مروره بوادي القرى؛ أراد الوصول سريعا إلى المدينة وأخبر أصحابه بذلك ؛ لحبه لها، وطيب مقرِّه فيها.

كما في الصحيحين من حديث أبي حميد السابق، وفيه: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنِّي مُسْرِعٌ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِي، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ). فَخَرَجْنَا حَتَّىٰ أَشْرَفْنَا عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ : (هَذِهِ طَابَةُ، وَهَذَا أُحُدٌ، وَهُوَ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ).

ثُمَّ قَالَ : (إِنَّ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي عَبْدِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ).

فَلَحِقَنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ أَبُو أُسَيْدٍ : أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيَّرَ دُورَ الْأَنْصَارِ فَجَعَلَنَا آخِرًا ؟ فَأَدْرَكَ سَعْدٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، خَيَّرْتَ دُورَ الْأَنْصَارِ فَجَعَلْتَنَا آخِرًا. فَقَالَ : (أَوَلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخِيَارِ).

فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب المدينة وأهلها وما فيها.

٢٩٤- وَكَانَ فِيهَا حَرْقُ مَسْجِدِ الضَّرَرْ ** وَفِيهِ قِصَّةٌ لَنَا فِيهَا عِبَرْ
٢٩٥- ثَلَاثَةُ الْقَوْمِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ** لِأَنَّهُمْ فِي الْغَزْوِ قَدْ تَخَلَّفُوا
٢٩٦- وَصَدَقُوا الرَّسُولَ ثُمَّ هُجِرُوا ** تِيبَ عَلَيْهِمْ بِالْمَتَابِ جُبِرُوا
٢٩٧- إِذْ قَدْ عَفَا اللهُ عَنِ الذُّنُوبِ ** وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِالتَّأْدِيبِ

الشَّرْحُ

(وكان فيها حرق مسجد الضرر) : أي: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند رجوعه من غزوة تبوك؛ أمر بهدم مسجد الضرار وحرقه.

ومسجد الضرار: هو مسجد بناه المنافقون بقصد الإضرار بمسجد قباء، والتفريق بين المؤمنين، وجاء أنه بُني لأبي عامر الذي كان يقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان المشركون يعظمونه؛ فلما جاء الإسلام فرَّ إلىٰ الكافرين؛ فقامت طائفة من المنافقين ببناء هذا المسجد.

(وفيه قصة لنا فيها عبر) : وقد وردت قصة مسجد الضرار في القرآن الكريم، في سورة التوبة، حيث قال الله تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ

عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨].

وقصة هذا المسجد أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء، وكان يأتيهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ويصلي فيه، حسدتهم بنو غنم بن عوف وقالوا: نبني مسجدا ونرسل إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يصلي فيه، ويصلي فيه أبو عامر الفاسق إذا قدم من الشام؛ ليثبت لهم الفضل والزيادة، وكان أبو عامر قد فرّ إلىٰ الشام، وجاء أنه هو الذي أرسل إلىٰ المنافقين أن يبنوا المسجد، وأن يستعدوا بما استطاعوا من قوة وسلاح؛ فإنه ذاهب إلىٰ قيصر، وآت بجنود لإخراج محمد وأصحابه من المدينة ؛ فبنىٰ المنافقون مسجد الضرار إلىٰ جانب مسجد قباء، وأخبروا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنهم بنوه لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية، ودعوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ليصلي فيه؛ فنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا﴾ إلىٰ قوله: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا﴾، فدعا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وغيرهما ؛ فأمرهم بهدم المسجد وحرقه.

وإنما أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بهدمه وحرقه؛ لأن المنافقين بنوه، وغرضهم من ذلك :

١ - مضارة مسجد قباء؛ ولهذا يسمىٰ مسجد الضرار .

٢- الكفر بالله؛ حيث يقرر فيه الكفر.

٣- التفريق بين المؤمنين.

٤- الإرصاد لمن حارب الله ورسوله؛ كما ورد في السير أن أبا عامر الفاسق كانت بينه وبين المنافقين مراسلات؛ فاتخذوا هذا المسجد بتوجيهات منه، وكانوا يجتمعون فيه لتقرير ما يريدونه من المكر والخديعة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وإخراجهم من المدينة.

قال الله تعالىٰ : ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ، أي : ما أردنا ببنائه إلا خيرًا.

قال تعالىٰ : ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، أي : فيما قالوه وفيما قصدوه ، وإنما بنوه ضِرارا لمسجد قُباء ، وكفرا بالله ، وتفريقًا بين المؤمنين ، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله.

وهذه سنة المنافقين: الأيمان الكاذبة.

فنهىٰ الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصلي فيه أبدا؛ فقال: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، ثم حثه علىٰ الصلاة في مسجد قُباء الذي أسس من أول يوم بنائه علىٰ التقوىٰ، وجمعا لكلمة المؤمنين ، ومَعقلا وموئلا للإسلام وأهله ؛ فقال تعال: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾.

وفي هذا دليل علىٰ هدم أماكن الضرار؛ التي وُضعت للإضرار، والتفريق بين المسلمين.

(ثلاثة القوم الذين خلفوا) : وهم: مُرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعا.

(لأنهم في الغزو قد تخلَّفوا) : وكانوا قد تخلَّفوا عن غزوة تبوك مع القدرة علىٰ ذلك.

وكان قد تخلَّف أيضا أبو خيثمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكنه لحق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

(وصدقوا الرسول ثم هجروا) : أي: أن مُرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية؛ صدقوا القول للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يعتذروا له بما هو كذب كما فعل المنافقون، حيث أتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعتذروا له بأعذار كاذبة.

أما هؤلاء الثلاثة فقد صدقوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فأمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهجرهم حتىٰ يقضي الله في أمرهم؛ فهُجروا خمسين ليلة، ثم تاب الله عليهم.

وقصتهم في البخاري(٤٤١٨)، ومسلم(٢٧٦٩) من حديث كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ، إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّىٰ جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، وَكَانَ مِنْ خَبَرِي - حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ - أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَىٰ وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللهِ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّىٰ جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا ، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابُ حَافِظٍ - يُرِيدُ بِذَلِكَ الدِّيوَانَ - قَالَ كَعْبٌ : فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ، يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَىٰ لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي : أَنَا قَادِرٌ عَلَىٰ ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُ. فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَىٰ بِي حَتَّىٰ اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ،

فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَىٰ بِي حَتَّىٰ أَسْرَعُوا، وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذَلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَىٰ لِي أُسْوَةً، إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : " مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟ " قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ : يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ. فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا.

فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ رَأَىٰ رَجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ ". فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ، فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي ، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ، وَأَقُولُ : بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا. وَأَسْتَعِينُ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا .

زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّىٰ عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ، حَتَّىٰ جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ : " تَعَالَ ". فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّىٰ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي : " مَا خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ " قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَىٰ بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَىٰ اللهِ، وَاللهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَىٰ وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : " أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ ". فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي : وَاللهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَكَ.

قَالَ : فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّىٰ أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي. قَالَ : ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي مِنْ أَحَدٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ، لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ، قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ. قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قَالُوا : مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعَةِ الْعَامِرِيُّ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ. قَالَ : فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، قَالَ : فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، قَالَ : وَنَهَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، قَالَ : فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَقَالَ : تَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّىٰ تَنكَّرَتْ لِي فِي نَفْسِيَ الْأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَىٰ ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا.

ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَىٰ صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّىٰ إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ

عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ، هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ؟ قَالَ : فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَقَالَ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَىٰ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟ قَالَ : فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّىٰ جَاءَنِي، فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. قَالَ : فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا : وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ. فَتَيَامَمْتُ بِهَا التَّنُّورَ ، فَسَجَرْتُهَا بِهَا، حَتَّىٰ إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ، وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَأْتِينِي، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ. قَالَ : فَقُلْتُ : أُطَلِّقُهَا، أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ ؟ قَالَ : لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا، فَلَا تَقْرَبَنَّهَا. قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَىٰ صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ : فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي : الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ. قَالَ : فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ ؟ قَالَ : " لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكِ ". فَقَالَتْ : إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَىٰ شَيْءٍ، وَوَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَىٰ يَوْمِهِ

هَذَا. قَالَ : فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِكَ، فَقَدْ أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، قَالَ : فَقُلْتُ : لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، قَالَ : فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلَامِنَا، قَالَ : ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَىٰ ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ - سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَىٰ عَلَىٰ سَلْعٍ، يَقُولُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ : يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ. قَالَ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، قَالَ : فَآذَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّىٰ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَىٰ سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي، وَأَوْفَىٰ الْجَبَلَ فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ : لِتَهْنِئْكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ.

حَتَّىٰ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّىٰ صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللهِ مَا قَامَ رَجُلٌ

مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ - قَالَ : فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ - قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَيَقُولُ: " أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ". قَالَ : فَقُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ ؟ فَقَالَ : " لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ ".

وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ : وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ، قَالَ : فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ رَسُولِهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ ؛ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ". قَالَ : فَقُلْتُ : فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ. قَالَ : وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ. قَالَ : فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ - مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ يَوْمِي هَذَا - أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللهُ بِهِ، وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىٰ يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِيَ اللهُ فِيمَا بَقِيَ، قَالَ : فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ ،

حَتَّىٰ بَلَغَ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩] . قَالَ كَعْبٌ : وَاللهِ، مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ - بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللهُ لِلْإِسْلَامِ - أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، إِنَّ اللهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، وَقَالَ اللهُ : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٩٥ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦] . قَالَ كَعْبٌ : كُنَّا خُلِّفْنَا، أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ، عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّىٰ قَضَىٰ اللهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ . وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفَنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ).

(تيب عليهم بالمتاب جبروا) : أي: ثم تاب اللهُ عليهم بعد أن هُجروا خمسين ليلة حتىٰ ضاقت عليهم الأرض بما رحبت؛ فجبرت قلوبهم بتوبة الله عليهم، وتجاوزه عنهم، وأُبدلوا بعد الغم سرورا.

(إذ قد عفا الله عن الذنوب... ونزل القرآن بالتأديب) : فتاب الله عن المؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله، وعفا عنهم، ونزل القرآن بذلك؛ فقال ﷻ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٨].

كما نزل بفضح المنافقين وبيان كذبهم؛ فقال تعالىٰ: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٤-٩٦].

٢٩٨- ثُـــمَّ تَلَاهَـــا مَقْـــدَمُ الْوفُـــودِ ** يُبَـــادِرُونَ عَقْـــدَ ذِي الْعُهُـــودِ

٢٩٩- وَمَـاتَ فِيهَـا رَأْسُ ذِي النِّفَـاقِ ** ابْـــنُ أُبَـــيٍّ أَصْـــلُ ذَا الشِّـــقَاقِ

الشَّرْحُ

(ثم تلاها مقدم الوفود... يبادرون عقد ذي العهود) : أي: ثم تلا فتح مكة مقدم الوفود المبايعة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك أن العرب كانت تقول: اتركوه هو وقومه؛ فإن ظهر عليهم فهو نبي ؛ فلما كان فتح مكة عرفوا صدقه، وزالت عنهم الشبهات؛ فبادروا للدخول في دين الله أفواجا.

ففي البخاري(٤٣٠٢) عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلِمَةَ . قَالَ : قَالَ لِي أَبُو قِلَابَةَ : أَلَا تَلْقَاهُ فَتَسْأَلَهُ ؟ قَالَ : فَلَقِيتُهُ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ : كُنَّا بِمَاءٍ مَمَرَّ النَّاسِ، وَكَانَ يَمُرُّ بِنَا الرُّكْبَانُ، فَنَسْأَلُهُمْ : مَا لِلنَّاسِ ؟ مَا لِلنَّاسِ ؟ مَا هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَيَقُولُونَ : يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ، أَوْ : أَوْحَىٰ اللهُ بِكَذَا. فَكُنْتُ أَحْفَظُ ذَلِكَ الْكَلَامَ، وَكَأَنَّمَا يُغْرَىٰ فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَلَوَّمُ بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ : اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ. فَلَمَّا كَانَتْ وَقْعَةُ أَهْلِ الْفَتْحِ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ، وَبَدَرَ أَبِي قَوْمِي بِإِسْلَامِهِمْ..)الحديث.

وقد ذكر أصحاب المغازي أن عدد الوفود يزيد علىٰ سبعين وفدا ، نذكر منها :

وفد بني تميم : ويدل علىٰ ذلك ما جاء في البخاري(٤٣٦٥) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : أَتَىٰ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : (اقْبَلُوا الْبُشْرَىٰ يَا بَنِي تَمِيمٍ). قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا. فَرُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَجَاءَ نَفَرٌ مِنَ الْيَمَنِ، فَقَالَ : (اقْبَلُوا الْبُشْرَىٰ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ). قَالُوا : قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ.

وفد الأشعريين : ويدل علىٰ ذلك ما جاء في مسند أحمد(١٢٥٨٢) عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا أَقْوَامٌ هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا لِلْإِسْلَامِ مِنْكُمْ). قَالَ : فَقَدِمَ الْأَشْعَرِيُّونَ فِيهِمْ أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ جَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ يَقُولُونَ :

غَـدًا نَلْقَـىٰ الْأَحِبَّـهْ ** مُحَمَّــدًا وَحِزْبَــهْ

فَلَمَّا أَنْ قَدِمُوا تَصَافَحُوا، فَكَانُوا هُمْ أَوَّلَ مَنْ أَحْدَثَ الْمُصَافَحَةَ.

وهو حديث صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة(٥٢٨).

وفي البخاري(٣٣٠٢) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو أَبِي مَسْعُودٍ ، قَالَ : أَشَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْيَمَنِ فَقَالَ : (الْإِيمَانُ يَمَانٍ هَاهُنَا، أَلَا إِنَّ الْقَسْوَةَ وَغِلَظَ الْقُلُوبِ فِي الْفَدَّادِينَ عِنْدَ أُصُولِ أَذْنَابِ الْإِبِلِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ ، فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ).

وفد عبد القيس : كما في البخاري(٨٧)، ومسلم(١٧) عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : (مَنِ الْوَفْدُ ؟). أَوْ : (مَنِ الْقَوْمُ ؟). قَالُوا : رَبِيعَةُ فَقَالَ : (مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ – أَوْ : بِالْوَفْدِ – غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَىٰ).

وفد دوس : كما في البخاري(٢٩٣٧)، ومسلم(٢٥٢٤) من حديث أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللهَ عَلَيْهَا. فَقِيلَ : هَلَكَتْ دَوْسٌ. فقَالَ : (اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ).

وفد بني حنيفة : جاء في البخاري(٢٤٢٢)، ومسلم(١٧٦٤) من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ : ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةِ

مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ : (مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟) فَقَالَ : عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ.

فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَتَّىٰ كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ : (مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟) قَالَ : مَا قُلْتُ لَكَ ؛ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَتَّىٰ كَانَ مِنَ الْغَدِ، فَقَالَ : (مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟) فَقَالَ : عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ ؛ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ، وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : (أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ). فَانْطَلَقَ إِلَىٰ نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، يَا مُحَمَّدُ وَاللهِ، مَا كَانَ عَلَىٰ الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَىٰ ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ

مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ : أَصَبَوْتَ ؟ فَقَالَ : لَا، وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّىٰ يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفد مسيلمة الكذاب بمن معه من بني حنيفة : جاء في البخاري(٣٦٢١)، ومسلم(٢٢٧٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ يَقُولُ : إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ. وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّىٰ وَقَفَ عَلَىٰ مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ : (لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا رَأَيْتُ).

فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا. فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي، فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ).

وفد نجران : جاء في البخاري(٤٣٨٠)، ومسلم(٢٤٢٠) عن عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : جَاءَ الْعَاقِبُ، وَالسَّيِّدُ صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُرِيدَانِ أَنْ يُلَاعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لَا تَفْعَلْ فَوَاللهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَاعَنَّا؛ لَا نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلَا عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا. قَالَا: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلَا تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ: (لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِين). فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَقَالَ : (قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ). فَلَمَّا قَامَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : (هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ).

وفد ضمام بن ثعلبة عن قومه بني سعد بن بكر : جاء في البخاري(٦٣)، ومسلم(١٢) عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَىٰ جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ - وَالنَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ - فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (قَدْ أَجَبْتُكَ). فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ: (سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ). فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ: آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَىٰ النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ:

(اللَّهُمَّ نَعَمْ). قَالَ: أَنْشُدُكَ بِالله آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ قَالَ: (اللَّهُمَّ نَعَمْ). قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: (اللَّهُمَّ نَعَمْ). قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللهِ آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَىٰ فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (اللَّهُمَّ نَعَمْ). فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.

(ومات فيها رأس ذي النفاق... ابن أبي رأس ذا الشقاق) : أي: وفي السنة التاسعة من الهجرة توفي رئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وكان قد مرض في ذي القعدة ثم توفي علىٰ النفاق والعياذ بالله.

وجاء عند أبي داود (٣٠٩٤)، وأحمد(٢١٧٥٨) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَعُودُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ عَرَفَ فِيهِ الْمَوْتَ، قَالَ: (قَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ حُبِّ يَهُودَ). قَالَ: فَقَدْ أَبْغَضَهُمْ سَعْدُ بْنُ زُرَارَةَ، فَمَهْ؟

فَلَمَّا مَاتَ أَتَاهُ ابْنُهُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله، إِنَّ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ قَدْ مَاتَ، فَأَعْطِنِي قَمِيصَكَ أُكَفِّنْهُ فِيهِ. فَنَزَعَ رَسُولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَمِيصَهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ.

وقوله: (فقد أبغضهم أسعد بن زرارة، فمه): يريد أن أسعد بن زرارة قد أبغض اليهود فما دفع عنه بغضهم الموت، وهذا من ضعف فهمه وقصور نظره؛ حيث جعل النفع هو الخلاص من الموت.

وفي البخاري(١٢٧٠) عن جَابِر قَالَ : أَتَىٰ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الله بْنَ أُبَيٍّ بَعْدَمَا دُفِنَ فَأَخْرَجَهُ، فَنَفَثَ فِيهِ مِنْ رِيقِهِ وَأَلْبَسَهُ قَمِيصَهُ.

وإنما نزع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قميصه ليكفن فيه ؛ لأنه كان كسا العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قميصه؛ فأراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكافئه.

كما في البخاري (٣٠٠٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (لما كان العباس بن عبد المطلب بالمدينة، طلبت الأنصار ثوبًا يكسونه، فلم يجدوا قميصًا يصلح عليه، إلا قميص عبد الله بن أبي فكسوه إياه).

وفي لفظ: (لما كان يوم بدر أتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له قميصا، فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياه، فلذلك نزع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قميصه الذي ألبسه).

قال ابن عيينة: كانت له عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يد؛ فأحب أن يكافئه.

٣٠٠- وَكَلَّفَ الرَّسُولُ بِالْحُجَّاجِ ** صِدِّيقَهُ يَسُوقُ بِالْأَفْوَاجِ

٣٠١- وَمَعْ عَلِيٍّ خِيرَةِ الْفِتْيَانِ ** بَرَاءَةٌ مِنْ زُمْرَةِ الشَّيْطَانِ

٣٠٢- يَمْنَعُ حَجَّ الْمُشْرِكِينَ أَبَدَا ** وَيُثْبِتُ الطَّوَافَ مِنْ غَيْرِ اعْتِدَا

٣٠٣- تَتَابَعَ الْوُفُودُ عَامَ الْعَاشِرِ ** وَقَدْ أَذَلَّ اللهُ دِينَ الْكَافِرِ

٣٠٤- وَارْتَدَّ فِيهَا الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ ** وَإِسْمُهُ عَبْهَلَةُ الشَّقِيُّ

الشَّرْحُ

(وكلف الرسول بالحجاج... صديقه يسوق بالأفواج) : أي: ثم بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبابكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميرا علىٰ الحج في أواخر السنة التاسعة ؛ ليقيم للناس حجهم.

ولم يحج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك العام؛ قيل: لانشغاله باستقبال الوفود، وقيل: من أجل تطهير البيت من المشركين وما كانوا عليه من الضلالات.

وكان خروج أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن معه من المسلمين إلىٰ مكة في شهر ذي الحجة علىٰ الصحيح.

وقيل: خرج في ذي القعدة.

(ومع علي خيرة الفتيانِ... براءة من زمرة الشيطانِ) : لما خرج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ نزلت سورة (براءة)؛ فأرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصدر سورة (براءة)؛ ليعلنها علىٰ الناس في موسم الحج يوم النحر، وهو العاشر من ذي الحجة، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يبلغها إلا رجل من أهل بيتي).

(يمنع حج المشركين أبدا... ويثبت الطواف من غير اعتدا) : حيث أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ينادي في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنىٰ أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد فهو له إلىٰ مدته.

فعن أبي جعفر محمد بن علي قال: لما نزلت براءة علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج، قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلىٰ أبي بكر، فقال: لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: أخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنىٰ، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد فهو له إلىٰ مدته، فخرج علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ

ناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العضباء، حتىٰ أدرك أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالطريق، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أأمير أم مأمور؟

فقال: بل مأمور. ثم مضيا.

فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة علىٰ منازلهم من الحج، التي كانوا عليها في الجاهلية، حتىٰ إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريانا، ومن كان له عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد فهو له إلىٰ مدته).

وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلىٰ مأمنهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهد إلىٰ مدة، فهو له إلىٰ مدته.

فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان.

ثم قدما علىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أخرجه ابن هشام في السيرة(٢/ ٥٤٥-٥٤٦)، وهو مرسل ولكن له شواهد يتقوىٰ بها ذكرها الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السيرة(٤/ ٧٠-٧٢) ، وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حاشية فقه السيرة(٤٥٢).

ولم يكن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لوحده، بل كان هنالك مؤذنون آخرون، ثبتهم أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في المجامع الكبيرة؛ يعينون عليا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ علىٰ إبلاغ رسالته؛ يؤذنون في الناس : (لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان).

فعن حميد بن عبد الرحمن: أن أبا هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخبره أن أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعثه في الحجة التي أمره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط، يؤذن في الناس : (لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان) ، رواه البخاري(٣٦٩)، ومسلم(١٣٤٧).

(تتابع الوفود عام العاشر... وقد أذل الله دين الكافر) : تتابعت الوفود في العام التاسع حتىٰ سُمِّي عام الوفود، ثم تتابعث في العام العاشر، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ونصر الله دينه، وأعزَّ أولياءه، وأذل الله الكفر وأهله.

وقد بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا وأبا موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ اليمن، وأوصاهما بالتيسير والتطاوع وعدم الاختلاف، كما في البخاري(٣٠٣٨)، ومسلم(١٧٣٣) عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَىٰ إِلَىٰ الْيَمَنِ، فقَالَ : (يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا).

ومن الوفود التي قدمت علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد بُجَيلة ، وقدم جرير بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأعلن إسلامه؛ ففي مسند أحمد(١٩١٨١) عن جَرِير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : لَمَّا دَنَوْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ أَنَخْتُ رَاحِلَتِي، ثُمَّ حَلَلْتُ عَيْبَتِي، ثُمَّ لَبِسْتُ حُلَّتِي، ثُمَّ دَخَلْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، فَرَمَانِي النَّاسُ بِالْحَدَقِ، فَقُلْتُ لِجَلِيسِي : يَا عَبْدَ اللهِ، ذَكَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : نَعَمْ، ذَكَرَكَ آنِفًا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ. فَبَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ إِذْ عَرَضَ لَهُ فِي خُطْبَتِهِ، وَقَالَ : (يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَابِ - أَوْ : مِنْ هَذَا الْفَجِّ - مِنْ خَيْرِ ذِي يَمَنٍ، أَلَا إِنَّ عَلَىٰ وَجْهِهِ مَسْحَةَ مَلَكٍ).

قَالَ جَرِيرٌ : فَحَمِدْتُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ مَا أَبْلَانِي.

والحديث صححه الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المسند(٢٢٧).

وفي البخاري(٥٧) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.

(وارتد فيها الأسود العنسي) : أي: وارتد في تلك السنة الأسود العنسي وقد ذكر أصحاب السير أنه من مذحج من اليمن ، وأنه أسلم كما أسلمت اليمن، ثم ارتد في آخر حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وادعىٰ النبوة ، وخرج في سبعمائة مقاتل، واستولىٰ علىٰ صنعاء ، وجعل أمره يستطير، وارتد خلق من أهل اليمن، فبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بلغه خبره كتابا يأمر فيه المسلمين الذين هناك بمقاتلة العنسي؛ فقام معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بذلك والتف حوله من أهل اليمن، واتفق معاذ مع جماعة منهم فيروز الديلمي علىٰ قتل العنسي؛ فقتلوه، وحزوا رأسه، ورموا به علىٰ أتباعه؛ فانهزم أصحابه، وانتهىٰ أمره، وكانت مدة ملكه منذ ظهر إلىٰ أن قتل ثلاثة أشهر، أو أربعة أشهر.

وقد تقدم أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأىٰ في منامه في يديه سوارين من ذهب ثم أوحي إليه أن ينفخهما؛ فنفخهما فطارا؛ فأولهما بخروج كذابَين من بعده ؛ فكانا الأسود العنسي في اليمن، ومسيلمة الكذاب في اليمامة.

(وإسمه) : قطع همزة الوصل ؛ للضرورة الشعرية.

(عبهلة الشقي) : جاء أن اسم الأسود العنسي عَبْهَلة بن كَعْب بن غَوث، وهو شقي بردته ، وادعائه النبوة ، وموته علىٰ الكفر والضلال.

وقد ظهرت مارقة في عصرنا سمّوا أنفسهم بالعباهلة والأقيال، يحارب كثير منهم دين الله، ويطعنون في كتاب الله، ويقدحون في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته، وتابعهم جهال أغمار بسبب بغضهم للحوثي؛ فأخطأوا الطريق.

ويدعون للقومية اليمنية والجاهلية المقيتة، ويتخذون من الوعل رمزا لهم، أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، مرق كثير منهم عن الدين ، دعاة إلىٰ الزندقة والضلال.

أراح الله الأمة من شرورهم، وكبتهم كما كبت المفسدين من قبلهم، والحمد لله علىٰ نعمة الإسلام والسنة، ونسأل الله الثبات علىٰ ذلك، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

٣٠٥- وَحَجَّةُ الْوَدَاعِ كَانَتْ حَاضِرَهْ ** مِنْ بَعْدِ عَامِهِمْ غَدَا فِي الْعَاشِرَهْ

٣٠٦- قَدْ أَمَرَ النَّاسَ بِذَا التَّمَتُّعِ ** وَحَجَّ قَارِنًا بِهَذَا فَاقْنَعِ

٣٠٧- غَدِيرُ خُمٍّ كَانَتِ الْوَصِيَّهْ ** بِالذِّكْرِ ثُمَّ السُّنَّةِ الْمَرْضِيَّهْ

٣٠٨- وَصَّىٰ بِهَا أَيْضًا بِحَقِّ الْآلِ ** حَمْدًا لِذِي الْإِكْرَامِ وَالْجَلَالِ

٣٠٩- جَيْشٌ عَظِيمٌ قَادَهُ أُسَامَةُ ** حِبُّ الرَّسُولِ نِعْمَتِ الْكَرَامَةُ

الشَّرْحُ

(وحجة الوداع كانت حاضرة... من بعد عامهم غدا في العاشرة) : أي : وحجة الوداع كانت في العام العاشر من الهجرة، وسميت حجة الوداع؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودّع الناس فيها، ولم يحج بعدها.

ففي البخاري(٤٤٠٢) عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (كُنَّا نَتَحَدَّثُ بِحَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَلَا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ).

وفي رواية : (وَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ بَيْنَ الْجَمَرَاتِ فِي الْحَجَّةِ الَّتِي حَجَّ بِهَا، وَقَالَ: هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ)، فَطَفِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (اللهُمَّ اشْهَدْ)، وَوَدَّعَ النَّاسَ؛ فَقَالُوا: هَذِهِ حَجَّةُ الْوَدَاعِ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الفتح(٨/ ١٠٧) : (قوله: "ولا ندري ما حجة الوداع" كأنه شيء ذكره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتحدثوا به وما فهموا أن المراد بالوداع وداع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتىٰ وقعت وفاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدها بقليل، فعرفوا المراد، وعرفوا أنه ودع الناس بالوصية التي أوصاهم بها أن لا يرجعوا بعده كفارا، وأكد التوديع بإشهاد الله تعالىٰ عليهم بأنهم شهدوا أنه قد بلغ ما أرسل إليهم به، فعرفوا حينئذ المراد بقولهم: حجة الوداع)اهـ

ولما عزم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الحج، أذن في الناس به ؛ فتجهزوا للخروج، يريدون الحج معه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كما في مسلم(١٩٠٩) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاج، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ.

وكانت حجة الوداع أعظم حجة في التاريخ ؛ لأن إمامهم فيها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وخرج النبي صلىٰ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من المدينة بعد أن صلىٰ الظهر يوم الخميس، لستٍ بقين من ذي القعدة، من سنة عشر ، ثم خرج منها بمن معه من المسلمين من أهل المدينة، ومن تجمع من الأعراب، فصلىٰ العصر بذي الحليفة (هو ميقات أهل المدينة، ويعتبر جزءا من وادي العقيق) ركعتين، وبات بها، وأتاه آت من ربه وأمره أن يحج قارنا، كما في البخاري(١٥٣٤) عن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بِوَادِي الْعَقِيقِ يَقُولُ : (أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي فَقَالَ : صَلِّ فِي هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ وَقُلْ: عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ).

فأصبح، فأخبر الناس بذلك، وطاف علىٰ نسائه بغسل واحد كما في البخاري(٢٧٠)، ومسلم(١١٩٢) عن عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت : (أَنَا طَيَّبْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ثُمَّ طَافَ فِي نِسَائِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ مُحْرِمًا)، واغتسل صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ للجنابة ، ثم قبل أن يُحرِم اغتسل للإحرام.

وصلىٰ الظهر بذي الحليفة ركعتين ، ثم أحرم حين استوت به راحلته كما في البخاري(١٥٤٦)، ومسلم(٦٩٠) عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قَالَ: (صَلَّىٰ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ أَرْبَعًا، وَبِذِي الحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بَاتَ حَتَّىٰ أَصْبَحَ بِذِي الحُلَيْفَةِ، فَلَمَّا رَكِبَ رَاحِلَتَهُ وَاسْتَوَتْ بِهِ أَهَلَّ).

وساق الهدي من ذي الحليفة، وأمر من كان معه هدي أن يهل كما أهل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس بين يديه، وخلفه، وعن يمينه، وشماله أمما لا يحصون كثرة، كلهم قدم؛ ليأتم بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلما قدم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة، طاف للقدوم، ثم سعىٰ بين الصفا والمروة، وأمر الذين لم يسوقوا هديا أن يفسخوا حجهم إلىٰ عمرة، ويتحللوا تحللا تاما، ثم يهلوا بالحج وقت خروجهم إلىٰ منىٰ، وقال كما في البخاري(١٥٦٨)، ومسلم(١٢١٨) : (لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ، لَمَا سُقْتُ الْهَدْيَ، وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً).

وقدم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من اليمن بهدي، فأشركه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هديه، وكان حاصلها مائة بدنة.

ثم خرج صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلىٰ منىٰ اليوم الثامن يوم التروية ؛ فبات بها، وصلىٰ الصلوات الخمس قصرا.

ثم أصبح فسار من منىٰ إلىٰ عرفة، اليوم التاسع من ذي الحجة، يوم الجمعة.

وخطب بنمرة خطبة عظيمة، شهدها من أصحابه نحو أربعين ألفا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين ، وجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم بأذان واحد وإقامتين، ثم وقف بعرفة.

ثم سار إلىٰ مزدلفة وبات بها، وجمع بين المغرب والعشاء ليلتئذ جمع تأخير، ثم أصبح فصلىٰ الفجر في أول وقتها.

ثم سار قبل طلوع الشمس إلىٰ منىٰ ، فرمىٰ جمرة العقبة، ونحر هديه، وحلق رأسه، ثم طاف طواف الإفاضة، وهذه أعمال الحج في يوم النحر.

ثم صلىٰ الظهر يوم النحر بمكة كما في مسلم عن جابر، وجاء أنه صلاها بمنىٰ كما في مسلم عن ابن عمر .

والجمع بين ذلك كما في شرح مسلم للنووي أنه صلىٰ الظهر بمكة، ثم صلىٰ بالصحابة بمنىٰ.

وخطب ثاني يوم النحر خطبة عظيمة، ووصىٰ وحذر وأنذر، وأشهدهم علىٰ أنفسهم: أنه بلغ الرسالة.

ونحن نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدّىٰ الأمانة، ونصح الأمة، صلىٰ الله عليه وسلم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

وقد خطب النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في حجة الوداع ثلاث مرات : يوم عرفة ، ويوم النحر ، وفي أوسط أيام التشريق .

ثم رجع صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلىٰ المدينة، بعد ما أتمّ حجه، وأكمل الله له دينه.[1]

(قد أمر الناس بذا التمتع... وحج قارنا بهذا فاقنع) : كما تقدم أن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حج قارنا، ثم أمر الذين لم يسوقوا الهدي أن يفسخوا حجهم إلىٰ عمرة ، ويتحللوا حلا تاما ، ثم يهلوا بالحج وقت خروجهم إلىٰ منىٰ.

(غدير خم كانت الوصية... بالذكر ثم السنة المرضية) : أي: عند رجوع النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من حجة الوداع ، قام صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ خطيبا في أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ عند غدير ماء بين مكة والمدينة يُسمَّىٰ خُمًّا؛ فذكرهم بالله، ووعظهم، وأوصاهم بكتاب الله، وسنة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

---

(١) الفصول(٢١٨)

(وصىٰ بها أيضا بحق الآل... حمدا لذي الإكرام والجلال) : أي: ووصىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في خطبته بغدير خُم أيضا بآل بيته، كما في صحيح مسلم(٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال : قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَىٰ خُمًّا، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ : (أَمَّا بَعْدُ ؛ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ ؛ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ "، فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ : (وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي). فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ : وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ؟ قَالَ : نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ : وَمَنْ هُمْ ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ : كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ : نَعَمْ.

وفي هذا الحديث دليل علىٰ فضل آل بيت رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ، ووجوب محبتهم محبة شرعية بلا جفاء ولا غلو ، وتوقيرهم ، وعدم الطعن فيهم.

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فيض القدير(٢/ ٢٢٠) : ("أذكركم الله في أهل بيتي" أي: في الوصية بهم واحترامهم وكرره ثلاثا للتأكيد)اهـ

وليس في الحديث دليل علىٰ ما يزعمه الرافضة بأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصّبَ عليا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في ذلك اليوم وفي ذلك الموضع خليفة للمسلمين من بعده؛ فهذا من كذب الشيعة وأباطيلهم.

ومما أحدثوه في ذلك؛ احتفالهم بعيد غدير خُمّ في الثامن عشر من ذي الحجة ؛ ابتهاجا بأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصّبَ عليا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ للولاية في ذلك اليوم ؛ فيحتفلون في هذا اليوم ويعدونه من أفضل الأعياد ويفضلونه علىٰ عيدي الفطر والأضحىٰ ، ويسمونه بالعيد الأكبر ، ويزعمون أن صيام يومه يكفر ذنوب ستين سنة ، ويعدل صيام الدهر كله ، ويعدل مائة حجة ، وأن صلاة ركعتين في هذا اليوم تعدل عند الله مائة ألف حجة ومائة ألف عمرة ، وأن الله يقضي فيه حوائج الدنيا والآخرة في يسر وعافية.

ويقومون بزيارة مقام علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والتبرك به لمن أمكنه زيارته ، وقراءة دعاء الندبة المنسوب كذبًا لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، وغير ذلك من الكذب والأباطيل التي اخترعتها الرافضة، ولا أكذب منهم علىٰ مرّ التاريخ.

ومن المنكرات الشنيعة التي يقومون بها في هذا اليوم ؛ سبهم وطعنهم في صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن تبعهم بإحسان من أهل الإيمان؛ لزعمهم أنهم خالفوا ما نصّ عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وأول من أحدث هذه البدعة هو معز الدولة أحمد بن بويه ، وهو أحد سلاطين الدولة البويهية ، وهي دولة شيعية قامت في الجزء الغربي من إيران والعراق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في البداية والنهاية (١١/ ٢٤٣) : (وفي عشر ذي الحجة أمر معز الدولة بن بويه بإظهار الزينة في بغداد ، وأن تفتح الأسواق بالليل كما في الأعياد ، وأن تضرب الدَّبادب- من أنواع آلات اللهو- والبوقات ، وأن تشعل النيران في أبواب الأمراء ، وعند الشُّرَط ، فرحًا بعيد الغدير ؛ فكان وقتًا عجيبًا مشهودًا ، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة)اهـ

وهو أيضًا يوم معظم عند الفاطميين الباطنيين، الذين حكموا مصر وبلاد الشام وبعض أجزاء اليمن.

فعُلِم أن الاحتفال بهذا اليوم من بدع الرافضة والباطنية ، وأن المناسبة التي يحتفلون من أجلها كذب وزور، والله المستعان.

(جيش عظيم قاده أسامة) : أي: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسامة بن زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على رأس جيش عظيم إلىٰ الشام لغزو الروم، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم، من أرض فلسطين؛ فتجهز الناس، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون، وكان هذا آخر بعث بعثه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد طعن بعض الناس في إمارة أسامة ؛ لصغر سنه ؛ فعَلِم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك؛ فبيَّن أن أُسامة خليق للإمارة، وأنه يحبه؛ كما في البخاري(٣٧٣٠)، ومسلم(٢٤٢٦) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ، إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ).

وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيشه؛ فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن قال: إن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان فيهم فقد غلط؛ فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم

بالجرف، وقد أمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أبا بكر أن يصلي بالناس؛ فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين ؟!

ثم لما توفي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ استطلق أبوبكر من أسامة عمر بن الخطاب، فأذن له في المقام عند الصديق، ونفذ الصديق جيش أسامة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ جميعا.

(حب الرسول نعمت الكرامة) : حيث كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يحب أسامة بن زيد حبا جما، حتىٰ كان يلقب بحب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كثير الاحتفاء به ، وحينما كان صغيرا كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقعده علىٰ فخذه ويدعو له، وكان كثيرا ما يحمله أمامه علىٰ الدابة، ويعتني به اعتناء شديدا.

وفي مسند أحمد(٢٥٢٣٤) عن عَائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُبْغِضَ أُسَامَةَ بَعْدَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، يَقُولُ : (مَنْ كَانَ يُحِبُّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَرَسُولَهُ؛ فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ). (١)

(١) السيرة لابن هشام(٢/ ٦٤٢)، السيرة لابن كثير(٤/ ٤٤٠)

الأحداث بعد رجوعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حجة الوداع إلى الوفاة

٣١٠- وَبَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ قَدْ رَجَعْ ** إِلَىٰ مَدِينَةٍ بِهَا كَانَ الْوَجَعْ

٣١١- قَدْ أُخْبِرَ الرَّسُولُ بِالْوَفَاةِ ** فِي سُورَةِ النَّصْرِ أَخَا الثَّبَاتِ

٣١٢- إِذْ جَاءَ نَصْرُ اللهِ ثُمَّ الْفَتْحُ ** فَاسْتَغْفِرِ اللهَ فَفِيهِ الرِّبْحُ

٣١٣- وَلَازِمِ التَّسْبِيحَ لِلرَّحْمَنِ ** حَمْدًا لِرَبِّي الْخَالِقِ الْمَنَّانِ

٣١٤- فِي آخِرِ الْأَيَّامِ مِنْ شَهْرِ صَفَرْ ** مِنْ عَامِهَا الْمَذْكُورِ بِالْحَادِي عَشَرْ

٣١٥- كَانَ ابْتِدَاءُ الْمَرَضِ الْعُضَالِ ** صُدَاعُ رَأْسٍ دُونَمَا إِشْكَالِ

٣١٦- فِي يَوْمِ الِاثْنَيْنِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ** ثَانِي عَشَرْ مِنْهُ عَلَىٰ الْقَوْلِ الْجَلِي

٣١٧- قَدْ خُيِّرَ الرَّسُولُ يُعْطَىٰ الْأُولَىٰ ** وَالْمُلْكَ فَاخْتَارَ الرَّفِيقَ الْأَعْلَىٰ

٣١٨- وَقَدْ قَضَىٰ سِتِّينَ مِنْ أَعْوَامِ ** زِدْهَا ثَلَاثًا حِسْبَةَ التَّمَامِ

٣١٩- قَدْ غُسِّلَ الرَّسُولُ فِي الثِّيَابِ ** تَوْفِيقُ رَبِّي دُونَمَا ارْتِيَابِ

٣٢٠- تَكْفِينُهُ فِي أَبْيَضِ الثِّيَابِ ** ثَلَاثَةٍ مِنْ كُرْسُفِ الْأَخْصَابِ

٣٢١- صَلَّىٰ عَلَيْهِ الصَّحْبُ أَرْسَالًا كَمَا ** جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ نَصًّا مُحْكَمَا

٣٢٢- ثُمَّ تَلَاهُ الدَّفْنُ حَيْثُ قَدْ قَضَىٰ ** وَجَاءَ فِي ذَاكُمْ حَدِيثٌ مُرْتَضَىٰ

٣٢٣- فِي بَيْتِ عَائِشٍ وَتَمَّ النَّظْمُ ** صَلَاتُنَا عَلَى النَّبِيِّ خَتْمُ

٣٢٤- وَالْآلِ وَالصَّحْبِ ذَوِي الْمَزِيَّهْ ** وَتَمَّتِ الْمَنْظُومَةُ الزَّكِيَّهْ

٣٢٥- وَسَمْتُهَا بِالنَّظْمِ زُعْكُرِيَّهْ ** فِي شَهْرِ شَعْبَانَ فَخُذْ هَدِيَّهْ

٣٢٦- مِنْ عَامِ غَيْنٍ ثُمَّ تَاءٍ قَدْ عُلِمْ ** وَأَلِفٍ مِنْ بَعْدِ مِيْمٍ قَدْ نُظِمْ

٣٢٧- تَعْدَادُهَا شِينٌ وَكَافٌ أَذْكُرُ ** يُضَافُ حَاءٌ وَلِرَبِّي أَشْكُرُ

٣٢٨- وَالْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ الْإِعَانَةِ ** لِمَا رَجَوْنَاهُ مِنَ الْإِبَانَةِ

الشَّرْحُ

(الأحداث بعد رجوعه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من حجة الوداع إلىٰ الوفاة) : شرع الناظم حفظه الله في ذكر جملة من الأحداث التي حصلت بعد حجة الوداع، ومن ذلك مرض النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وموته.

(وبعد حجة الوداع قد رجع... إلىٰ مدينة بها كان الوجع) : أي: بعد رجوع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ المدينة، بعد حجة الوداع ؛ أقام صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بها بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، ثم ابتدأ به صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الوجع.

(قد أخبر الرسول بالوفاة... في سورة النصر أخا الثبات) : أي: كانت هنالك أمارات بقرب وفاة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ منها نزول سورة النصر.

(إذ جاء نصر الله ثم الفتح... فاستغفر الله ففيه الربح) : فقد نعىٰ الله نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ نفسه؛ فقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣]

وفي البخاري(٣٦٢٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُدْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : إِنَّ لَنَا أَبْنَاءً مِثْلَهُ. فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ. فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ، فَقَالَ : أَجَلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ. قَالَ : مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ.

(ولازم التسبيح للرحمن) : أي: لازم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التسبيح والاستغفار؛ امتثالا لأمر الله تعالىٰ، حيث أمره إذا جاء نصر الله وفتحت مكة، ورأىٰ الناس يدخلون في دين الله أفواجا وجماعات؛ أن يذكره وينزهه عَزَّوَجَلَّ عن كل ما لا يليق به، وأن يطلب المغفرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي هذا إشارة إلىٰ قرب أجل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد امتثل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك؛ فكان يكثر التسبيح والاستغفار في ركوعه وسجوده.

كما في البخاري(٨١٧)، ومسلم(٤٨٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ : (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي). يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ .

(حمدا لربي الخالق المنان) : أي: حمدا لله علىٰ ما يسر من فتح مكة ، وإتمام هذا الدين، وفي أمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتسبيح والاستغفار؛ إشارة إلىٰ أن

النصر يستمر لهذا الدين، ويزداد عند حصول التسبيح والاستغفار من رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ فإن هذا من الشكر، والله تعالىٰ يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، فلايزال النصر مستمرا لهذا الدين، حتىٰ وصل الإسلام إلىٰ شتَّىٰ بقاع الدنيا.

(في آخر الأيام من شهر صفر... من عامها المذكور بالحادي عشر) : أي: في أواخر شهر صفر من العام الحادي عشر، كان ابتداء مرض النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعد أن شهد جنازة في البقيع .

كما في مسند أحمد(٢٥٩٠٨) عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : رَجَعَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جَنَازَةٍ بِالْبَقِيعِ وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، وَأَنَا أَقُولُ : وَا رَأْسَاهْ. قَالَ : (بَلْ أَنَا وَا رَأْسَاهْ). ثُمَّ قَالَ : (مَا ضَرَّكِ لَوْ مِتِّ قَبْلِي فَغَسَّلْتُكِ، وَكَفَّنْتُكِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ عَلَيْكِ، وَدَفَنْتُكِ؟)، قُلْتُ : لَكِنِّي - أَوْ : لَكَأَنِّي - بِكَ وَاللهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ رَجَعْتَ إِلَىٰ بَيْتِي، فَأَعْرَسْتَ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ. قَالَتْ : فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ.

ثم اشتد به المرض وهو في بيت ميمونة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا يوم خميس كما في مصنف عبدالرزاق(٩٧٥٤) من حديث أسماء بنت عميس.

ولما اشتد وجعه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أمر أن يصلي أبوبكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالناس، كما في البخاري(٧١٣)، ومسلم(٤١٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جَاءَ بِلَالٌ يُؤذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ : (مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ). فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ ، وَإِنَّهُ مَتَىٰ مَا يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ، فَقَالَ : (مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ). فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ : قُولِي لَهُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، وَإِنَّهُ مَتَىٰ يَقُمْ مَقَامَكَ لَا يُسْمِعُ النَّاسَ، فَلَوْ أَمَرْتَ عُمَرَ قَالَ : (إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ). فَلَمَّا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ وَجَدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي نَفْسِهِ خِفَّةً، فَقَامَ يُهَادَىٰ بَيْنَ رَجُلَيْنِ وَرِجْلَاهُ يَخُطَّانِ فِي الْأَرْضِ، حَتَّىٰ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو بَكْرٍ حِسَّهُ ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَأَخَّرُ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حَتَّىٰ جَلَسَ عَنْ يَسَارِ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي قَائِمًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُصَلِّي قَاعِدًا، يَقْتَدِي أَبُو بَكْرٍ بِصَلَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَالنَّاسُ مُقْتَدُونَ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وهذا دليل من الأدلة التي فيها إشارة إلىٰ خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(كان ابتداء المرض العضال... صداع رأس دونما إشكال) : أي: كان بداية مرض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صداع في رأسه؛ فجعل مع هذا يدور علىٰ نسائه حتىٰ شق عليه، فاستأذنهن أن يمرض في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأذنَّ له، كما في البخاري(٦٦٥)، ومسلم(٤١٨) عن عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَكَانَ بَيْنَ الْعَبَّاسِ وَرَجُلٍ آخَرَ، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِابْنِ عَبَّاسٍ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ لِي : وَهَلْ تَدْرِي مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ ؟ قُلْتُ : لَا، قَالَ : هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

ومكث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجعًا اثني عشر يومـًا.

وقيل: ثلاثة عشر يوما، وهذا الذي عليه الأكثر.

وقيل: أربعة عشر يومـًا.

وكانت آخر صلاة صلاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه هي صلاة المغرب، كما في البخاري(٧٦٣)، ومسلم(٤٦٢) عن أم الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وجاء أنها صلاة الظهر كما في البخاري(٦٨٧)، ومسلم(٤١٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وقد جمع الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ بين الحديثين: بأن صلاة الظهر التي حكتها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت في المسجد، وصلاة المغرب التي حكتها أم الفضل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت في بيته كما عند النسائي، والله أعلم. (١)

(في يوم الاثنين ربيع الأول... ثاني عشر منه علىٰ القول الجلي) : أي: كانت وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، وهذا هو القول الجلي، أي: الواضح المشهور عند أهل السير.

(قد خير الرسول يعطىٰ الأولىٰ... والملك فاختار الرفيق الأعلىٰ) : كما في البخاري(٤٦٦)، ومسلم(٢٣٨٢) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ). فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : مَا يُبْكِي هَذَا

---

(١) فتح الباري(٧٦٣)

الشَّيْخَ إِنْ يَكُنِ اللهُ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ؟ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ : (يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَبْكِ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ).

(وقد قضىٰ ستين من أعوام... زدها ثلاثا حسبة التمام) : أي: كان عمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم مات ثلاثًا وستين سنة، علىٰ الصحيح، ويدل علىٰ ذلك ما جاء في البخاري(٣٩٠٢) ومسلم(٢٣٥١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ : (بُعِثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَمَكُثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَىٰ إِلَيْهِ ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ).

ومات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حجر عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، كما في البخاري(١٣٨٩)، ومسلم(٢٤٤٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ يَقُولُ : (أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟ أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟) يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، حَتَّىٰ مَاتَ عِنْدَهَا. قَالَتْ عَائِشَةُ : فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ اللهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ

لَبَيْنَ نَحْرِي وَسَحْرِي، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي. ثُمَّ قَالَتْ : دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنُّ بِهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ : أَعْطِنِي هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ. فَأَعْطَانِيهِ، فَقَضِمْتُهُ، ثُمَّ مَضَغْتُهُ، فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَنَّ بِهِ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَىٰ صَدْرِي.

ولم يمر علىٰ البشرية يوم أصعب ولا أشد من اليوم الذي مات فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلذلك اضطرب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ فمنهم من قال: مات، ومنهم من قال: لم يمت.

حتىٰ قام فيهم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطيبا وبصَّر الناس وأرشدهم للهدىٰ، وتلا عليهم قوله تعالىٰ : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، فكأن الناس لم يسمعوها قبل ذلك، فما من أحد إلا يتلوها.

ثم اجتمع المسلمون في سقيفه بني ساعدة، وبايعوا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واتفقوا عليه قبل تغسيل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكفينه ودفنه؛ لحفظ جماعة المسلمين من الفوضىٰ والتفرق.

(قد غسل الرسول في الثياب... توفيق ربي دونما ارتياب) : أي: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُسِّل في ثيابه، ولم يجردوه منها ؛ فإن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لما اختلفوا هل يجردونه من ثيابه أم لا ؟ سمعوا منادياً من داخل البيت يقول : غسلوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثيابه، كما عند أبي داود(٣١٤١) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَت : لَمَّا أَرَادُوا غُسْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : وَاللهِ مَا نَدْرِي أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا أَمْ نُغَسِّلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَىٰ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّىٰ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَذَقَنُهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ : أَنِ اغْسِلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، فَقَامُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَسَّلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ، يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ، وَيدْلُكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا غَسَّلَهُ إِلَّا نِسَاؤُهُ. وهو حديث حسن.

(تكفينه في أبيض الثياب... ثلاثة من كرسف الأخصاب) : أي: ثم كفنوه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف ـ يعني من قطن ـ ليس فيها قميص ولا عمامة، كما في البخاري(١٢٦٤)، ومسلم(٩٤١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كُفِّنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ، أَمَّا الْحُلَّةُ؛ فَإِنَّمَا شُبِّهَ عَلَىٰ النَّاسِ فِيهَا

أَنَّهَا اشْتُرِيَتْ لَهُ لِيُكَفَّنَ فِيهَا، فَتُرِكَتِ الْحُلَّةُ، وَكُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ، فَأَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ : لَأَحْبِسَنَّهَا حَتَّىٰ أُكَفِّنَ فِيهَا نَفْسِي، ثُمَّ قَالَ : لَوْ رَضِيَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ؛ لَكَفَّنَهُ فِيهَا، فَبَاعَهَا، وَتَصَدَّقَ بِثَمَنِهَا.

و(**السَّحولية**) : بفتح السين وضمها والفتح أشهر، هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن، وقيل: هي منسوبة إلىٰ سحول مدينة باليمن تحمل منها هذه الثياب.

و(**الحلَّة**) : هي الثوب من قطعتين من إزار يغطي النصف الأسفل والعورة، ورداء يغطي الجسد من فوق.

(صلىٰ عليه الصحب أرسالا كما... جاءت به السنة نصا محكما) : أي: صلىٰ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرادىٰ، وما أمَّهم عليه إمام، بل كان الناس يأتون إليه في المسجد يصلون عليه فرادىٰ، الرجال ثم النساء.

ويدل علىٰ ذلك ما أخرجه أحمد في مسنده(٢٠٧٦٦) عَنْ أَبِي عَسِيبٍ، أَوْ أَبِي عَسِيمٍ ، قَالَ بَهْزٌ : إِنَّهُ شَهِدَ الصَّلَاةَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالُوا : كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْهِ؟ قَالَ : ادْخُلُوا أَرْسَالًا أَرْسَالًا. قَالَ : فَكَانُوا يَدْخُلُونَ مِنْ هَذَا الْبَابِ، فَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ.

وقد نقل ابن عبد البر رَحِمَهُٱللَّهُ الإجماع علىٰ ذلك؛ فقال : (وأما صلاة الناس عليه أفذاذاً - يعني علىٰ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - فمجتمع عليه عند أهل السير وجماعة أهل النقل ، لا يختلفون فيه)اهـ[1]

وإنما صلىٰ الصحابة عليه فرادىٰ؛ لعظم قدره صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ حيث هابوا أن يتقدم أحد بين يديه يؤم الناس في الصلاة عليه.

وقيل: لشدة تنافسهم أن يؤمهم عليه أحد.

(ثم تلاه الدفن حيث قد قضىٰ... وجاء في ذاكم حديث مرتضىٰ) : أي: أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ دفن حيث مات؛ إذ من خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم يدفنون حيث يموتون، ويدل علىٰ ذلك ما رواه الترمذي(١٠١٨) عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شَيْئًا مَا نَسِيتُهُ، قَالَ : (مَا قَبَضَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُدْفَنَ فِيهِ). ادْفِنُوهُ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ.

والحديث صححه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في صحيح الترمذي.

---

(١) التمهيد(٢٤/ ٣٩٧)

(في بيت عائش) : أي: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُفِن في الموضع الذي مات فيه في حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولم يدفن داخل المسجد وهذا منقول بالتواتر، ولكن عندما وسع المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك؛ أُدخِل قبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد من أجل التوسعة، وفي البخاري(١٣٩٠)، ومسلم(٥٢٩) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ : (لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) ، فليس في ذلك حجة للمتخذين القبور مساجد.

وقد تأخر دفنُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ يوم الثلاثاء.

وقيل: الأربعاء.

(وتم النظم... صلاتنا علىٰ النبي ختم) : أي: وتم ما أراده الناظم حفظه الله من سردٍ لأحداث سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وختم هذه المنظومة بالصلاة علىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(والآل والصحب ذوي المزية... وتمت المنظومة الزكية) : أي: وعلىٰ الآل والصحب، وقد تقدم الكلام علىٰ الآل والصحب ، وتعريف كل منهما في مقدمة هذه المنظومة المباركة.

وقوله: (المنظومة الزكية) : أي: المنظومة الطيبة.

(وسمتها بالنظم زعكرية) : أي: سماها الناظم حفظه الله: المنظومة الزُّعكرية في بيان حوادث السيرة الزكية.

و(زعكرية) : نسبة إلىٰ نسب ناظمها.

(في شهر شعبان فخذ هدية) : أي: كان تمامها في شهر شعبان؛ فخذها ياطالب العلم هدية نفيسة طيبة.

(من عام غين ثم تاء قد علم... وألف من بعد ميم قد نظم): رمز الناظم هنا لتاريخ تمام هذه المنظومة ؛ فقال: من عام غين أي: ١٠٠٠، ثم تاء أي: ٤٠٠، وألف أي: ١ ، من بعد ميم أي: ٤٠.

أي: أن تمام هذه المنظومة كان في شهر شعبان من عام ١٤٤١هـ.

(تعدادها شين وكاف أذكر... يضاف حاء) : ثم رمز لعددها؛ فقال: تعدادها شين أي: ٣٠٠، وكاف أي: ٢٠، ويضاف حاء أي: ٨.

أي: أن عدد أبياتها ٣٢٨ بيتا.

والحروف لها حساب في الأرقام، وذلك علىٰ النحو التالي: (أ=١، ب=٢، ج=٣، د=٤، هـ=٥، و=٦، ز=٧، ح=٨، ط=٩، ي=١٠، ك=٢٠، ل=٣٠، م=٤٠، ن=٥٠، س=٦٠، ع= ٧٠، ف=٨٠، ص=٩٠، ق=١٠٠، ر=٢٠٠، ش=٣٠٠، ت=٤٠٠، ث=٥٠٠، خ=٦٠٠، ذ=٧٠٠، ض=٨٠٠، ظ=٩٠٠، غ=١٠٠٠).

(ولربي أشكر) : أي: يشكر الله علىٰ ما أولاه من النعم، ومنها أن يسر له إتمام هذا النظم المبارك.

(والحمد لله علىٰ الإعانة... لما رجوناه من الإبانة) : أي: ويحمد الله علىٰ ما يسر له وأعانه علىٰ بيان ما كان يرجوا بيانه من سيرة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ، وقد تقدم الكلام علىٰ الفرق بين الحمد والشكر في بداية شرح هذه المنظومة.

وإني أنا الشارحة المسكينة أحمد الله الذي يسر لي وأعانني علىٰ إتمام هذا الشرح المتواضع، وأسأل الله أن ينفع به وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، نافعا لي في يوم لا ينفع فيه مال ولابنون، والحمد لله رب العالمين.

الفِهْرِس

مقدمة الشيخ عبد الحميد الزعكري ٣

مقدمة الشارحة ٦

ترجمة مختصرة للناظم ٨

متن المنظومة الزُّعْكُرِيَّة في بيان حوادث السيرة الزكية ٢٢

المقدمة ٤٢

النسب الشريف ٨١

الولادة والرضاعة وما تلاها من أحداث حتىٰ البعثة الشريفة ١٠٩

الإرهاصات التي وقعت قبل نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١٦٤

بدء الوحي وما لحقه من أحداث إلىٰ قبل الهجرة ١٩٣

أحداث الهجرة إلىٰ أن وصل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة ٣٣٦

الأحداث التي كانت في المدينة مبدأ الهجرة ٣٦١

الأحداث والغزوات بعد استقراره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة ٣٨٤

الأحداث والغزوات بين غزوة بدرٍ الكبرىٰ وغزوة أُحُد ٤٠٩

أحداث السنة الخامسة من الهجرة وما تلاها إلىٰ حجة الوداع ٤٥٨

الأحداث بعد رجوعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حجة الوداع إلىٰ الوفاة ٦٢٢

الفهرس ٦٣٧